المجهول والمهمل
من تاريخ الجنوب اللبناني
(جبل عاملة)

الكتاب: المجهول والمهمل من تاريخ الجنوب اللبناني (جبل عاملة)
المؤلف: د. يوسف الحوراني
القياس: ٦٠×٩٠
عدد الصفحات: ١٦٠
تصميم الغلاف: الحداثة
الطبعة الاولى: ١٩٩٩

دار الحداثة
للطباعة والنشر والتوزيع
ش.م.م
بيروت - ص.ب ٥٦٣٦ - ١٤
تلفاكس: ٥٥٥٢٩١-٠١

د. يوسف الحوراني

المجهول والمهمل من تاريخ الجنوب اللبناني (جبل عاملة)

من سجلات الفراعنة للألف الثاني ق. م.

قدم له: السيد حسن الأمين



للمؤلف

- ❖ الإنسان فرد لا جماعة. دراسة أونتولوجية - نشر مكتبة الحياة ١٩٥٦
- ❖ الإنسان والحضارة «مدخل دراسة». الطبعة الثانية. نشر المكتبة العصرية ١٩٧٢
- ❖ نظرية التكوين الفينيقية وآثارها في حضارة الإغريق. دار النهار للنشر ١٩٦٩
- ❖ لبنان في قيم تاريخه (العهد الفينيقي). الطبعة الثانية. دار النهار للنشر ١٩٩٢
- ❖ البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم. الطبعة الثانية. دار النهار للنشر ١٩٩٣
- ❖ جماليات الحكمة في التراث الثقافي البابلي. دار النهار للنشر ١٩٩٤
- ❖ قانا الجليل في الجنوب اللبناني. (بلغات ثلاث). نشر وزارة السياحة اللبنانية ١٩٩٥

المحتويات

تنبيه للقارىء

ليست فصول هذا الكتاب تاريخاً سرديا مترابط الحلقات والوقائع، وإنما هي مجموعة ابحاث تاريخية، تهدف إلى كشف ما هو مجهول أو مهمل لدى قراء التاريخ. أما حصر مواضيعها بأرض الجنوب اللبناني (جبل عاملة)، فلأني عشت في هذه المنطقة وأعرفها أكثر من غيرها، وباستطاعتي الكتابة بمعرفة واثقة عنها. وسيرى القارىء أن هذه المعرفة كانت أساسية في المعالجة والبحث.

فصل «الثقافة الكنعانية في مصر الفرعونية» نشر سابقاً في العدد «١٤» من مجلة «كتابات معاصرة» سنة ١٩٩٢، وعند إعادة نشره هنا جرى تنسيق بعض فقراته مع الفصول الأخرى تجنباً للتكرار. وكذلك هو فصل «تسميات قرى الجنوب» وقد نشر سابقاً.

اقترح الصديق الكبير السيد حسن الامين إبدال تسمية «جبل عامل» بتسمية «الجنوب اللبناني» فاعتبرت التسميتين لمدلول واحد، من دون أي تمييز جغرافي بينهما في هذا الكتاب.

المؤلف والكتاب

بقلم السيد حسن الأمين

إن اسمى مراتب العصامية هي العصامية العلمية، ولا أعرف ان العصامية العلمية تجلت في أحد أكثرمما تجلت في الدكتور يوسف الحوراني.

لقد كان كل ما حوله يثبطه عن الأخذ بشيء من أطراف العلم، فضلاً عن التوغل في صميم العلم والنفاذ منه الى الحقائق المجهولة، والكشف عن الخوافي المطمورة. وكانت صروف الحياة ومقارعة بعض هذه الصروف تثني من يحاول التطلع الى ابعد من هذه المقارعة، وتقعد من يروم الانفلات منها الى ميدان أرحب ومجال أخصب...

ويوسف الحوراني الذي وجد نفسه اسير تلك الصروف قرر التمرد عليها بأقوى سلاح، هو سلاح الطموح العلمي بارادة لا تلين وعزيمة لا تهي، فكان له ما اراد، وانتصر بسلاحه الماضي في معركة ما كان لغيره ان يفكر في خوضها فكيف في الانتصار فيها...

ومن هنا كان يوسف الحوراني العصامي الفذ، العصامي الذي لا يدين في تفوقه الا لنفسه، والا لشممه، والا لشغفه بالعلم...

ويوم لقيت يوسف الحوراني لاول مرة في قريته العاملية النائية، وتحدثت اليه وهو بعد في غضارة الصبا ونضارة اليفاعة، ادركت انه سيكون لهذا الفتى اليافع، في ميادين الفكر ورحاب المعرفة شأن اي شأن.

لقد كنت أنوي زيارة قرية (يارون) على الحدود اللبنانية الفلسطينية تلبية

لدعوة صديق هناك. وسألت قبل الذهاب، من اطمئن الى رأيه عمن يمكن أن آلفه هناك في مزج اللقاءات الاخوانية المحضة بلقاءات فكرية تُنوع الاحاديث وتذهب بالملل ، فأشار الى فتى نابه يستطاب حديثه، هو يوسف الحوراني.

ولم اكد اصل الى (يارون) وألتقي بجمهرة الاصدقاء حتى طلبت اليهم ان نذهب لزيارة يوسف الحوراني، وقد حسبوا ان صحبة سابقة تربطني به، فقالوا انه سيعلم بقدومك وانه سيأتي اليك.

فقلت ان لا صحبة سابقة بيننا، ولكن له عندي سمعة عطرة تجعلني ابادر لزيارته.

ولقيت يوسف الحوراني الفتى اليافع في منزله، في القرية العاملية المتشامخة في ارتفاعها، والمطلة من جانبيها على ما انبسط امامها من سهول وتلال عاملية، ومروج وهضاب فلسطينية...

لقيته فإذا بي امام الفتى العاملي المرجو لمستقبل الايام علماً وفكراً وعملاً. وتمعنت فيه وفي ظروفه، وما يقعده عن السير قدماً فيما ينوي السير فيه من مدارج الرفعة العلمية، فكنت في حالين: حال من الغبطة به، وحال من اليأس مما يعزم على الوصول اليه...

فكل شيء حوله يضعف العزائم ويوهي الهمم... ولكن يوسف الحوراني كان ماضي العزيمة مضاء الجبال التي ولد في سفوحها، صلب العزيمة صلابة الصخور التي نما في احضانها. متطلعاً ابداً الى الاعلى تطلعه الى القمم التي طالما شدّت بصره بشموخها طفلاً ويافعاً وفتى.

لم ينسني كرّ الايام يوم لقائي ليوسف الحوراني في يارون ورحت أنشد اخباره من القادمين والرائحين، فكنت أقع كل حين على خبر جديد يبشر بخطوات خطاها في الطريق الطويل الذي عزم على قطعه حتى نهايته.

وكان انضر خبر سمعته ان ذلك الذي خلفته في يارون يتفجر طموحاً ويتألق أملاً، قد اصبح في بيروت رئيساً لتحرير مجلة ثقافية.

إذاً، فإن يوسف الحوراني قد اجتاز المرحلة الاصعب وتغلب على العائق الأكبر، ونقل نفسه من دروب القرية، الى شوارع المدينة لا نقلة المترفين الذين تضجرهم

رتابة القرية، فينشدون في المدينة لهوها وعبثها. بل نقلة الذين لا يجدون في القرية ما يروي ظمأهم الى المعرفة، ولا ما يملأ فراغهم بالعلم...

واذاً، فإن قلم يوسف الحوراني الغض الذي كان يمارسه قصصاً ومقالاً قد أهّله لرئاسة تحرير مجلة صارت بفضل ذاك القلم في طليعة المجلات العربية علماً وادباً وفكراً.

كل ذلك ويوسف الحوراني مثقل باعباء الحياة موقر بتكاليف الدهر، لا يجد الا منفرجاً هو أضيق من أن يوصله الى هدوء النفس!...

وظل يسعى جاهداً ويعمل مكافحاً، حتى فوجئت بأن يوسف قد نال الدكتوراه في فلسفة التاريخ!...

تلك كانت عصامية يوسف الحوراني، العصامية العلمية التي ارتفعت به من ناشىء كانت الشهادة الابتدائية اقصى ما يستطيع تحقيقه من هو في مثل ظروفه - ارتفعت به الى شهادة الدكتوراه فأستاذية الجامعة...

وقد كان يمكن ان يرضى بما حققه، وأن يطمئن الى ما وصل اليه، ولكن الذي كان الارتقاء في درجات العلم هو طموحه لا يمكن ان يقنع بالوصول الى درجات محدودة في العلم، فعكف على الدراسات المعمقة في التاريخ وغاص في أغوار القرون يستجلي غوامضها، ويستكشف مجاهلها، فانكشف له من الحقائق ما غيّر الكثير مما كان معروفاً عند الناس بوجه آخر، فإذا ببحوثه تتوالى مقالات ومحاضرات تجذب اليها كل طامح الى الحقيقة.

وكان من ذلك كتابه الأخير (المجهول والمهمل في تاريخ جبل عامل)، وقلّ ان تجد اسماً ينطبق في حقيقته على مسماه مثل ما ينطبق اسم هذا الكتاب، فهو قد عرف المجاهل، وعني بالمهملات، فإذا بنا امام أمور تاريخية من أهم امور التاريخ كانت مجهولة كل الجهل، وامام أمور أخرى كانت بادية ولكن لم تجد من يعنى بها. واذا بكتاب الدكتور يوسف الحوراني يكشف ما يكشف من معالم التاريخ فيضع بذلك مدماكاً ضخماً في بناء تراثنا التاريخي الأصيل.

والدكتور يوسف الحوراني كان وفياً للارض التي انبتته، كان وفياً لها، لأن الوفاء خصلة من خصاله، والذين عرفوه عرفوا وفاءه المحض، فلم يفاجؤوا بأن خص جبل عامل بالدراسة التاريخية التي اقتضته الجهد المضني، فأبرز صفحات

من تاريخ الجبل لم تجد قبله من يكشف عنها، وكان من حقها ان تبرز وتعرف، صفحات تتعدى في معارفها حدود الجبل لتربط بين تاريخه وتاريخ ما امتد منه إلى البعيد البعيد...

لقد حاولت - والكتاب بين يدي - ان أضع امام قارىء هذه الكلمة بعض روائع الكتاب، فحرت في اختيار ما آخذ وما أدع، لذلك صممت على ان أترك للقارىء ان يوغل في الكتاب صفحة صفحة ليجد في كل صفحة ما يبعث في نفسه التقدير للجهد الذي بذله هذا المؤرخ البعيد الغور، وليقرأ في كل فصل جديداً من تاريخ بلاده، يجد حلاً لما غمض من اسماء ومواقع.

واذا كان اسم الكتاب يوحي بأنه تسجيل لتاريخ منطقة محدودة من مناطق الوطن الكبير، فهو في حقيقته وفيما يعطي، انما يسجل صفحات تاريخ لما امتد وانتشر من مناطق بعيدة ولكنها مهما بعدت في مواقعها فهي تقرب في ارتباطها التاريخي ومجراها الزمني.

وبعد، فإن خير ما نزجيه للدكتور يوسف الحوراني من تحية هي أن نقول له: اننا بانتظار كل جديد منك...

حسن الأمين

● شاء السيد الأمين أن يقدمني شخصياً كمؤلف قبل تقديم الكتاب، ولا أعتبر أحداً أولى منه بهذا الحق، فهو كانت له يد مباركة بتشجيعي منذ فتوتي الباكرة. فألف شكر له. وأعتبر كلمته هذه دعوة لي لكتابة قصة مغامرتي الغريبة مع المعرفة والقلم والثقافة بوجه عام، لعل في ذلك بعض الإفادة للطامحين من أبنائنا.

المؤلف

مدخل البحث

• أخطاء وأمثلة

ليس من السهل هزّ الأعراف والمسلَّمات التاريخية، أو حتى التشكيك بها، بعد أن تكون رسخت في أذهان الناس وبنوا عليها أفكاراً ومعتقدات شعبية أو سجلّوها في كتابات، يصل بعضها إلى كتب التدريس والمراجع التربوية في المدارس والجامعات بحيث يغدو الخطأ هو القاعدة.

ولكن، برغم ذلك، فإن مسؤولية الباحث، الصادق مع نفسه والمخلص لرسالته، هي كشف ما يعتبره حقيقة ويظنّه أصيلاً، حتى وإن قاده ذلك إلى رفض هذه الأعراف والمسلَّمات وإظهار ما هو أصح منها وأقرب الى الواقع الذي تدعمه القرائن والإثباتات. حيث إن هذه القرائن قد تكون غابت عن غيره أو تكون غير متوفِّرة في زمن هذا الغير، أو في البيئة الثقافية التي نشأت فيها الأفكار الأوَّلية، التي غدت الأسس والمرتكزات للأخطاء التي ساندها مرور الزمن وأعطاها تكرار الاستعمال وجه شرعيتها.

وما يهمنا هنا ، بين هذه الأعراف والمسلمات، هو ما طرأ منها على المفاهيم التاريخية بعد الكشوفات الاثرية، التي بدأت في بلادنا، منذ حوالي مئتي عام، وحصرت نشاطها في أراضي مصر والعراق وفلسطين، مهملة إهمالاً تاماً أرض جبل عامل وما فيها من قرائن وبقايا حضارية وارتباطات عقائدية دينية بمصر الفرعونية، أو بأساطير البلاد الإغريقية. حتى أننا لنعجب من علماء كبار، من المشهود لهم عالمياً، يحاولون، عبثاً، تحديد مواقع، وردت أسماؤها في نصوص

فرعونية واضحة، في غير أرض جبل عامل، فيرتكبون هفوات كان من السهل تجنّبها لو أنهم عرفوا أرض بلادنا وتسمياتها وجغرافيتها، كما عرفوا أرض فلسطين المجاورة. أو لو أنهم أعاروا بعض الاهتمام لغير أرض التوراة وجعرافية «يشوع» فيها. مع العلم أن معظم الوقائع التي يدرسونها في السجلات الفرعونية حدثت قبل نشوء أسفار يشوع والقضاة بمئات السنين، ناهيك من زمن تسجيل هذه الاسفار المتأخر.

ولا نجد عذراً لهم في ذلك سوى أن الأموال التي كانت ترصد لبعثاتهم وأبحاثهم هي التي كانت تعيِّن لهم حقل العمل ومجال الاهتمام. ولكن هذا العذر ذاته، إذا بدا أنه كافٍ لمبتدئين أو لباحثين مندوبين لفترات معيَّنة ومهمات محدَّدة، فهو لا يكفي للكبار الذين تجاوزت مسؤولياتهم وشهرتهم هذه الاعتبارات المحدودة.

ووفق هذه الحالة التي نتمنَّى أن تكون عن حسن نيَّة، نجد جبل عامل لا يزال شبه مقفل في مجال الابحاث الأثرية الجادة والدراسات الموضوعية المعمَّقة.

ومثال على ذلك نورد شروحات وتعليقات أسهم بها عدد كبير من العلماء حول نص فرعوني يذكر مواقع جغرافية يعود للأسرة الثانية عشرة أو الثالثة عشرة في القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. وقد كان من عادة ملوك تلك الحقبة أن يكتبوا أسماء المدن المعادية لهم وأسماء ملوكها في أرض آسيا، حيث يقومون بلعنها، وفق اعتقاد بالسحر لديهم. وقد ذكر النص ثلاثة رؤساء للعناقيين مع أتباعهم، والأسماء هي: عروم، وأبو يميمو، وعقيرم، ثم ثلاثة رؤساء للشيثو وهم: أيابم، وكوشر، وزبولانو، ورئيساً لعسكانو هو : خالوكيم، ورئيسين ليورسلم هما: يقرعمو وسجعانو، ثم ملوك لزيبي وأتباعهم. ثم جميع الآسيويين في بيبلوس وألازا وعناق، وشوتو، وليموعارو، وقحرمو، ورحوب ويرموتا، وإنهيا، وأقهي، وعرقاتا، ويرموتا إزينو، وعسكانو، ودميتيو، وموتيلو، ويورسلم، وأخموت، ولحينو، ولزيبي (١).

فالعناقيون كانوا قبيلة ضرب بهم المثل بطول أجسامهم وأعناقهم وكانوا يقيمون في مدن عديدة في فلسطين، حسب جغرافية يشوع (١١: ٢١، ٢٢)، أي بعد زمن هذه النصوص بأكثر من خمسمائة عام . وما يهمنا هنا هو أسماء شيثو وسلم: فالذي شرح النص وعين مواقعه لم ينتبه الى بلدات «شيث» في جبل عامل، بل اعتمد على كلمة عابرة في سفر العدد حيث وصف بلعام بن باعور المؤابيين

بأنهم «أبناء شيث» (٢٤ : ١٧). ولو أنه كان يعرف أرض جبل عامل وتعدد القرى المنسوبة لشيث لما كان بحاجة إلى هذا الشرح الاحتمالي كما قال.

وكذلك كانت الحالة مع ملكي «سلم»، حيث حصر جغرافية الاسم بأورسلم وحدها.

وقد أكمل المترجم العربي لسفر العدد هذا الخطأ، فترجم الاسم «أبناء الوغى» تمشياً مع الأسطورة الفرعونية التي تعتبر «شيث» إلهاً للشر والمصاعب لكونه إله الهكسوس الساميين.

يعين موقع «عسكانو» في عسقلان ويذكر بلدتين باسم «سلم» ويترك شرح الموقع لاقتصار معرفته على «أورسلم» في فلسطين، مع العلم أن الموقعين يوجدان في جبل عامل متجاورين هما: مجدل سلم وخربة سلم، كما يوجد موقع ثالث فيه مزار باسم «صاليم» هو في بلدة «عرب صاليم». ويحيلنا في تعيين موقع «يرموتا» على العالم الكبير «ألبرايت» الذي يعينها قرب «بيت شان» في فلسطين وهي «جبل يرموتا» الوارد ذكره في سجلات «ستي الاول». والبرايت بدوره لو عرف بوجود بلدة «عرمتا» في جبل عامل لما أخطأ بتعيين الموقع الذي يرتبط خلال النص بمنطقة «جاهي» أي أرض لبنان، ولكنه اكتفى بورود الاسم في جغرافيا يشوع (٢١:٢٩) دون غيرها.

لقد نشر النص وحواشيه عالم الآثار الأميركي جيمز بريتشارد في مجموعته الشهيرة «ص ٣٢٨». وهذا العالم قام بآخر أعماله في المنطقة في بلدة الصرفند اللبنانية وقد فوجئت عندما التقيته سنة ١٩٧٥ بأنه لم يكن مطّلعاً على تسميات مواقع الجنوب، كما لم يكن قد تجوَّل فيه، برغم أنه كان عضواً في مجلس أمناء الجامعة الأميركية في بيروت. وقد طلب القيام بجولة علمية لتعرُّف المواقع الأثرية عن كثب، لكن الحرب حالت دون ذلك، ويبدو أنه تقاعد قبل أن يحقق مطلوبه الذي كان متحمساً له.

والخطأ الثاني والأكبر هو تكرار ذكر «وادي الأرز» في ترجمة النصوص الفرعونية. فالاسم يشير تلقائياً إلى وادي جبيل. ولكن متابعة دقيقة للموضوع تبين أن هناك التباساً في الترجمة عن الهيروغليفية، حيث ترجم العالم الكبير «بادج» الكلمة «وادي شجر الأكاسيا»، كما ترجمها عالم آخر «وادي الصنوبر» للنص ذاته فانتقل الوادي عندئذ من جبيل إلى «وادي العيون» بين مدينة صور

وراس الناقورة وذلك لتطابق الوقائع التي وردت فيها التسمية مع هذه المنطقة التي بنى فيها رعمسيس الثاني مدينة باسم «مري أمون»، هي اليوم «مريمين» في خراج بلدة «يعثر» كما سيرد معنا في أحد فصول هذه الدراسة. والشجر المقصود ليس الأكاسيا ولا الصنوبر إنما شجر غير معيَّن الاسم في الهيروغليفية، قد يكون الغار أو السنديان الذي لا يزال كثيفاً في الوادي بينما نشير أن للأرز أكثر من اسم في الهيروغليفية إذ حسب العالم «بريستد» في موسوعة نصوصه الفرعونية يرد له اسمان هما بالحرف اللاتيني bp’ -my -my وtp.t(٢) كما يرى غيره أنهم كانوا يطلقون اسم «أرز» على الكثير من انواع الشجر.

أما الخطأ الثالث وهو هام، فهو الاكتفاء بروايات الأسفار العبرية وعدم إعارة الروايات العربية أي اهتمام، مع أنها تحتوي قرائن هامة لا يجوز تجاهلها. وكذلك لنقل عن الباحثين في التراث الكلاسيكي الاغريقي. فالباحثون في هذا التراث الأخير لا يعودون سوى إلى مدينتي صور وصيدون في كتاباتهم دون الاهتمام بالامتداد البري الحيوي لهاتين المدينتين في القرى الجنوبية.

والخطأ الرابع، ولعله الأهم، هو ما يقع فيه عدد كبير من المؤرخين المعاصرين، حين يحاولون تحديد زمن البدء للحضارة العربية، فيحصرون أبحاثهم في جزء من الجزيرة العربية ويرون ما يسمونه عصر الجاهلية العربية نقطة الصفر لا نطلاقة هذه الحضارة مع الرسالة الاسلامية وحدها، مع العلم أن المؤرخين الأوائل لهذه الرسالة، ويرغم ندرة المعطيات التي كانت بين أيديهم، عملوا على ابراز تمهيدات الحضارة والرسالة معاً واعتبارهما استمراراً لحركة إنسانية نبيلة كانوا يعودون بها إلى بدء تاريخ الانسانية مع آدم وأبنائه وأحفاده والرسالات التي اضطلعوا بها. وأبرز مثال على ذلك عنوان موسوعة الطبري التاريخية «تاريخ الرسل والملوك» وقد عاد بها الى كل ما استطاع العودة إليه من روايات عن رسل ومعتقدات شعبية كانت تتناقلها الذاكرة الجماعية للذين كان يعيش بينهم.

وننقل هنا حديثاً شريفاً للنبي العربي عن ابن عساكر يؤكد نظرة الاستمرارية التي نلفت إليها. والحديث كان عن الأنبياء موجَّهاً إلى الصحابي أبي ذر الغفاري يقول: «يا أبا ذر: أربعة سريانيون: آدم وشيث وخنوخ - وهو إدريس - وهو أول من خط بالقلم، ونوح ، وأربعة من العرب: هود، وشعيب ، وصالح، ونبيك يا أباذر». قال: قلت: يا رسول الله كم كتاب أنزله الله عز وجل؟ قال: «مائة كتاب وأربعة

كتب، أنزل على شيث خمسين صحيفة وأنزل على خنوخ ثلاثين صحيفة وأنزل على إبراهيم عشر صحائف، وأنزل على موسى قبل التوراة عشر صحائف، وأنزل التوراة والإنجيل والزبور والفرقان» (٣).

وكان المؤرخ الطبري ممن نقلوا حديث الصحائف تكراراً، مشدداً على نزول خمسين صحيفة على النبي شيث (٤) وهذا ما سيكون له شأن في هذه الدراسة.

وإننا نرى في هذا الحديث الشريف حول الأنبياء السابقين للرسالة المحمدية تكريما جليل الأهمية للحضارات السابقة وللرسالات الإنسانية التي قادت هذه الحضارات. كما هو اعتراف ضمني بأن الرسالة العربية إنما هي استمرار ملتزم بالرسالات السابقة، حتى وإن تكن هذه الرسالات باللغة السريانية، كما يقول النص.

بل إن القرآن الكريم يفتح الآفاق واسعة أمام الرسالات الإنسانية جميعاً خلال نص الآية: «ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك. وكلم الله موسى تكليماً». (النساء ١٦٤).

وقد برز تفتح كبير في فهم هذه الرسالات، فقاد ذلك إلى التحرر من التحديد والانغلاق على الذات بتعيين البدء. فحاول المؤرخون العرب التوفيق بين المفاهيم والمعتقدات لديهم ومفاهيم الفرس ومعتقداتهم عن بدء التاريخ والخلق والتكوين. وبلغ ذلك حداً جعل المؤرخ «أبا زيد البلخي» يكتب في كتابه «البدء والتاريخ» فيقول: «وان هرمس الأول وهو أخنوخ» إدريس النبي صلعم كان قبل آدم بزمان طويل، وكان يسكن الصعيد الأعلى المتصل ببلاد السودان إلى الاسكندرية. وحول الناس إليه وأنقذهم من الغرق» (٥).

ففي هذا النص انفتاح ذهني يتسع لجميع الرسالات الحضارية ويعتبرها أرثا عاما ينتسب إليه كل من آمن به وعمل على استمراره، سواء من مفهوم ديني يعتمد النصوص أم من خلال مفهوم علمي مفتوح لكل المعطيات المنطقية والقرائن المستجدة مع تقدم وسائل البحث وتطور مناهج الفكر الحديث.

ووفق هذه المعطيات نجد ان التاريخ العربي لا يبدأ بالجاهلية العربية أو ببروز تسمية «العرب» ذاتها، بل إن هذه التسمية، التي كانت محدودة الدلالة حين ظهورها، استوعبت عدداً كبيراً من التسميات السابقة للقبائل والمجموعات التي عاشت وأنشأت حضارات وأنظمة فكرية واجتماعية في جميع أرجاء البلاد

المعروفة اليوم باسم «العربية». والتغاضي عن ذلك أو معارضته بعيد كل البعد عن الاصالة وحب الحقيقة. وهو ما يعزل العرب ذاتهم عن التاريخ الحضاري العام الذي يمتد إلى خمسة الآف سنة مضت على الأقل. هذا التاريخ الذي لا نرى حقاً لغيرهم برعايته والانتماء إليه والاعتناء بكشوفاته وتمويل نبشياته وأبحاثه. وهذا ما سيتكشف لنا خلال مجاهل تاريخ الجنوب اللبناني التي نحصر هذا البحث فيها.

وإذا كنا نحصر القسم الأكبر من الدراسة في السجلات الفرعونية فلأن المجهول الأهم من تاريخ الجنوب هو العلاقة القديمة بين سكانه وأرض مصر، مسترشدين لذلك ببعض الملاحظات التي وردت بأقلام بعض الباحثين الذين تعمقوا بدراسة الحضارة الفرعونية وتقصُّوا أصول صانعي هذه الحضارة. وأحد هؤلاء هو «لفيبور» الذي كتب في اوائل هذا القرن.

فقد لاحظ الباحث «لفيبور» أن علماء الهيروغليفية يتفقون على أن المفردات اللغوية المصرية القديمة هي سامية بقسم كبير منها، وكذلك هي قواعد استعمالها. وهذا يفترض أن تكون هناك غزوة للساميين إلى وادي النيل قبل التاريخ، وهي كانت أهم من غزوة الهكسوس، كما يقول. كما لاحظ وجود عادات للمصريين تماثل عادات الساميين كالخوف من الخنزير وممارسة الختان (٦) وكذلك كان رأي ماسبيرو الذي اعتبر أن دين المصريين ولغتهم يشيران إلى أنهم جاءوا من آسيا وليس من أفريقيا. (٧)

هوامش

1) Pritchard (J.B.), Ancient Near Eastern Texts, `p. 328 - 329 ed. Princeton University Press, 1969

2) Breasted (J.H.) Ancient Records of Egypt, (5 vols), 2: 234 ed. The University of Chicago Press, 1906

٣) ـ ابن عساكر ٢٣: ٢٣٨ و٣: ٢٧٥ ـ ٢٧٧

٤) ـ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، جـ ١ ص ١٥٣ و٣١٢ نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٠

٥) ـ البلخي، البدء والتاريخ، جـ ٢ ص ٦٧، نشر كلمان هوار، باريز، ١٨٩٩

6) Lefebure (E), Bibliothèque Egyptologique P.11 - 13 Publiée par Maspero, tome 35, 1912

7) Maspero, Races Connues des Egyptiens - tome 34 p. 153, - 1910

اسلاف العرب

في

الجنوب اللبناني

● العرب قبل التسمية

كان سترابو الاغريقي ابرز من اشار الى وجود العرب في الالف الثاني قبل الميلاد، وهو كتب ذلك في اوائل القرن الاول للميلاد، حيث قال في معرض حديثه عن سكان منطقة «عوبوا» الاغريقية: «... في العصور القديمة اقام فيها بعض العرب الذين جاءوا مع قدموس من البعيد» (١٠:١، ٨) والمعروف ان هجرة قدموس كانت في اواسط الالف الثاني قبل الميلاد، وفق القرائن المتوفرة.

وهو في مكان آخر من موسوعته كشف لنا ان لفظة «عرب» لم تكن واضحة لدى الاغريق، مذكراً بأن هوميرس استعملها في الاوديسية «ايرامب» (٤:٨٤) عند ذكر جولة «منلاوس» على بلاد عديدة وشعوب مختلفة، بينها الأثيوبيون والصيدونيون والايرامب. ويعزو سترابو تصحيح هذه اللفظة الى الفيلسوف الرواقي، الفينيقي الاصل «زينون» بينما يذكر ان الفيلسوف الافامي «بوزيدونيوس» كان عدلها الى لفظة «عرمب» (٤:١٦، ٢٧).

وهذا الاجتهاد في تصحيح اللفظة لدى الاغريق يكشف لنا ان التسمية كانت جديدة، وليست قديمة العهد في التداول والكتابة لديهم، بل انه ينقل عن بوزيدونيوس قوله ان العرب ينقسمون الى ثلاث قبائل، تولدت واحدتها من الاخرى وهي : الأرمن والآراميون والارمبيون، ويرى بناء على هذا الاجتهاد انه لا بد من وجود اسماء عديدة للعرب بدلاً من اسم واحد (٤:١٦، ٢٧) وهذا هو ما كان في الواقع قبل بروز تسمية «عرب». [١]

ولا بد هنا من التوكيد على وجود العرب مع قدموس عند انتقاله الى بلاد الاغريق، حسب اشارة الجغرافي الاغريقي. فهؤلاء لم يأتوا من الجزيرة او من الخليج، بل هم كانوا مجاورين لمدن الساحل اللبناني التي كان بحارتها، ينطلقون منها الى استعمار بلاد الاغريق، وما يجدر بنا ملاحظته هو تسمية عوبوا ذاتها فهي يتقارب اسمها مع تسمية «وادي عوبا» في جبل عامل وهما واحد في منطقة النبطية والثاني شرقي بلدة «عترون» الحدودية. كما في منطقة عوبوا الاغريقية رأس بحري باسم «كفروس» وهذا سامي المدلول بمعنى قرية. (٢,٦:٨)

والاشارة الثانية الى علاقة العرب القديمة بالاغريق هي شبه اسطورية سجلها المؤرخ ديودورس الصقلي في القرن الثاني قبل الميلاد. فهو ذكر ان قبيلة «ديبان» في الاردن كانت تعيش على تربية الابل وكانت تستضيف الغرباء، ولكن ليس أي غرباء يصلون الى ارضها، وانما «البويتيون» والبيلوبونيزيون» فقط. وسبب ذلك، كما يقولون، هو صداقة قديمة اظهرها «هرقل» نحو القبيلة، صداقة وصلتهم اخبارها بشكل اسطورة كتراث عن اسلافهم. (٦,٤٥:٣)

وينشر جوزيفس فلافيوس رسالة من «أرياس» ملك «اسبرطه» يعرض فيها انشاء حلف مع اليهود في القرن الثاني قبل الميلاد وهو يذكر فيها ان الاسبرطيين هم من سلالة ابراهيم مثل اليهود. (تاريخ اليهود القديم ٥:١٢)

وهنا لا نستغرب حفظ النسب لهذا المدى البعيد في الماضي لدى الساميين، كما لا نجد مجالاً لالحاق هذا النسب بغير العرب الذين استوعبت تسميتهم جميع احفاد ابراهيم، باستثناء ابناء يعقوب واحفادهم، الذين حصرتهم تسمية «يهود».

وهذه الاشارات تكشف ما تثبته قرائن أخرى متعددة وهو ان الهجرات السامية الى بلاد الاغريق كانت قبلية عامة، قبل التصنيف الى آراميين وفينيقيين وعرب وغير ذلك. اما لماذا تغلبت تسمية فينيقيين على هذه الهجرات في الالف الاول قبل الميلاد، فلأن هؤلاء استمروا بالتواصل مع المهاجرين من خلال نشاط صور وصيدا وارواد وجبيل، بينما توقف اتصال الاغريق بغيرهم في الداخل قبل حلول عصر الكتابة والتسجيل.

اما القرائن التي تثبت هجرة الساميين الباكرة الى بلاد الاغريق فأهمها الاساطير والتسميات التي اقتبسها الاغريق، ومثال على هذه الاقتباسات نأخذ ما يتواتر ذكره في التاريخ العربي. فهم عرفوا اسم «صديق» الذي يعني المستقيم

والعادل، فكتبه المؤرخ «ابولودورس» بلفظ «صندوقس» لكن شخصيته وشهرته تجعله سامياً صافياً وله اكثر من مزار في جنوب لبنان وفي بلاد الجليل المجاورة، ويبدو ان ملوك دويلات اليمن القديمة كانوا يستعملون اللفظة كصفة تشريفية لهم كما كشف ذلك المؤرخ العراقي جواد علي (٢:١٠٤) والتسمية موجودة قبل عهد ابراهيم، حيث كان اسم الكاهن الذي استقبله وباركه في اورشليم ملكي صديق (تكوين ١٤:١٨ , ١٩).

ويرى المؤرخ الاغريقي أبولودورس ان «صديق» الذي يسميه «صندوقس» هو والد «كنيراس» ملك جبيل الذي أسس مدينة «بافوس» في قبرص، وانشأ كهنوتا لافروديت فيها توارثه احفاده طوال اكثر من الف عام. [٢] كما هو يذكر ان من بين اجداد صديق وكنيراس «كفالوس» و«هرمس» وهذا ما عالجناه في بحث خاص عن حكماء الكنعانيين.

وما يساند فكرة الهجرة الى بلاد الاغريق رواية سجلها «الثعلبي النيسابوري» في كتابه «عرائس المجالس ـ وقصص الانبياء» حيث يقول: «وقال بعضهم: ذو الكفل بشر بن ايوب الصابر، بعثه الله بعد ابيه رسولاً الى ارض الروم.. وكان مقيماً بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة [٣].

و«لذي الكفل» هذا مزار في الجليل في بلدة «دامون» كما ذكر ذلك الرحالة الفارسي ناصر خسرو قبل الف عام [٤].

ويبدو ان هؤلاء الاجداد الساميين وصلوا او وصلت اخبارهم الى بلاد الاغريق قبل الانقسام الى شعوب ومجموعات قبلية، ولهذا نعتبرهم اصولاً مشتركة للعرب والآراميين والفينيقيين، وقد حفظ لنا التراث العربي بعض اصولهم خلال مرويات الانساب كما حفظت لنا ارض جبل عامل سجلات حضورهم التاريخي في بعض اسماء القرى والمقامات مثل: عباس، فرون، إدريس، وصديق وكيفا وغيرهم.



ينسب حديث شريف للنبي محمد يقول فيه: «كل العرب من ولد اسماعيل بن ابراهيم عليه السلام »[٥] ونقرأ في سفر التكوين لدى العبريين ان ابناء اسماعيل هم: بأسمائهم حسب مواليدهم: نبايوت، بكر اسماعيل، وقيدار، وأدبئيل، ومبسام، ومشماع، ودومه، ومسّا، وحدار، وتيما ويطور، ونافيش، وقدما. (١٢:٢٥).

ولنا ان نعتبر هؤلاء حلفاً اثني عشرياً من القبائل حسب تقاليد تلك الايام.

ولكن ما يلفتنا هنا ان «قدما» هو من الاسمعيليين، وهو اصغر اخوته، ومنهم، «يطور» الذي نرجح وجود اسمه في اسم بلدة «يعتر» في الجنوب اللبناني، كما ان «قدما» حملت اسمه قبيلة «القدمونيين» حسب سفر التكوين، (١٥:١٩).

كما في هذه الحالة يكون قدموس المهاجر للاستعمار في بلاد الاغريق صفة لأحد ابناء القبيلة والاسم هو لتعريف نسبه. والقبيلة من سلالة اسماعيل بن ابراهيم. كما يسجل الطبري رواية عن اسماعيل انه تزوج بنت مضاض بن عمرو الجرهمي وهي التي ولدت له أبناءه كما يقول: «ونبأ الله عز وجل اسماعيل فبعثه الى العماليق فيما قيل وقبائل اليمن». والعماليق هم اسلاف بني عاملة الجنوبيين. كما يسجل رواية هي: «وقال بعضهم: تزوج ابراهيم بعد سارة امرأتين من العرب، احداهما قنطورا بنت يقطان، فولدت له ستة بنين... والاخرى حجور بنت ارهير فولدت له خمسة بنين» (٦)

ونحن لا نستهين بهذه الروايات العربية وان لم ترد في الاسفار العبرية التي يعتمدها الغربيون، فالمؤرخون العرب امثال الطبري والبلخي والهمداني وابن سعد والواقدي وغيرهم، لم يلفقوا اخباراً وروايات من خيالهم وانما سجلوا ما وصلهم من قصص وجداول انساب بذات الطريقة التي سجل بها كاتبو الاسفار العبرية مروياتهم نقلاً عن ذاكرة المجتمع.

وهنا لا يسعنا الا لفت القارىء الى ما يواجهه الباحث من مصاعب وما يمكن ان يصل اليه من احكام حين يتصدى لتصنيف الشعوب والقبائل العربية القديمة. وهنا نستعير ما كتبه المؤرخ العراقي الكبير جواد علي في هذا الموضوع حيث قال:

«ورب سائل يقول: لقد كان للعرب قبل الاسلام لغات مثل المعينية والسبئية والحميرية والصفوية والثمودية واللحيانية وامثالها، اختلفت عن عربية القرآن الكريم، اختلافاً كبيراً حتى ان احدنا اذا قرأ نصاً مدوناً بلغة من تلك اللغات عجز عن فهمه، وظن اذا لم يكن له علم بلغات الجاهليين انه لغة من لغات البرابرة او الاعاجم فماذا سيكون موقفنا من اصحاب هذه اللغات وهل نعدهم عرباً؟

«والجواب ان هؤلاء وان اختلفت لغتهم عن لغتنا وباينت ألسنتهم ألسنتنا فإنهم عرب لحماً ودماً، ولدوا ونشأوا في بلاد العرب، لم يردوا اليها من الخارج ولم يكونوا طارئين عليها من امة غريبة». (٧)

وهنا وفي مجال اللغات المختلفة التي اشار اليها الباحث جواد علي نرى امكان

كشف العلاقة مع هذه اللغات، كما يسميها، عند قيام علم خاص بها، تحت عنوان عام هو: «اركيولوجية اللغة» وهذا ما افردنا له فصلاً خاصاً مع ملحقين احدهما من لغة اوغاريت والثاني من المفردات العامية المتحدرة منها عبر تواصل الاستعمال في الجنوب اللبناني.

وإننا إذ نشدد على هذا الجانب اللغوي من التراث العربي فللرغبة في ابراز اهمية المرويات الشعبية التي سجلها المؤرخون العرب واعتبارها مستنداً قابلاً للدراسة واعادة النظر بالمفاهيم التاريخية التي نتداولها عن الحقب الغامضة من تاريخ العرب قبل العهد الاسلامي، يضاف هذا الى كونها حقلاً جديداً أساسياً للدراسات التاريخية القديمة.

• عاملة العماليق

والمثل الواضح عن تلك الازمنة هو ما يلف قبيلة «العماليق» من غموض وما تسبه لها بعض الاشارات من اهمية تاريخية وما يربطنا بها في جنوب لبنان من علاقة.

فقد وردت معنا اشارة لدى الطبري ان اسماعيل حمل رسالة الهية الى قبيلة العماليق وقبائل اليمن، وهذا يعني ان هذه القبيلة كانت موجودة ومعروفة قبل زمن اسماعيل وابراهيم. وهذه القبيلة هي احدى تسع قبائل يجعلها النسابون من العرب العاربة الاصيلين في العروبة، والقبائل هي: «عاد ثم ثمود ثم اميم، ثم عبيل، ثم طسم، ثم جديس، ثم عمليق، ثم جرهم، ثم وبار». (٨)

وقد اقترن ذكر قبيلة عاملة التي شغلت ارض الجنوب اللبناني بانتسابها للعماليق عند عدد كبير من المؤرخين فنقرأ لدى ابن الاثير مثلاً عند حديثه عن والد الزباء: «وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف الشام عمرو بن الظرب بن حسان بن اذينة العمليقي، من عاملة العمالقة، فتحارب هو وجذيمة فقتل عمرو وانهزمت عساكره وعاد جذيمة سالما وملكت بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة، وكان جنود الزباء بقايا العماليق وغيرهم. (٩)

وكان الطبري قد سجل هذه الرواية بتوسع اكثر في النسب فقال: وكان ملك العرب بارض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن السميدع بن هوبر العمليقي - ويقال العمليقي من عاملة العماليق، وكان جنود الزباء بقايا من العماليق والعاربة الاولى. (١٠)

وعندما تكون هذه القبيلة لا تزال ذات اسم مستمر وفعل تاريخي حتى زمن زنوبيا اي القرن الثالث للميلاد ومنذ زمن اسماعيل وابراهيم فإنما يعني ذلك ان وجودها التاريخي دام طوال ألفي عام، وانها وحدها من العرب العاربة بقيت على المسرح وبالتالي يكون كل ما ينسب لها من فعل ونفوذ غير مستهجن ولا يسهل رفضه.

وحين البحث في السجلات العبرية نجد ان عمليق هو من نسل «أدوم» اي عيسو أخي يعقوب، كما يذكر ذلك سفر التكوين (١٢:٣٦) وقد كان العماليق ممن حاربوا الاسرائيليين في «رفيديم» قرب جبل حوريب (خروج ٨:١٧). وقد ذكر هذه القبيلة بلعام بن بعور بقوله: «عماليق اول الشعوب واما آخرته فإلى الهلاك» (عدد ٢٠:٢٤) وهكذا بهذا القول تؤكد النصوص العبرية قدم قبيلة العماليق، وهو ما تشير اليه النصوص العربية «وقد هزم يشوع عماليق وقومه بحد السيف» (خروج ١٣:١٧).

ويعدد المزمور الثالث والثمانون الذين تآمروا على الاسرائيليين فيذكر: «خيام ادوم والاسمعيليين، مؤاب والهاجريون، جبال وعمون وعماليق وفلسطين مع سكان صور، أشور ايضاً اتفق معهم. صاروا ذراعاً لبني لوط (٨٣: ٦-٨).

فنحن نجد ان عماليق بقيت جماعة مستقلة برغم ان اسفار الحروب العبرية كانت تتحدث عن فنائهم وتحريم ارضهم وكل حي من انسانهم وحيوانهم بأمر الهي كما يرد في سفر صموئيل الاول (٣:١٥). وكان ذلك في عهد شاول اول ملك لاسرائيل، ونعرف ان الاسمعيليين والادوميين والهاجريين اعتبروا عرباً في زمن مبكر، مندمجين في حياة الخيام والبادية، بينما المؤابيون والعمونيون سكان المدن غدت تشملهم كلمة ابناء لوط لكونهم، حسب الرواية العبرية، ابناء له من ابنتيه (تكوين ١٩:٣٧و٣٨).

ونقرأ في الرواية العبرية ان العماليق كانوا جماعة حرب وغزو، برغم ذلك كانوا رحومين مع اعدائهم بينما كانت فتاوى هؤلاء تقضي بإفنائهم، ففي زمن داود نقرأ: «... كان العمالقة قد غزوا الجنوب وصقلغ وضربوا صقلغ واحرقوها بالنار، وسبوا النساء اللواتي فيها، لم يقتلوا احداً، لا صغيراً ولا كبيراً، بل ساقوهم ومضوا في طريقهم.. فضربهم داود من العتمة الى مساء غدهم، ولم ينج منهم رجل إلا اربع مئة غلام الذين ركبوا جمالاً وهربوا واستخلص داود كل ما أخذه

عماليق، وانقذ داود امرأتيه ولم يفقد لهم شيء، لا صغير ولا كبير ولا بنون ولا بنات ولا غنيمة ولا شيء، من جميع ما أخذوا». (صموئيل الاول ٣٠: ١-١٩)

ويكرر المؤرخون نسب عاملة للعماليق فنقرأ للمسعودي قوله: «وان الزباء ابنة عمرو بن ظرب بن حسان بن اذينة بن السميذع بن هوبر، ملكة الشام والجزيرة من اهل بيت عاملة من العماليق». (١١)

وهكذا تكون قبيلة عاملة وحدها بقيت من العماليق فغدت وكأنها اسم آخر لهم، ووجود هذه القبيلة لم يكن اقل انتشاراً من اسلافها العماليق، وقد لاحظ ذلك المؤرخ جواد علي حيث كتب يقول: «ويذكر الاخباريون ان بطوناً من عاملة كانت في الحيرة، كما ان بعضاً منها كانت خاضعة للزباء، واذا صح زعم الاخباريين هذا فإنه يدل على قدم وجود هذه القبيلة في بلاد الشام والعراق، ولكننا لا نجد لها ذكراً، مثل أكثر القبائل الاخرى في كتب الكلاسيكيين». (١٢)

لقد أصاب عندما افترض «قدم وجود هذه القبيلة في بلاد الشام والعراق» فهي ان لم يرد لها ذكر في كتابات اليونان والرومان فقد ورد ذكرها مع قبائل عربية اخرى في سجلات اشور في القرن الثامن قبل الميلاد، وقد غاب اسم عماليق عن هذه السجلات مما يعني أنها كانت قد غدت التسمية الجديدة لها. (١٣)

ولكن النسب الى العماليق العرب بقي محط فخار واعتزاز حتى زمن الفتح الاسلامي فنقرأ لدى الواقدي ان خولة بنت الازور كانت تستثير همة النساء في حربها مع الروم لتحرير اخيها ضرار من الأسر قائلة: «يا بنات التبابعة والعمالقة خذوا أعمدة الخيام واوتاد الاطناب ونحمل بها على هؤلاء اللئام، فلعل الله ينصرنا عليهم او نستريح من معرّة العرب». (١٤) وهن كن أسيرات لدى الروم قرب دمشق.

لم يذكر الواقدي عاملة، بل ذكر حمير كسلالة للعماليق، ولعل ذلك يعود لتأخر دخولها في الاسلام.

وهنا لا بد من الاشارة الى موضوع نسب عاملة، فجميع الدلائل تشير الى انها قبيلة قديمة، ولكن النسابين العرب ارادوا الحاقها بجد معروف فنقرأ مثالاً لهذا الالحاق لدى البلخي حيث يقول: نسب اهل اليمن لا خلاف أنهم من ولد قحطان، وانما الخلاف في قحطان وهو قحطان ابو يعرب، وولد يعرب يشجب وولد يشجب سبأ واسم سبأ عبد شمس بن يشجب، وانما سمي به لأنه اول من سبا في العرب،

وولد سبأ سبعة نفر: الاشعر بن سبأ ومنه رهط ابي موسى الاشعري، وحمير بن سبأ وانمار بن سبأ وعاملة بن سبأ ومرة بن سبأ، وولد عاملة بن سبأ قبائل، ويزعم نسّاب مضر أنهم من ولد قاسط.

وقال الاعشى (مذكراً بالالتباس):

«اعامل حتى متى يذهبن — الى غير والدك الأكرم
«ووالدكم قاسط فارجعوا — الى النسب الأبلد الأقدم». (١٥)

وما يرجح لدينا هنا هو ان تعدد القبائل المنسوبة الى عاملة جعل النسابين يبحثون لها عن جد ابعد من سبأ، ومن هنا طرأت الشكوك على فكرة الحاقها بالجد سبأ، وقد كان الشك في موضعه. كما يذكر ابن خلدون رواية اخرى في نسب عاملة وهي: «ان الحارث بن عدي والد عاملة باسم امه عاملة، وهي من قضاعة، وذكر انها كانت في بادية الشام». (١٦)

هذه الروايات المتعددة تجعلنا نرجح الاصطناع فيها والعودة للنص الاشوري للتسمية، كما سنرى، اذ هو ذكرها في القرن الثامن قبل الميلاد، لكون هذا النص ذكر قبائل عربية متعددة، كانت معاصرة لها في ذلك التاريخ، وهو على الارجح ابعد في التاريخ من سبأ بن يشجب.



يذكر المؤرخون العرب روايات عن العماليق اسلاف عاملة، لم يلتفت اليها احد من الباحثين ومن هذه الروايات ما سجله الطبري وهو ان في زمن يوسف بن يعقوب كان الفرعون في مصر من العماليق واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن اراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح» (١٧).

وكان من السهل رفض هذه الرواية لو لم ترد رواية اخرى ترجحها ينقلها الطبري عن ابن اسحق عن ابن حميد وهي: «قبض الله يوسف، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر. (١٨)

فهذا يعني ان العماليق كانوا يحكمون مصر في زمن يوسف، ثم انتقل الحكم منهم الى المصريين، وهذا النص يتفق مع حكم الهكسوس لمصر وخروجهم منها في زمن مقارب للتاريخ المقدر لوجود يوسف فيها. وغياب اسماء ملوك الهكسوس وكتابات تعود لعهدهم في مصر تجعلنا نرجح رواية الطبري هذه وبخاصة ان كلمة هكسوس ذاتها تعني «الملوك الرعاة» كما يقولون يتفق مع وضع العماليق العرب،

وهو ما تشير اليه القرائن ونصوص المؤرخين، كما هو ما يرجحه الوضع الجغرافي لمصر والوضع الجغرافي الذي تشير اليه النصوص العبرية لأماكن وجود العماليق في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، حيث حاربوا الاسرائيليين على حدود مصر، وكانوا منتشرين حسب «صموئيل الاول» من الحوله حتى صحراء شور (١٥:٧)

- **ارض مصر والهكسوس العماليق**

يورد هيرودت الاغريقي ملاحظة كبيرة الاهمية بالنسبة لعلاقة مصر بالعرب والملاحظة هي: يعتبر الايونيون ان مصر الاصيلة تتحصر في دلتا النيل.. حيث ينقسم النيل الى فرعين يصبان في البحر عند بلوزيوم وكانوبس، وباقي ما اعتدنا تسميته مصر ينتمي، وفق هذه النظرية، إما الى ليبيا أو للأرض العربية، واذا قبلنا بذلك نكون مجبرين على الاستنتاج بأنه كان هناك زمن لم يكن للمصريين فيه ارض بتاتاً، لأني مقتنع والمصريين أنفسهم يعترفون بالحقيقة، وهي ان الدلتا هي ارض طمي مائي وهي انما ظهرت حديثاً (كما يمكن ان أرى) فوق الماء، فلماذا يصطنعون نظرية تقول بأنهم اقدم سلالة في العالم. (١٩)

يذكر هيرودت ذلك رداً على ادعاءات مصريي زمنه ولكن ما يهمنا منه هو العلاقة التي يشير اليها بين ارض مصر والبلاد العربية كما اعتبرها في زمنه، وتشهد مفردات اللغة الفرعونية على عمق هذه العلاقة، حيث نجد فيها اكثر من ربع مفرداتها من اصل سامي عربي، وهذا يعني ان وجود العرب او الساميين اسلاف العرب في مصر كان كثيفاً قبل عهد الهكسوس وسيطرتهم عليها، وهكذا لا بد ان كان للعماليق وجود هناك ما دامت هذه القبيلة لها وجود قديم كما ظهر لدينا، وفي هذه الحالة يكون قول الطبري ان الفراعنة ورثوا الحكم من العماليق قولاً صحيحاً يحتاج الى مستندات فقط لاثبات صحته وهذا ما نفعله في هذه الدراسة.



لقد كان ابرز مؤرخ تحدث عن الهكسوس الكاهن الفرعوني «مانيتو» في كتابه التاريخي الذي وضعه باليونانية لبطليموس الثاني فيلادلفوس حوالى سنة «٢٤١ ق.م.» وحيث ان الكتاب الكامل مفقود فإننا نعتمد النصوص التي اقتبسها منه بعض المؤرخين القريبين من عهده. ومن هؤلاء المؤرخين المؤرخ اليهودي الروماني جوزيفس فلافيوس وهو كتب يقول:

«... مانيتو هو من اصل مصري، مؤلف بارز خلال الثقافة الاغريقية لكونه كتب باليونانية تاريخ وطنه مترجماً كما يقول هو ذاته، عن الالواح المقدسة، وهو في نقاط خاصة من تاريخ مصر يلوم هيرودت الذي لجهله غيرّ الحقيقة، ومانيتو هذا في كتابه الثاني من تاريخ مصر كتب في ما يخص موضوعنا وانا انقل كلماته بحرفيتها وكأني استعين به كشاهد هو ذاته:

«في عهد حكم توتيمايوس، لا اعلم كيف ان الغضب الالهي عصف ضدنا، وفجأة جاء من الشرق شعب من اصل غير معروف فسيطر بجرأة على بلدنا، وبدون صعوبة او قتال استولى عليه بقوة نشيطة قبض على رؤساء واحرق المدن بهمجية ودمر معابد الآلهة، وعامل الاهلين بقسوة بالغة، فذبح الافراد واخذ الاولاد ونساء الآخرين كعبيد، وبالنهاية نصبوا ملكاً منهم يدعى «ساليتيس» وقد اقام هذا الامير في ممفيس فارضاً الضرائب على البلاد العليا والسفلى، جاعلاً حاميات في الاماكن الاكثر ملاءمة وبوجه خاص حصّن المناطق الشرقية، حيث كان يظن ان الاشوريين عندما يصبحون اكثر قوة سيهاجمون (من هناك) مملكته.

«وعندما رأى في منطقة «ستروييت» مدينة في موقع كبير المناسبة، يقع الى الشرق من فرع «بوباستك» ويدعى، وفق تقليد ديني قديم «أفاريس» بناها وحصنها بأسوار شديدة المتانة، وجنّد، فوق ذلك، جيشاً كبير العدد مزوداً بأسلحة ثقيلة، عدده يقارب مئتين واربعين الفاً لحمايتها.

«وكان يأتيها في الصيف لكيل الحنطة التي لديهم ودفع رواتبهم ثم للقيام بمناورات منظمة بعناية لارهاب الغرباء. وبعد حكم دام تسعة عشر عاماً توفي، وعقبه ملك ثان يدعى «بنون» شغل العرش طوال اربعة واربعين عاماً، وبعده خلفه «ابخناس» حكم ستة وثلاثين عاماً وسبعة اشهر، ثم «ابو فيس» واحداً وستين عاماً، ثم «أناس» خمسين عاماً وشهراً واحداً، وبعدهم حكم «أسيس» تسعة وأربعين عاماً وشهرين. هكذا كان الامراء الستة الاوائل منهم، الذين كانوا شديدي الحرص على تدمير الشعب المصري حتى جذوره.

«لقد سموا مجموعة هذا الشعب «هكسوس» ما يعني رعاة، لان «هيك» في اللغة المقدسة معناها «ملك» و«سوس» معناها راع بالمفرد وبالجمع في لغة العامة، وباجتماع هاتين الكلمتين تكون كلمة «هكسوس» والبعض يقول انهم كانوا عرباً»[٢٠]

كتب المؤرخ جوزيفس هذا النص كمقدمة مقتبساً إياه عن المؤرخ المصري مانيتو في محاولة لإثبات قدم الشعب اليهودي وأنه كان بين القبائل التي خرجت من مصر بعد سقوط دولة الهكسوس، وقد اخذنا منه هنا ما يعنينا وهو ما توجزه العبارة الاخيرة «البعض يقول انهم كانوا عرباً».

وفي تعليق لناشر نصوص «مانيتو» لدى المؤرخين الكلاسيكيين، كتب في الحاشية، ان هناك نصاً في بردية فرعونية تعود كتابتها للقرن الثاني او الثالث للميلاد تعرف الهكسوس بأنهم من ارض «هكسيوتا» في البلاد العربية، وهي هكذا كما يقول الناشر «وادل» ترجح القول بأنهم عرب. (٢١)

وفي قول مانيتو: ان البعض يقول انهم عرب. نجد حقيقة وضع العرب في زمن الهكسوس اي وجودهم الفاعل قبل ظهور اسمهم الصريح الجامع لقبائلهم ومجموعاتهم.

ولم يذكر جوزيفس علاقة الهكسوس بفينيقيا، ولكن الذين نقلوا نصوصاً عن «مانيتو» دون غاية سياسية مثله ذكروا هذه العلاقة، فقد ورد في نص «سنسلوس» الذي نقله المؤرخ «افريقانوس» هذا القول:

«تكونت الاسرة الخامسة عشرة من ملوك الرعاة، فقد كان هناك ستة ملوك غرباء من فينيقيا، استولوا على ممفيس». (٢٢)

وكذلك نجد في النسخة الارمنية لكتاب اوزابيوس، المؤرخ الكنسي الاقدم هذا القول: «الاسرة السابعة عشرة تكونت من رعاة كانوا اخوة من فينيقيا وملوك غرباء: استولوا على ممفيس». (٢٣)

ولا يتعارض القول انهم من فينيقيا وانهم عرب، بل ما يوفق القولين النص العربي الذي سجله الطبري وهو انهم من العماليق، اسلاف بني عاملة الاقدم. والقرائن التي نجدها في ارض بني عاملة في الجنوب اللبناني تثبت هوية هذه الجماعة من الرعاة التي امتلكت قوة استطاعت بها السيادة على ارض مصر طوال قرن ونصف القرن من الزمن تقريباً.

واولى القرائن نجدها في الحقل الديني لديهم، فهم اشتهروا بالتعبد للاله «شيث» وكان هذا الاله مكروهاً لدى معظم المصريين، وينسبون له قتل اخيه «اوزير» او «عزير» حسب اللفظ العربي، كما غدا مثالاً للقسوة والعنف والمشاكسة، حتى ان الاسم ذاته غدوا يفسرونه بالقوة المعارضة والعراقيل، كما ينقل المؤرخ

اليوناني بلوتارك عن مانيتو خلال كتابه «ايزيس واوزيريس». (٢٤) فقد نسب المصريون له كل شر تعبيراً عن كرههم لاتباعه الساميين.

وقد شاء بعض الباحثين الكبار ان يعتبر تعبد الهكسوس للاله «شيث» كان لأنهم وجدوا في صفاته ما يتناسب مع صفات «البعل» الكنعاني الذي كانوا يتعبدون له، وبهذا يكون هذا البعض اعترف بكنعانية الهكسوس، دون ان ينتبه الى كون الاله «شيث» هو إله اصيل باسمه وصفاته لدى فصيل آخر في ارض كنعان هو غير سكان مدن الساحل: عسقلان وصور وصيدون وجبيل وارواد واوغاريت وغيرها، هذه المدن التي عرفها الباحثون وعرفوا معبوداتها، ولم يكن «شيث» بينها، ويبدو أنه يعود الى عصر موغل في القدم، وهو سابق لانتشار عبادة البعل، في مصر وقبل عصر الهكسوس، لأنه كان مرافقاً لانتشار الساميين في ارض مصر. والعداء الذي كان ينشأ له أحياناً انما هو قرينة للخلاف الذي كان قائماً بين الساميين والافارقة في تلك البلاد. وهكذا نجد ان عبادته كانت تزدهر وتنتشر عند سيادة الساميين وتتقلص مع نشوء العداء لهم من قبل الافارقة حين يكون هؤلاء ذوي نفوذ وسلطة.

وما يثبت سامية الاله «شيث» الصافية هو ان تمثاله يظهره بلباس الآسيويين الكامل، وفي سنة ١٣٣٠ ق.م. اقيم له احتفال في مدينة «تنيس» في الدلتا لمناسبة مرور اربعمائة عام على سيطرته مع الهكسوس على مصر، ولم تكن تنيس هذه سوى المدينة التي انشأها الهكسوس باسم «افاريس» كما يرى الباحثون. ولا يبدو من الصدف ان يكون الوزير الذي حضر لاقامة الاحتفالات يدعى «ستي»، هذا بالاضافة الى وجود اثنين من الفراعنة في الاسرة التاسعة عشرة باسم «ستي». (٢٥)

وهذا الوضع اربك المؤرخين وجعلهم يفترضون وجود البعل تحت اسم «شيث» اله المصريين ولكن التمثال باللباس السامي الآسيوي كما يسمونه، يبطل هذه الازدواجية وبخاصة أن في زمن الاحتفال وعهد الزعامة الذي جاء بعدئذ كانت السيادة الدينية لدى الاسرة المالكة لآلهة الساميين وحدهم تقريباً، ولو عرف الباحثون في هذا الموضوع بمواقع «شيث» المتعددة في جنوب لبنان وبمركز هذه الشخصية في التراث العربي لانتفى لديهم كل التباس وتحققوا من شخصية هذا الرمز التاريخي وقدم وجوده لدى الساميين، سواء في مصر القديمة ام في البلاد

العربية، فهو واحد وهو الاقدم في النسب والاصل: شيث بن آدم الذي قدسته التقاليد بتلقيه اكبر عدد من الصحف الالهية...



كتب عالم المصريات «بادج» فصلاً بعنوان «ست او سوتي» في مجموعته عن آلهة المصريين وذلك ان بلوتارك اليوناني كتب الاسم «سيث» بينما وجود تمثال للاله يصوره برأس حمار وصدر انسان، وقد كتب على الصدر (chΘ) باللغة الفرعونية الديموطيقية.

وقد ذكر ان وضعه كان يتبدل في العقائد الشعبية، فكان رمزاً لقوى الطبيعة والظلام ثم تحول الى تجسيد للشر الاخلاقي والجسدي، وكانت قرينته دائماً «نبط حيط» اي سيدة البيت «نفتيس» باللغة اليونانية، ويرى بأن «حيط» تعني «السكن» كما هي في «حتحور» رفيقة «حورس»، (٢٦) وهذا يعني ان اسمها هو صفة لكونها زوجة «نبط» الذي هو «شيث» ذاته كما يدعونه في الجنوب المصري(٢٧) ويكون اسم الزوجة هكذا «النبطية» وهي المدينة المجاورة لبلدات «شيث» في الجنوب اللبناني.

ويكمل بادج قائلاً ان شيث غدا في الدلتا يحمل جميع الصفات المنسوبة للاله السامي «بعل» الذي يلفظه المصريون «بار» وتحت هذه الصفات كانوا يتعبدون له.

كما ينقل عن بلوتارك الاسماء التي يتسمى بها شيث وهي «طيفون وبيبو وسماي» ويرى انها جميعاً تعبر عن المعارضة والعنف والتجبر، وهو يرى في الحاشية ان كلمة طيفون ليست سوى كلمة طوفان العربية. كما يرى ان الحية هي رفيقة ست في حروبه وهي «ابيب» وقد كانت رمزاً له يرافقه. كما يستنتج بادج ان المملكة المفترضة لشيث كانت في الشمال من الافق، واسمه يكتب عادة بالهيروغليفية مع نصف دائرة مما يشير لانتمائه الى منطقة جبلية، وله رمز هو حيوان غريب لا وجود له عنقه يماثل عنق الجمل وله ذنب منتصب دائماً ينقسم طرفه الى شعبتين، (٢٨) وربما هو رمز الهلال الذي كان الساميون يتعبدون له في الصحراء.

والتسمية «بابي» مع الافعى نجدها لدى الكنعانيين المهاجرين الى قرطاجة، وذلك خلال نقش تركه القرطاجيون في وادي «سانتاس» في سردينيا على قاعدة تمثال من البرونز، والنقش هو: «الى أدن، الى سد، أدر، بابي» اي: «الى السيد الى

سد القادر، بابي». [٢٩] ونجد هكذا بعض الاختلاف في لفظ الاسم، لكن وجود الافعى والاسم محفور عليها مع كلمة «بابي» يجعله هو ذاته الوارد في النصوص الفرعونية، ونبش هذا الاثر، «موسكاتي» سنة ١٩٦٨ وهو يعود للقرن الخامس او الرابع قبل الميلاد.

وتبقى التسمية «سماي» ولا ارى فيها غير تسمية «بعل شماي» القرية الواقعة في جوار مدينة بحمدون في لبنان، ما دامت تسمية شيث منتشرة في كامل ارض لبنان وليس في الجنوب وحده، ولا ارى مدلولاً لها سوى صفة السماوي.

وجميع الدلائل والقرائن تشير الى ارتباط «شيث» بأرض لبنان وبالجنوب بوجه خاص، حيث تتعدد القرى والمقامات له مثل جبشيث، حدشيث، عدشيث، برعشيث النبي شيث، (في موقعين) عمشيث، كفرياشيث وغيرها.

ولكن المرء يصاب بالدهشة عندما يعرف كثافة آثاره واهميته في المنطقة ويجد غياباً كاملاً له عن مجموعات آلهة الالف الاول قبل الميلاد في المدن الساحلية خلال التسجيلات التي وصلتنا لها في النصوص الفرعونية او الاشورية والبابلية.

ولوجوده في المستعمرات الكنعانية القديمة في قرطاجة وما تفرع عنها نفترض ان بروزه يعود لزمن اقدم ولمجموعة مختلفة من الساميين، وفي هذه الحالة تكون تسميته القديمة محرفة اللفظ باسم «النبي صيدون» في صيدا و«صيد» في سردينيا واله الشفاء «شيد» (شيدرفا) اي «شيد الرفائي» في تدمر وعلى ساحل ارواد قرب «نهر الابرش» حيث كشف الاسم هناك العالم الفرنسي «دونان». [٣٠] كما يكشف بوزانياس انه كان ذا مركز مرموق يتعبد له الاغريق القدماء في «تريفيليا» تحت اسم «سترابس» (٦:٦)، وقد كانت العبادات الشرقية منتشرة في هذا الجزء من «البلوبونيز»، حسبما ينقل كاتب الحاشية عن «فريزر» الاختصاصي بهذا الموضوع وليس الاسم الاغريقي سوى تحريف لشيدرفا اي شيث الرفائي.

ويبدو ان اسم «شيث» ورد بوضوح في اوغاريت خلال اسطورة «أقهات بن دانيال الرفائي» في اللوحة الثانية العمود الرابع حيث استعانت عناة بخادم معبده عند صراعها مع اقهات من اجل القوس، وقد نشأ جدل واسع حول الاسم بين الباحثين لكون الكثيرين منهم لم ينتبهوا الى ان مسرح هذه الملاحم العائدة للالف الثاني قبل الميلاد كان في ارض لبنان وان «ست» هو النبي او الاله شيث، وليس «الست» اي السيدة كما شاء بعضهم ان يترجمها [٣١].

وهكذا يكون إله الهكسوس «شيث» القرينة الاولى التي تثبت انهم من العماليق اسلاف عاملة القبيلة التي عرف باسمها الجنوب اللبناني، وعند تعدد التفسيرات لكلمة شاسو نفترض انها كانت صفة لاتباع شيث فقط وان الهكشاسو تعني الملوك الشيثيين الذين ورد ذكرهم مع اسماء ملوكهم في سجلات اللعان المصرية وهنا نذكر بأن اسم شيث يلفظه السريان «شاث» كما ذكر ذلك الطبري المؤرخ وهذا يقربنا من لفظة «شاسو» الفرعونية.

ولوجود آثار شيث الثابتة في الجنوب اللبناني خلال تسميات القرى والمزارات الموقوفة له نجد لزاماً علينا البحث عن آثاره وعلائقه مع المنطقة العربية السورية، وهي الاقرب الى الشرق والامتن علاقة وتفاعلاً من ارض مصر مع ارض الليطاني وحرمون.

• شيث هو رمز قبائل «السوتو» القديمة

يربط بعض الباحثين بين شيث وقبائل السوتو التي كانت منتشرة في المنطقة، منذ الالف الثاني قبل الميلاد، وكان الباحث البلجيكي روبرت كوبر (٣٢) ابرز من درس موضوع القبائل البدوية حول مدينة «ماري» المجاورة للفرات، وقد برزت لديه ثلاث تسميات لهذه القبائل هي: آراميون واخلامو وسوتو، وقد خصص فصلاً أساسياً في كتابه لقبائل السوتو، فرأى خلال النصوص التي عالجها ان هناك ارضاً تدعى ارض السوتو، وان قبائلهم كانت تتجول في القسم الغربي من البادية السورية ـ العربية (ص٨٤) وكانوا يهددون باستمرار طرق القوافل والمدن التي يتجولون حولها.

وقد تحقق من ان معظم اسماء هؤلاء السوتو كان من استعمالات الساميين الغربيين، وقد حصل على اسمائهم ليس من سجلات ماري فقط حيث تسود لغة الساميين الغربيين بل من السجلات البابلية ايضاً حيث كانوا اقلية هناك، وهم حسب رأيه كانوا وحدة «أثنية» وليس مجرد قبائل مترحلة (ص ٩٦ و١٠٧).

كان النعت الذي يطلق عليهم هو «صب صاري» اي صبيان الصحراء وقد برز اسمهم في السجلات الاشورية للمرة الاولى في عهد «ادد نيراري» (١٣٠٠ ق.م).

وبينما نجد الاخلامو يوصفون احياناً بأنهم آراميون (ص ١١١) نجد السوتيين دائماً جماعة مستقلة من البدو واسعة الانتشار في غرب البادية.

ويحيلنا المؤلف الى العالم الاميركي «اولبرايت» الذي ربط بين هذه القبائل

وارض «شوتو» الواردة في نصوص اللعان الفرعونية. وعند العودة الى دراسة هذا الاخير وجدناه يعتمد نص بلعام فقط الذي يقول ان المؤابين هم ابناء شيث (عدد ١٧:٢٤). دون ان تكون لديه اية دراية بوجود قرى عديدة باسم شيث مع قبر له في الجنوب والبقاع وغيرهما من ارض لبنان، مع العلم ان اية نظرة عابرة الى خارطة الجنوب اللبناني او حتى ارض لبنان بوجه عام، لا بد من ان تلتقي باسم «شيث» في مكان ما، ومن هنا يكون علينا ان ننظر من زاوية متحفظة الى جميع الدراسات التي جرت لتاريخ المنطقة في السنوات المئة الاخيرة، ما دام هناك عالم عالمي المصداقية من مستوى اولبرايت يقع في مثل هذا الخطأ.

وهنا نشير الى ان اسم «شيث» والعقيدة الشعبية فيه تتفرد تقريباً بالشهرة والحرمة المستمرة منذ العصور القديمة، ولا نجد شاهداً على ذلك ابلغ من قصيدة السائح العربي عبد الغني النابلسي في القرن السابع عشر امام قبر النبي شيث وفيها يقول:

«يا نبي الله يا شيث
منك سر الحق مبثوث
صفوة الله ابن صفوته
فيه علم الله موروث» (٣٣)

فهذا الاحترام الذي يحمله الاهلون نحو رموز «شيث» في ارض لبنان بوجه عام، وفي الجنوب بوجه خاص، انما يشير الى التواصل والاستمرارية التاريخية التي حافظت عليها ارض لبنان دون غيرها من اراضي الجوار، وهذه الخواص الطبيعية للارض هي التي جعلت بدو البادية السورية ينشئون مستقرات لهم ومعابد باسم شيث، تحميها لهم طبيعة الارض وتمدها بالاستمرار ينابيعها ومراعيها الوافرة في كل الفصول، وهو ما لا يتوفر لهم في البادية المكشوفة امام الاعداء والطامعين من الغزاة. وهكذا كانت ارض لبنان بمجملها كحصن يلجأون اليه ويحتفظون بمقدساتهم في اكنافها.

ويعزِّز افتراضنا لذلك كون بدو الصحراء، كانوا غالباً معادين للدولة، اية دولة حاكمة، وكانت الدول تصدر اوامر بملاحقتهم والقضاء عليهم، وهذا يعني انهم كانوا مجبرين على البحث عن ملاجىء لهم تحميهم خارج البادية، وهذه الملاجىء كانوا يجدونها بين آكام لبنان الجنوبي واوديته. ولنا في مرسوم «اشور او بلّط»

الاشوري مثال على وضع بدو السوتو في البادية. فهذا اصدر مرسوماً يقضي بذبح السوتيين جميعهم من مشرق الشمس الى مغربها كما يقول النص. وهو انشأ حصناً فوق جبل «حي حي» لرصد تحركاتهم، ويرجح ان الجبل المذكور هو في منطقة حوران (ص ١٠٣).

كما لا بد من الاشارة الى تقاليد متوارثة للبدو كانت لا تزال متبعة حتى اوائل القرن العشرين زمننا نحن. فهم كانوا يأتون بقطعانهم في الربيع لزيارة مزارات الجنوب وتقديم النذورات لها باعتبارها مقدسات لهم، وهذا ما ذكره لنا المسنون في بلدة الشرقية، المجاورة للنبطية حيث يوجد مزار للنبي «الجليل» الذي كان محجَّة سنوية للبدو وقطعانهم يأتون ويقيمون احتفالات حوله وفق طقوس واعراف متوارثة، وهم كانوا يتوافدون الى المنطقة من اماكن بعيدة، ووفق هذه الظاهرة التقليدية يمكن تفسير علاقة قبائل السوتو في البادية السورية بمقامات النبي شيث في الجنوب اللبناني.

وفي دراسة للقبائل الآرامية قام بها «ريموند باومن» رأى ان السوتيين كانوا يقيمون على ضفاف اواسط الفرات في ارض تدعى «سوتيوم». ووفق رسائل «ماري» فإن اكثرية السوتو هاجرت الى الغرب من تلك المنطقة، ولم تكن هجرة «ابرام» غير جزء من حركة واسعة من ارض الرافدين. وكان السوتو هؤلاء الاكثر استقراراً بين البدو وقد استخدمهم الكنعانيون لرد الغزوات القبلية. وربط ابرام هنا بالآراميين انما يعتمد نص سفر التثنية الذي يصفه بهذا النسب قائلاً عنه: «آراميا تائهاً كان أبي، فانحدر الى مصر وتغرّب هناك». (٥:٢٦)

وكان اسم «السوتو» يغيب احياناً عن الاستعمال طوال قرون فتستعمل اسماء اخرى للبدو. وهو يذكر ان في زمن سرغون الثاني (٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م.) وردت اسماء اكثر من خمسين قبيلة آرامية وهذا ما جعل «موريتز» احد الباحثين الكبار يستنتج ان من وصفوا بالآراميين هؤلاء لم يكونوا سوى العرب لان الاسماء الواردة هي اسماء عربية.(٣٤)

وهذا الرأي يساند آرامية ابرام والد اسماعيل الذي يعتبر الجد الاعلى لقسم كبير من العرب، وما يرجح هذا الرأي في الاختلاط بين العرب والآراميين ما نقرأه في سجلات تغلا تبلاصر الثالث العائدة لسنة ٧٢٨ ق.م. حيث نجد تعداداً للقبائل التي تغلب عليها في البادية، فنجد اكثرها تسميات لقبائل عربية معروفة تحرّف

لفظها احياناً والسجلات لا تنسبها للسوتو او حتى للآراميين اذ وردت تسمية آراميين مضافة اليها معطوفة وليست صفة لها، وقد وصلتنا نسخ متعددة من نص هذه الاسماء نورد احدها وهو المعروف بـ«لوحة نمرود»:

«منذ بدء عهدي بالحكم حتى السنة السابعة عشرة من تملكي: إيطوع، ربوع، حمارني، لوحواطو، حاريلو، روبّو، رابيقو، حيرانو، رابيلو، نصيرو، غولوسو، نباطو، رحيقو، كا... رمولوتو، عديلي، كيبري، عبودو، غورومو، بغدادو، حنديرو، دمونو، دونانو، نلكو، راضي، (دا..) اوبولو، كرمع، عاملاتو، روعا، قبيع، لعطاو، مروسو، اماتو، هجرانو (والمدن): دوركور يغالزو، اديدو(؟) حصون سراجيتي، ولبانه وكاريل ماتاتي، وجميع ما للآراميين على ضفاف دجلة والفرات وسورابي حتى اوكنو على شاطىء البحر الاسفل، (الخليج) لقد هزمت الكثيرين منهم وذبحتهم واخذت اسلابهم» . (٣٥)

وهنا نلاحظ اسماء قبائل عربية عديدة مألوفة لنا، ولكن اهم ما يعنينا منها هنا هي قبيلة «عاملاتو» التي ينتسب لها ابناء الجنوب اللبناني حيث تدعى البلاد «جبل عاملة».

ولعل ورود اسم «عاملة» في هذه اللوحة العائدة للقرن الثامن قبل الميلاد هو اقدم ذكر لهذه القبيلة التي حمل الجنوب اللبناني اسمها واحتضن اكثر من غيره من المناطق مقرات ومزارات باسم «شيث» رمز البدو السوتو، مما يعني ان هذه القبيلة لم تكن بعيدة عن التعبد له والحفاظ على تراثه كما لم يكن اسلافها العماليق غرباء عن الذين حملوا عبادته الى مصر الفرعونية، ما دامت هي تحافظ على تراثها بمحافظتها على مقدساتها القديمة التي لا تزال تحظى بالاحترام ذاته الذي كان لها قبل انتشار الاسلام والمسيحية في ارضها.

والملاحظة الاخيرة عن وجود اسلاف العرب في الجنوب اللبناني هي في وجود اسم الالاهة «العزى» في جوار مدينة صور فقد ورد الاسم في رسائل تل العمارنة في اواسط الالف الثاني قبل الميلاد، وكان يطلق على موقع مائي ومدينة تتزود منها صور الجزيرة بالمياه وكتبها المترجمون «أوزو» ولوجود موقعين قريبين من برك راس العين باسم «العزية» احدهما «العزية الفوقا» والثاني «العزية التحتا» يتأكد لنا ان المنطقة هي باسم الالاهة التي وصلت الى الجزيرة العربية فيما بعد باسم «العزى». اما الموقعان فكانا، كما يبدو، مقامين لها تربط تسميتهما بها «ياء

النسبة» في اللغة العربية.

والقرينة التي تثبت ذلك هي في وجود البركة الكبرى الاغزر بين برك راس العين مبنية بشكل نجمة مثمنة كرمز للكوكب الرمز لهذه الالاهة التي تعرف ايضاً باسم «الزهرة».

وما يلفت الباحث هو وجود شجرات ثلاث في بلدة «مروحين» يقدسها البدو في المنطقة تحت احدى صفات هذه الالاهة وهي «ام الزينات». وقد كانت هذه الالاهة تعبد بثلاث شجرات سمرات بنخلة كما كان لها بيت ومعبد فسار اليها خالد بن الوليد وقطع الشجرات وهدم البيت وكسر الوثن، وكانت اعظم الاصنام عند قريش تقدم لها الاضاحي من البشر، ومن صفاتها «كوكب الحسن». (٣٦)

كما نشير الى ان تسمية العزية مماثلة لتسمية «النبطية» في جبل عامل حيث هناك ايضاً «النبطية الفوقا» و«النبطية التحتا» باسم قرينة شيث الالاهة «نبطي» والحالة هي واحدة بين الموقعين مع الاشارة الى تعدد تسميات «العزية» في الجنوب اللبناني.

ولعل ابرز ما يثبت العلاقة بين سكان لبنان القدماء بوجه عام والعرب الاصيلين في العروبة هو دراسة علمية انترويولوجية لجماجم السكان القدماء. ففي دراسة قام بها باحثان لجماجم وجدت في منطقة «خلدة» قرب بيروت من الجنوب وهي تعود للالف الثاني قبل الميلاد تبين ان هذه الجماجم عند سكان الشواطىء كانت متجانسة، وهي مستطيلة الرأس ومتوسطة وليس بينها اية جمجمة قصيرة الرأس مثل جماجم سكان الجبل الحاليين بمعظمهم، وقد شملت الدراسة ست عشرة جمجمة للذكور وثلاث عشرة جمجمة للاناث، ما عدا الاطفال، وتبين كذلك ان الجماجم هذه تشبه جماجم البدو في سوريا والاردن، وبخاصة منها جماجم بدو «الرولى» وجماجم بدو «الحويطات» وبني صخر، وهم قصار القامة. (٣٧)

وما تثبته هذه الجماجم من علاقة تجانس بين سكان خلدة للالف الثاني قبل الميلاد وبدو الاردن وسوريا المعاصرين تؤكده مفردات اللغة التي وصلتنا من ملاحم اوغاريت وهي اقرب الى اللغة العربية التي نستعملها وذات علاقة جوهرية بالمفردات العامية المستعملة في جنوب لبنان وهذا ما يتكشف لنا خلال فصل خاص بهذا الموضوع.

وهنا لا بد من التذكير بورود اسم «الحويطات» في سجلات تغلاتبلاصر للقرن الثامن قبل الميلاد ولفت الانتباه الى ان التزاوج الداخلي في القبائل العربية كان يحافظ على استمرارية السلالة دون تغيير كبير فيها.

هوامش

١) يراجع جواد علي حول موضوع التسميات هذا في المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - ج ١ ف ١ حيث كتب فصلاً واسعاً بعنوان «تحديد لفظة العرب» نشر دار العلم للملايين، بيروت ومكتبة النهضة - بغداد - ١٩٦٨.

2) Tacitus, The Histories, 2:3, ed Penguin Books, 1964

٣) الثعلبي النيسابوري - عرائس المجالس (قصص الانبياء) ص ١٤٥ - نشر دار احياء الكتب العربية.

٤) ناصر خسرو - سفرنامه - ترجمة الدكتور يحيى الخشاب نشر دار الكتاب الجديد ١٩٨٣ - بيروت.

٥) ابن سعد، الطبقات، ج. ١ ق ١ ص ٢٥ - طباعة ليون - بريل ١٣٢٢ هـ.

٦) الطبري تاريخ الرسل والملوك ١:٢١٤ و١:٢١١، نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٠.

٧) جواد علي، المصدر ذاته، ١:٣٣.

٨) النويري - نهاية الارب. جـ ٢ ص ٢٩٢، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة.

٩) ابن الاثير - الكامل في التاريخ جـ ١ ص ١٩٨.

١٠) الطبري جـ ١ ص ٦١٧.

١١) المسعودي - مروج الذهب ٢:٦٩، نشر دار الاندلس ١٩٧٣.

١٢) جواد علي - المصدر ذاته جـ ٤ ص ٤٦١ - ٤٦٢.

13) Luckenbill (Daniel David) Ancient Records Of Assyria And Babylonia 1: 788 ed University Of Chicago Press, 1926

١٤) الواقدي - فتوح الشام، جـ ١ ص ٢٩ - نشر عبد الحميد أحمد حنفي - مصر.

١٥) البلخي - البدء والتاريخ. جـ ٤ ص ١١٦ - ١١٧، نشر كلمان هدار، ١٩٠٣ - باريز.

١٦) تاريخ ابن خلدون جـ ٢:٢٥٧، وقد نقل النص جواد علي جـ ٤ ص ٤٦١.

١٧) الطبري جـ ١ ص ٣٣٥.

١٨) الطبري جـ ١ ص ٢٨٦.

19) Herodotus The Histories, 2:15, ed, Penguim Classics, 1960

20) Flavius Josephe, Contre Apion 1:73 - 83 ed Les Belles Lettres, Paris 1930

21)Manetho. Fr. 42 No 83 Note 3, Loeb, Classical. 1980

22) Passim Fr, 43

23) Passim Fr. 48& Fr.49

24) Passim Fr. 78 & 79

25) A.N.E.T, P. 252
26) Budge (Wallis E.A) The Gods Of The Egyptions Vol II, P. 254 ed The Open Court Publishing Comp. 1904, Chicago
27) Passim. P. 250
28) Passim. P. 246 - 247 & 243
29) Du Buisson (Robert Du Mesnil) Nouvelle Etude Sur Les Dieux Et Les Mythes De Canaan Chap Vii, P. 228, ed Leiden, E.j. Brill, 1973
30) Dunand (Maurice) Et Saliby (Nessib) Le Temple D'Amrith Dans La Perée D'Aradus, P. 39. Éd Paul Geuthner, 1985, Paris
٣١) تراجع حاشية انيس فريحة ص ٥٤٩ في كتاب «ملاحم واساطير من اوغاريت». نشر الجامعة الاميركية في بيروت، ١٩٦٦ (منشورات العيد المئوي).
32) Kupper (Jean Robert) Les Nomades En Mesopotamie Au Temps Des Rois De Mari, ed. Les Belles Lettres, 1957
٣٣) النابلسي (عبد الغني) رحلتان الى لبنان، نشر فرانتس شتاينر - فسبادن - بيروت ١٩٧٩

34)J.N.E.S. Vol Vii, 1948, Arameans, Aramaic And The Bible, By Raymond A. Bowmam, P. 66 - 70
35) Luckenbill (Daniel David) Ancient Records Of Assyria And Babylonia 1: 788 ed Unisersty Of Chicago Press. 1926
٣٦) محمود سليم الحوت، الميثولوجيا عند العرب (الطبعة الاولى) ص.٧٠ سنة ١٩٥٥

37) Bulletin Du Musée De Beyrouth XiX, 1966 (A Preliminary Report On The Anthropology Of The Phoenicians, By William M. Shanklin And Mussa K. Ghantus) P. 91 - 94 éd Adrien Maisoneuve - Paris

عمران الجنوب اللبناني في زمن الهكسوس

لم تقم اعمال نبش علمية في خرائب الجنوب اللبناني لنستقرىء معطياتها من اجل معرفة الوضع الحضاري للبلاد في الالف الثاني قبل الميلاد. هذا مع العلم ان دلائل الاسماء للقرى والخرائب تشير الى انها تحمل معالم ازدهار كبير كان متمثلاً بالمعابد المنشأة في المنطقة على اسماء الآلهة الذين عرفتهم مصر وتعبد لهم ملوكها في اواسط هذه الحقبة من التاريخ.

ولكن بعض الاشارات في النصوص الفرعونية تفيد عن هذا الازدهار حين تتبع مدلولاتها، وفي مقدمة هذه الاشارات تأتينا سجلات اللعان لأعداء مصر، وهي تعود الى القرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد. ففي هذه السجلات كان الملوك المصريون يسجلون اسماء المدن المعادية لهم في آسيا للعنهم وابعاد شرهم، وفق عقيدة سحرية كانوا يعتقدون بها. ومن الطبيعي هكذا ان تكون جميع الاسماء الواردة في هذه السجلات لمدن ذات شأن وخطر وليس مجرد قرى او مستقرات زراعية لا خطر منها، كما من الطبيعي ايضاً ان تكون المنطقة المعمورة بهذه الاسماء هي المنطقة المجاورة مباشرة لمصر وليس البعيدة عنها في داخل سوريا او في ارض الرافدين.

وبرغم ان كتابة الاسماء في هذه السجلات تحتاج الى قراءات وليس الى قراءة واحدة، وذلك بسبب تحريف لفظها من قبل كاتبيها فإن عددها الكبير وهو يقارب التسعين يشير الى عمران كبير مزدهر في ارض فلسطين ولبنان وفي الجنوب اللبناني بوجه خاص، والقراءة التي لا لبس فيها هي: رمنن (لبنان) حرمو (حرمون)

روبي (رحوب) عينو (عيون) بوتشمشو (بيت شمش) شوتو (شيث) كبن (جبيل) قني (قانا) عرقة (عرقة) بقعتم (بقعاته) فخر (فخار) ميشي (ميس) عزن (عوزي) ضور (صور) رطنو (ليطاني) يرمت (عرمتا) ابرى (آبل) عرحبوم (كرحبون). (١)

وقد وجدت نسخ عديدة من هذه السجلات وقام عدد كبير من الباحثين بمحاولة تحديد مواقع المدن المذكورة فيها ونشر بريتشارد في مجموعته احد هذه النصوص وكان «بوزنر» ترجم احدها وهو النص الموجود في متحف بروكسل، وقد علق اولبرايت على هذا النص وحاول تحديد بعض مواقعه ولكن تحديداته جاءت وفق نصوص العهد القديم العبري وحده، وقد قرأ: عرحبوم (رحوب) ومكتري (مجدل) وروشرمم (أورشليم).

ولكنه مع ذلك اعتبر نص بروكسل يغطي منطقة غرب فلسطين وفينيقيا حتى وادي الوثيرس، اي النهر الكبير في شمال لبنان وفيها الأزا وعرقة (٢)

وما يهمنا من هذه السجلات هو ان ارض لبنان بوجه عام كانت عامرة بمدن هامة تحسب مصر لعدائها اهمية، وقد رأى الباحثان ستاندروف وسيل ان هذه المدن المعادية لمصر قد تكون في أساس الحملة العسكرية التي اسماها المصريون الهكسوس، وقد اتاح اضطراب السلطة في عهد الاسرة الثالثة عشرة الفرصة لمثل هذه الغزوة الآتية من الشرق، وهذا يفترض ان يكون الهكسوس قد تهيأوا لزمن طويل في سوريا وفلسطين وانشأوا حصونا لهم هناك مثل كركميش، قطنه، غزة، شاروحين، مع العلم ان ليس هناك ما يثبت ان الذين بنوا هذه الحصون هم الذين سيطروا على الحكم في مصر باسم الهكسوس لانهم لم ينشئوا حصوناً في مصر مثل التي ذكرناها. (٣) هذا ما افترضه الباحثان.

ولكن العالم الشهير اولبرايت يؤكد ان الحصون المستطيلة الشكل ذات المنحدرات المقاومة للعربات ولآلات الحصار حول اسوارها هي من بناء الهكسوس فذكر منها: تل الفرعة، لخيش، حازور، تل بيت مرسيم، قطنة، تل اليهودية، قادش، تل القاضي، كما هو كرر التأكيد على رأي له كان اعطاه قبل ثلاثة عشر عاماً من تاريخ مقالته تلك وهو ان فلسطين بلغت قمة الفن في عهد الهكسوس وعلى الاخص في عهد الملكين خيان وابوفيس. (٤)

يذكر اولبرايت هذه الحصون الفلسطينية بمعظمها لأنها تم نبشها بينما في المقارنة معها نجد العشرات من مثيلاتها في الجنوب اللبناني لم يذكرها احد. فهنا

نجد العشرات من المدن الحصينة التي تعود لتلك الحقبة التاريخية والتي تحمل تاريخيتها في اسمائها حيث هي باسماء المعبودات التي ادخلها الهكسوس الى الدين المصري، ولم تظهر هناك الا في عهدهم والعهود التي تلت حكمهم وهي معروفة بانها تخص الكنعانيين وحدهم. وهذه المعبودات هي قرى كانت معابد او معابد شهيرة حولها قرى عامرة مثل: صفد، عناتا، قدس، رشاف، بعلة، (بلاط) وامثالها. ومن يتفحص جوار هذه القرى والخرائب المحيطة بها يكتشف ان العمران الكثيف فيها يدل على كثافة سكانية استثمرت اراضي وعرة وجلولا زراعية ضيقة لم تنشأ حاجة لاستثمار مماثل لها منذ ذلك التاريخ حتى اليوم، بل ان كثافة الآبار المحفورة في الصخر داخل هذه القرى والمزارع لحفظ مياه الامطار تجعلها جميعاً حصوناً معدة للمقاومة والحصار الطويل.

كما ان التحصين بالمنحدرات المقاومة للعربيات وآلات الحصار نجده في معظم قرى الجنوب المنشأة فوق الروابي والتلال، حيث مع بعض الجهد، كانت تلك القرى تتحول الى حصون طبيعية تحمي من يلجأ اليها. وهكذا تكون ارض الجنوب اللبناني بحكم تكوينها الطبيعي، مهيأة لتكون خط دفاع عسكري مكون من مجموعة حصون تصد الغزاة وتريك المعتدين بتعددها وبمناعتها. ولا أرى في قول «مانيتو» بأن الهكسوس حصنوا المناطق الشرقية بوجه الاشوريين الذين كانوا يترقبون اعتداءاتهم الا اشارة الى هذه التحصينات التي اعتبروها المدخل الى مصر ،سواء بطريق البحر كان ذلك ام بطريق البر. وهذه الارض كانت بالفعل طوال التاريخ القديم مركز الدفاع الاول عن مصر ونقطة الصراع الدائم بين سلطات ارض الرافدين او آسيا الصغرى من جهة وسلطات وادي النيل من جهة مقابلة. وكانت السيادة عليها دلالة على تفوق الفريق الذي يسودها.

ونحن نفترض ان الى ذلك العهد تعود ظاهرة استيطان الحوريين وانشاء تحصينات لهم كما تبدو آثارها على تلال مثل حبوش وشارما في منطقة النبطية، والقوزح وعيتا الشوب وسموخي وعين داما وكورا في منطقة بنت جبيل. فقد كان الحوريون احلافاً للكنعانيين والعرب السوتو الذين سيطروا على مصر، وهم كانوا على وئام تام معهم كما تشهد بذلك نصوص إيبلا السورية المكتشفة حديثاً.

وإن انشاء حصن يشرف على طريق للمركبات الآتية من الساحل الفلسطيني الى الداخل السوري يفيد ان هذه الطريق كانت تستعمل يومياً وبحركة ناشطة

تتطلب المراقبة الدائمة من قبل السلطات المسؤولة، وعندما نعرف ان اسم هذه الطريق هو اليوم «الطريق السلطاني» وهو يمر شرقي بلدتي يارون، آتيا من شمالي مدينة عكا، عبر جبال الجليل ثم يجتاز عبر بلدة عترون الى ضواحي مرجعيون قبل ان يستدير الى الشرق نحو بانياس او يكمل عبر سهل البقاع، عندما نعرف اهمية هذه الطريق لا نجد عصراً ننسب شهرتها اليه سوى عهد الهكسوس، في مصر الذي تطلب مثل هذه الطرقات فجعلها شرعية ومحمية بحصون تشرف عليها. اما الحصن المذكور فيعرف اليوم بخربة «عين داما» وقد ورد ذكره لدى يشوع كمدينة محصنة بين تسع عشرة مدينة مثلها وهي متجاورة (١٩: ٣٥) وذلك في القرن الثالث عشر قبل الميلاد عند تعداد مدن ارض نفتالي. والاسم في الاساس هو للاله الحوري «اداما» وقد ذكره زكريا بين الحصون والمدن الشهيرة (١:٩) عن الذاكرة التاريخية لديه فأخطأ المترجمون وترجموه «عين الانسان» اي عين آدم.

وما يجعلنا نرجح بناء هذا الحصن لحماية الطريق وفي زمن الهكسوس بالذات هو لمجاورته بلدة «يارون» التي كانت مدينة محصنة كما تدل على ذلك آثارها وهي لا تبعد اكثر من الف متر عنه، مما يعني انه لم يكن مدينة للسكن وانما حصناً باستطاعته قطع الطريق «السلطانية» متى شاء القائمون عليه لمرور الطريق في مضيق محصور امامه.

ثم نستدل من اسمه وهو اسم اله حوري هام كان الحوريون يقيمون له احتفالات في الشهر الثاني من كل سنة حسب تقويم ايبلاً (٥) نستدل من الاسم ان الحوريين هم الذين انشأوه مع حصونهم القريبة في القوزح وسموخي وعيتا الشوب وكورا، وهذه جميعاً لا تبعد عنه اكثر من خمسة الى سبعة كيلو مترات، وبالتالي فإن الحوريين لم يكونوا منتشرين في الجنوب اللبناني قبل محالفتهم مع الهكسوس، وان استعمال العربة والحصان للمرة الاولى في مصر في زمن الهكسوس كان بتأثير منهم، وان لم تظهر اسماء حورية بين اسماء الهكسوس هناك. فقد كانوا اقلية على الارجح.

لقد كانوا موجودين في ماري وايبلا ومنطقة حلب وفي اوغاريت وبرزت اسماؤهم في فلسطين في اوائل القرن الخامس عشر قبل الميلاد وبعد تحوتحمس الاول (٦)، كما افترض احد الباحثين.

هكذا يرى من تتبع القرائن الكتابية على وجود الحوريين. ولكن الاستدلال المنطقي يشير الى اكثر من ذلك فإنشاء حصن على طريق دولية مثل حصن «اداما» لا يحدث من قبل مجموعة طارئة على المنطقة او من قبل دولة مدينة فقط، بل هو يشترط وجود سلطة دولية عامة، وهذه لم تكن الا في زمن الهكسوس. كما ان وجود الحوريين ايضاً لم يكن جديداً في المنطقة وان لم يرد ذكر لهم في النصوص العبرية، فإن وجودهم الراسخ في حياة ايبلا ويومياتها تجعلهم اصيلين في المنطقة. فأحد ملوك ايبلا في اوائل الالف الثاني قبل الميلاد يحمل اسما مركباً من اللغة الامورية واللغة الحورية «إغرش حبا» كما ان اسماء اشهر السنة في هذه المدينة كانت موزعة بين الحوريين والساميين (٧) . وان وجود «كورا» في جوار بلدة رميش ووجود بلدتين باسم «بلاط» في الجنوب يفيد ان حوريي الجنوب جاءوا في حقبة تاريخية من منطقة ايبلا حيث لكورا هناك معبد تقدم له فيه التقدمات كما ان اسم الالاهة الانثى رفيقة «داغان» هو «بلاطو» اي البعلة، باللغة العربية ولغة اوغاريت القريبة منها. وكذلك لنقل عن وجود اسم «زون» في اسم مجدل زون في منطقة صور، فهذا الاسم ورد كاسم لاله في ايبلا ومن الممكن ان يكون جاء في تلك الحقبة من العلاقة مع ايبلا الى الجنوب اللبناني.

لقد كانت علاقات مصر ودية مع ايبلا الكنعانية كما تشير لذلك نبشياتها العائدة لزمن الهكسوس، وقد وجد في ايبلا صولجان لفرعون من الاسرة الثالثة عشرة هو «حوتب ايبرع» (٨)، ويبدو ان في عهد هذا الفرعون تمت سيطرة الهكسوس على مصر حوالى سنة ١٧٣٠ ق.م. ووجود هذا الصولجان، حيث وجد يرجح لنا الرواية العربية القائلة بأن ملك مصر استنجد بالعماليق لإخماد ثورة على حكمه فأنجدوه واستولوا على السلطة، كما سجل الرواية ابن خلدون في تاريخه. (٩)

وهدية الفرعون الرمزية هذه لملك من الساميين، أسلاف العرب ذات دلالة هامة، وقد كانت ايبلا في قمة ازدهارها آنذاك وكان لقب هذا الفرعون «ابن الآسيويين». ولذلك لا نستبعد ان يتضمن الصولجان طلب مساعدة عسكرية اذ هو يحمل رسم قردين حول اسم الملك وهما في وضع تسلق مما يجعلنا نفسر ذلك انه تعبير عن خطر افريقي كان يتهدد سلطة الفرعون. ومثل هذه الرسائل الالغاز كان مألوفاً بين الملوك القدماء.

ولنا في هذه الحالة ان نتخيل وضع الجنوب اللبناني، وهو المركز الاهم للعلاقات مع مصر. كما تجدر الاشارة الى وجود اله بين مقدسات ايبلا باسم «أماريك» او «عماريق» ولا ارى في الاسم الا تحريفاً لاسم «عماليق» الرمز الاعلى لبني عاملة، ما دامت جميع الروايات تشير الى قدم قبائل عماليق في التاريخ وحرف اللام تكتب راء في اللغة الفرعونية كما رأينا من سجلات اسماء المدن. ولا نستبعد ان يكون تحريفه حدث كذلك في لغة ايبلا.



لقد كاد الباحثون في الحضارة الفرعونية المصرية ان يعتبروا البر الآسيوي في الشرق من وادي النيل منطقة فراغ يتنقل فيها البدو الذين كانوا يهددون الحدود المصرية الشرقية بالغزو والتخريب. لكن بعض الاشارات تدل على انها كانت في هذه المنطقة حضارة متقدمة تختلف بنهج الحكم فيها عن النهج السلطوي الفرعوني الشمولي كما انها تدل على أن مصر هي التي كانت تغزو مدن هذه الارض وتدمرها كلما لاح فيها ثراء وتألق بريق التقدم والحضارة فيها. وهكذا لم تكن فترات الثراء والازدهار في الحضارة الفرعونية الا نتيجة سلب وتدمير للمدن الكنعانية في ارض فلسطين ولبنان. ولم يكن ذنب لهذه المدن سوى عدم خضوعها للسلطة الشمولية المركزية الواحدة في وادي النيل، ثم بالتالي عدم اتحادها وتشكيلها لجيوش جرارة موحدة القيادة على غرار جيوش الفراعنة.

وهناك لوحة مرسومة وجدت في قبر «خنوم حوتب» الثالث في منطقة «بني حسن» تشهد لهذا التقدم الذي كان على الحدود الشرقية لمصر. واللوحة تعود لسنة «١٨٩٠ ق.م.» كما تعينها تاريخيتها، وهي تحتوي على رسم لتجار يحملون الكحل الى مصر وعددهم سبعة وثلاثون شخصاً، وتعرفها الكتابة قربها بأنها «ملك البلد الاجنبي إيبشا (او أبي شار حسب اولبرايت)». وإيبشا هذا له لحية مثيل جميع الساميين كما يرسمهم الفن الفرعوني، وهو يلبس رداء ملوناً ويتبعه رجل يلبس «تنورة» وبعدهما فريق من اربعة محاربين يحملون رماحاً وعصياً واقواساً، ويلبسون، نعالا من جلد، وتتميز الاقواس التي يحملونها بأنها مركبة وذات تقنية متقدمة في ذلك الزمن، كما يحمل احد الاشخاص «عودا» للموسيقى. وقد رأى اولبرايت ان الحمار الذي يحمل الامتعة يحمل معها «كيرين» لنفخ النار، مما يشير الى انهم كانوا من صناع الاواني والاسلحة المعدنية، مستشهداً على ذلك،

كعادته، بما ورد في سفر التكوين العبري عن ابناء «لامك»: «يوبال الذي كان ابا لكل ضارب بالعود والمزمار، وصلة ايضاً ولدت توبال قايين الضارب كل آلة من نحاس وحديد». (٤:٢١ ـ ٢٢).

كما هو رأى انهم من منطقة «شوتو» التي افترض انها في اواسط الاردن كما يقول [١٠] دون ان ينتبه الى بلدات «شيث» في الجنوب اللبناني.

إن مجمل معالم هذه اللوحة يشير الى تقدم حضاري لدى اشخاصها، بدءاً من كير الصناعة المعدنية حتى الثياب الملونة والاحذية، ثم القوس المركبة والآلة الموسيقية، وانواع الثياب التي تتميز بين لباس الرجل ولباس المرأة، حيث نجد لباس المرأة فيها يصل الى قرب الكاحل بينما لباس الرجل حتى الركبة فقط.

وكمبدأ عام نعرف ان الصناعة عندما تبدأ بالتصدير وانتقال الذين يمارسونها الى بلدان اخرى لا بد من ان تكون عمت الارض التي وجدت فيها فيلجأ هؤلاء الى بلدان جديدة. كما ان ممارسة الموسيقى لا تحدث في مجتمع لا تراث لديه ولا انسجام ذوق بين ابنائه.

وهؤلاء الشوتو، حسب اولبرايت، وهم المتقدمون في الصناعة والحضارة هم ذاتهم الذين كانت لهم مدن تعارض سلطة الفراعنة قريباً من ذلك الزمن.

وفي العودة الى سجلات اللعان السحرية الفرعونية التي تعود للقرنين التاسع عشر والثامن عشر قبل الميلاد نجد ثلاث مدن في المنطقة باسم «شوتو» مع اسماء ملوكها وهم «أيابم وكوثر وزيلانو» ولا وجود لمدن متجاورة بهذا الاسم، الا في الجنوب اللبناني منها: جبشيث، حدشيث، برعشيث، وعدشيث. ويبدو ان هذه المدن كانت مزدهرة وحصينة في ذلك الزمن ولذلك كانت متمردة على سلطة مصر. اما اسماء ملوكها فهي اقرب الى اللغة العربية التي نستعملها كما وردت بلدة اخرى باسم «شوتو» بعد ذكر جبيل والازا في الشمال، حيث هذه الاخيرة كانت قرب طرابلس، مما يشير الى ازدهار اتباع الاله شيث في عامة ارض لبنان في ذلك الزمن. هذا مع التذكير بأنه لم يرد ذكر لصور وصيدون او بيروت في تلك السجلات بينما ورد اسم «عرقه» بين هذه المدن المتمردة.

وفي ذات السياق ورد اسم بلدتين باسم «سلم» هما على الارجح ايضاً بلدات الاله «سلم» في الجنوب اللبناني وهي مجاورة لبلدات شيث: مجدل سلم وخربة سلم والرب سلم (عرب صاليم) والملكان في هاتين البلدتين هما باسم «يقرعمو

وسجعانو». [11]

لقد ورد في النص اسماء ثلاثة ملوك للعناقيين وهؤلاء هم من الرفائيين الكنعانيين، كما يصفهم سفر العدد (١٠:٢) لكنه لم يذكر العماليق الذين تنسب لهم قبيلة عاملة الجنوبية مع ان هؤلاء كانوا في المنطقة وكانت لهم بلاد تنسب لهم في زمن ابراهيم عندما غزا المنطقة ملك عيلام مع ملوك ارض الرافدين، حيث يقول نص التكوين «وضربوا كل بلاد العمالقة...» (٧:١٤) وهنا نرى ان كلمة «شوتو» اي اتباع شيث كانت هي البديل لكلمة عماليق الواسعة الدلالة اما اسماء ملوك العناقيين فهي: «عروم وابي يميمو، وعقيرم» وهي من ذات اللهجة اللغوية السامية التي ورثتها العربية فيما بعد.

ويرد في النص اسم مدينتين باسم «يرموتا» تتميز احداهما بانها «يرموتا أزينو» حيث رجح بريتشارد ان تكون يرموتا بيت شان (بيسان) وفي هذه الحالة تكون يرموتا الثانية هي المدينة التي تكرر ذكرها في رسائل «تل العمارنة» كمركز اداري هام للحكم المصري آنذاك، وهي في الجنوب من مدينة بيروت، حيث كانت سفن ملك بيروت «عمونيرا» تمنع الجبيليين من الانتقال اليها. ولم يستطع الباحثون من تحديد موقعها الذي قد يكشف الكثير من تاريخ تلك الحقبة المضطربة لما تذكره الرسائل من اهمية هذه المدينة. ولعل التعامل بجدية مع ارض الجنوب اللبناني من قبل بعثة مسح آثاري صحيح يكشف هذا الموقع الذي يبدو انه باسم «عرمتا» على الأرجح، وهو اسم لاله غامض يحمله عدد من القرى في ارض الكنعانيين القدماء، وقد وجد اسمه مكتوباً على صخرة في «دير القلعة» في جوار بيت مري. كما هناك قرية بهذا الاسم حالياً في الجنوب اللبناني، في الجبل المطل على مدينة صيدا[12]. اما المكان الذي نفترضه لهذه المدينة فهو «تل البراك» الى الجنوب من مدينة صيدا، فهذا التل تدل مظاهره وبقايا الانشاءات حوله على انه كان مدينة ذات شأن هام في زمنها، ونفترض ان كلمة «أزينو» اضيفت الى احدى المدينتين لتمييزها من الاخرى بسبب قربهما المكاني.

وكي نبقى في السياق التاريخي لسجلات المدن المتمردة نتفق مع الذين رأوا ان الهكسوس هم ابناء هؤلاء المتمردين واحفادهم وان الاجتهاد في تفسير كلمة «هكسوس» كان خاطئاً حتى الآن، فاللفظة ليست تعني: الملوك الرعاة او ملوك البلاد الغريبة او ملوك مدينة «هكسيوتا» العربية [13] . والصحيح ان كلمة

«شاسو» هي ذاتها التي كانت تعني جماعة البدو الرعاة في لبنان وفلسطين على ان نأخذ مدلولها من التراث السامي ذاته وليس من القبطية. وفي هذا التراث تعني اتباع الاله «شيث» او «شاث» كما ذكر لفظه المؤرخ الطبري حيث قال: «.. وهو بالعربية شث وبالسريانية شاث وبالعبرانية شيث...» (١٤)

وفي كل الكتابات العربية ترد «التاء» مثلثة اي اقرب الى السين بالحرف اللاتيني، ولكن جهل الدور الذي كان لهذا الاله في عقائد الساميين القدماء، كما جهل آثار لبنان المتعلقة به ادى الى هذه الحيرة في تعريف اللفظة، وكان ابرز من كتب اللفظة بالحرف اللاتيني عالم المصريات جيمز بريستد خلال نصوص وسجلات مصر القديمة: (s ̉ sw) (٢:١٢٤) و "s̆, -sw" (٣:١٠١) وغيرها كما كتب آسيويين "st -tyw" (٢: ٧٨٧) و"st-tyw" (٣:٤٩) و(٤:١١٩) وغيرها.

وحيث هو ذاته اورد تعريفاً مركباً هو "Mntyw stt" اي «شيثين منتيو» (٢:١٤) ولفظة منتيو وعمو (٣:١٣٩) كانت تعني الآسيويين بوجه عام فنحن نعتبر اللفظة ذاتها تعني الشيثين الآسيويين، اي اتباع شيث في آسيا، وهم سكان الجنوب اللبناني، اي جبل عاملة.



وخلال استعراضنا لآثار «شيث» في الجنوب نجد لدى الاهلين اعتقاداً عميقاً بالمزارات الموقوفة له في القرى المنتسبة اليه، ومن معتقدات اهالي بلدة «جبشيث» الواقعة الى الجنوب من مدينة النبطية ان «شيث» ابن آدم مدفون في بلدتهم ولا يزال قبره يحتوي على بقاياه، كما سجل هذا الاعتقاد الباحث الفرنسي، «غيران» عند زيارته للبلدة في اواسط القرن الماضي (١٥) ولا يزال هذا الاعتقاد متداولا بين الاهلين، وهو يعني ان الرواية تحمي حرمة المقام والمقام مرتبط بنشوء البلدة ما دامت تحمل اسمه، وينسب له الاهلون اليوم القدرة على الانتقام ممن يعبث بمزاره او يستهين به.

كما، قرب بلدة «حاصبيا» عند كعب جبل حرمون مقام خاص باسم «النبي شيث» زاره الباحث «بروس كونديه» سنة ١٩٥٣. ولاحظ وجود خزف حوله يعود الى عصر البرونز ورأى نقشاً على بلاطة بازيلت يحمل رسم الالاهة «تانيت» التي اشتهرت في قرطاجة وبلاد المتوسط القديمة، والرسم كناية عن مثلث ورأس وذراعين ممدودين، بالاضافة الى قرص الشمس، الرمز الفرعوني للاله «رع» كما

قال. وقرب المقام توجد خلوة هي مركز ديني هام للطائفة الدرزية الكريمة. [١٦]

وهذا النقش للالاهة «تانيت» في مقام للنبي شيث هو ما يساند فرضية ان «سيد» وادي «سانتاس» في «سردينيا» هو ذاته شيث ارض الجنوب اللبناني، وقد حمل الاعتقاد به المهاجرون الاوائل الى تلك البلاد الى جانب الالاهة «تانيت» التي ظن بعض الباحثين انها ليبية الاصل، بينما يحمل بعض قرى الجنوب اسمها ويشهد لوجودها القديم فيه، وان لم يرد ذكرها مع آلهة صور وصيدون، وذلك أسوة باسم شيث، وهذا يعني انهما يعودان لعصر سابق لاشتهار هاتين المدينتين واشتهار معبوداتهما معهما. كما انهما يشيران الى هجرة قديمة سابقة لنشوء قرطاجة ونشاطها في حوض المتوسط.

ولعل كثافة العمران وتعدد القرى المتجاورة باسم شيث او سلم او بدون الاسمين في ارض الجنوب تشهد لازدهار هذه البلاد وعمران ارضها في تلك الحقبة التاريخية، وهذا التقدم هو الذي ادى الى معارضة مصر وقد تكلل باحتلالهم لها وانشائهم المدن والتنظيمات العسكرية المنيعة فيها باسم الهكسوس في اواخر القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

وقد سجلت الرواية العربية وحدها هذا الحدث الذي نقله ابن خلدون على الشكل التالي: «ومن هؤلاء العمالقة فيما يزعمون، عمالقة مصر، وان بعض ملوك القبط استنصر بملك العمالقة بالشام لعهده واسمه الوليد بن دومغ، ويقال ثوران بن أراشة بن فادان بن عمرو بن عملاق فجاء معه. ملك مصر واستعبد القبط».

كما ينقل عن الجرجاني قوله: «قال الجرجاني، ومن ثم ملك العماليق مصر ويقال: ان منهم فرعون ابراهيم وهو سنان بن الاشل بن عبيد بن عولج بن عمليق وفرعون يوسف ايضاً منهم وهو الريان بن الوليد بن نوران. وفرعون موسى كذلك وهو الوليد بن مصعب بن ابي اهون بن الهلوان ويقال انه قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران. وكان الذي ملك مصر بعد الريان بن الوليد طاشم بن معدان».

وهكذا نجد تعدد الروايات العربية يثبت ذلك الحدث التاريخي اما الاسماء واختلافها عن النصوص الفرعونية في معظمها فهو يعود الى تعدد الاسماء والالقاب للفراعنة بدرجة اولى ثم لاختلاف اللفظ بين لغة واخرى كما هي العادة في كل اللغات.

ولا يقف ابن خلدون بذهنيته التاريخية الباحثة عند نقل الرواية وانما يساندها بمعلوماته التاريخية، دون ان يشير اليها او الى الجنوب اللبناني فيقول:

«اول ملك كان للعرب بالشام فيما علمناه، للعمالقة، ثم لبني إرم بن سام ويعرفون بالأرمانيين.. وكان آخر هؤلاء العمالقة ملك السميذع بن هوشر وهو الذي قتله يوشع بن نون، حين تغلب بنو اسرائيل على الشام، وبقي في عقبه ملك في بني الظرب بن حسان من بني عاملة العماليق. وكان آخرهم مُلكا الزباء بنت عمرو بن السميذع» (١٧)

وهكذا نجد ابن خلدون يحدد زمن العماليق اسلاف بني عاملة قبل زمن الآراميين، ويجعل يوشع بن نون هو الذي قضى على آخر ملك ينتسب لهم، بينما في النصوص العبرية نقرأ ان صموئيل هو الذي قضى على عجاج العمليقي وقطع جثته في زمن ملك شاول الذي كان اكتفى بأسره (صموئيل الاول ١٥: ٣٣). وكانت بلادهم آنذاك من «الحوله حتى شور التي مقابل مصر» (١٥:٧). وذلك كان في اواخر القرن الحادي عشر قبل الميلاد.

وما يقصده المؤرخ هنا بتغلب بني اسرائيل على الشام انما يعني ارض فلسطين التي اعتبرها جزءاً من ارض الشام، والرواية التي ينقلها عن السميذع بن هوشر هي رواية عربية لم ترد في الكتابات العبرية.

ونقرأ في سجلات الفرعون «كموس» قبل الاسرة الثامنة عشرة وخلال محاربته للهكسوس قبل سنة ١٥٧٠ ق.م. نقرأ تحديداً لشخصية هؤلاء ينسجم مع الروايات العربية القائلة بانهم من العماليق العرب فهو يعرفهم بأنهم آسيويون وانه عالق بين الزنوج في الجنوب والآسيويين في الشمال، حتى ان اعضاء مجلسه الملكي كانوا يعرفون له مياه النيل بأنها مياه آسيوية حتى مدينة «كوزا» مجمعين على ذلك، ومكتفين بأن الهدنة تسمح لابقارهم بأن ترعى في ارض الدلتا التي يسيطر عليها الساميون، ولكنه لم يوافق على رأي هؤلاء بل قرر طرد الآسيويين. وفي مراسلة بينه وبين «ابوفيس» آخر ملك للهكسوس في مصر يصفه بأنه امير رطنو ذو الجيش الضعيف الذي كان يضمر اموراً متعددة في قلبه لكنها لم تتحقق له.

وهو يذكر ان الآسيويين في الدلتا كانوا يتعاطون زراعة العنب، حيث يتوعدهم قائلاً: «ما دام امون المقدام موجوداً فأنا لن اترككم ولن ادعكم تضعون اقدامكم

في الحقول الا وانا فوقكم، هكذا فشلت امنيتكم ايها الآسيويون التعساء! سأشرب من خمر كرومكم التي سيعصرها الآسيويون الاسرى لدي من اجلي، سأدمر مساكنكم وأقطع اشجاركم بعد ان احتجز نساءكم في السفن سآخذ عرباتكم، ولن اترك لوحاً من مئات المراكب المصنوعة حديثاً من خشب الارز والمليئة بالذهب واللازورد والفضة والفيروز والفؤوس الحربية المعدنية التي لا تعد، ناهيك عن الزيت والبخور والدهن والعسل والاخشاب المتنوعة الثمينة والجذوع الثخينة وكل خشب له قيمة وجميع ما تنتجه بلاد رطنو، ولن اترك شيئاً في أفاريس التي ستخلو من السكان بعد الزوال الآسيوي عنها. (١٨)

وهكذا نجد النص يعرف امير الهكسوس بأنه امير رطنو وذلك بعد مرور قرن وما يقارب نصف قرن على وجود الهكسوس في مصر ومثل هذه الرابطة لا يمكنها ان تبقى في الزمن ما لم تكن قبلية تجمعها رابطة القبيلة. كما الثراء الذي يصفه في افاريس بأنه نتاج ارض رطنو يكشف ازدهار العلاقات التجارية والاجتماعية مع مصر في عهد الهكسوس.



لم تذكر النصوص الفرعونية شيئاً عن عمران الجنوب اللبناني في زمن حكم الهكسوس لمصر، ولكن الاسلاب التي غنمها المصريون من هذه البلاد بعد انتصارهم وخلال غزواتهم لها تشهد للازدهار العظيم الذي كانت عليه في تلك الحقبة.

لقد اقتضت عملية التخلص من حكم الهكسوس واقامة دولة مصرية جديدة ذات سلطة مركزية قوية عشرات السنين، ولهذا غابت السجلات الملكية في هذه الفترة واعتمد المؤرخون بديلاً عنها سجلات ثانوية كان يسجلها بعض المحاربين او الادعياء احياناً، وقد كانت هذه السجلات تتضمن ذكر وجود كثيف للشاسو (الشيثيين) في ارض فلسطين وجنوب لبنان، ولكن ما ان عادت السلطة الى دولة مركزية حتى بدأت عمليات الغزو لارض «رطنو» كما يسمونها. وهنا نرجح ان التسمية مأخوذة من اسم نهر الليطاني الذي يخترق سهل البقاع ويمر وسط ارض الجنوب اللبناني بلاد الشيثيين (الشاسو) ليصب في البحر شمالي مدينة صور. وقد غدت هذه التسمية تعني لدى المصريين مجموع بلاد فلسطين وقسماً من سوريا، لكنهم كانوا يخصون بتسمية «رطنو العليا» ارض الجنوب اللبناني وارض

الجليل الجبلية، وقد وردت تسمية «صور العليا»، في رسالة الفرعون مرنبتاح ونشرها بريستد في مجموعته (٦٣٣:٣) ولعل المقصود هو جبال صور اي جبل عاملة.

ويفاخر احد هؤلاء المحاربين ويدعى «احمس بن نخبت» بأنه كان برفقة الملك واخذ اسرى واسلاباً من ارض «جاهي وفنخو» ويعني هنا ان الغزوة كانت لارض لبنان بالتحديد، ويذكر احد النصوص ان تحوتمس الاول قد بلغ منطقة «نهارينا» اي الفرات في احدى غزواته بين ١٥٩٥ و١٥٢٥ ق.م. بينما تحوتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م.) يحدد ارض «جاهي» كهدف لغزواته، مميزاً إياها من ارض «رطنو» الواسعة الدلالة والتي كانت تشمل «مجدو» في فلسطين، وهذا يعني ان غزوته تلك كانت لارض لبنان وكانت لقمع حركة ثورية ضد حكمه، وقد وجد هذا النص في «أرمانت» في اعالي مصر.

ويبدو ان اسم تحوتمس هو الذي تحرف الى اسم «طاشم» في الروايات العربية، ويذكر نص لتحوتمس الثالث، وجد محفوراً على جدار معبد الكرنك، ان مدينة «قادش» الكنعانية في شمال سهل البقاع قرب مجرى نهر العاصي، كانت جمعت حلفاً متعدد الجنسيات في مدينة «مجدو» الفلسطينية وذلك لمقاومة جيوش مصر، والحلف كان من الحوريين والكوديين والميتانيين ومن ابناء منطقة «نهارينا» وذلك كان في السنة الثالثة والعشرين لحكمه وقد استعرض الفرعون جيشه الضخم المنظم على مرأى من المتحالفين ففر هؤلاء دون قتال كما يقول النص ولجأ قسم كبير منهم الى داخل اسوار المدينة فاستولى المصريون على خيولهم ومواشيهم وعرباتهم الثمينة المصنوعة من الذهب والفضة، مع خيامهم المخاطة بأسلاك من الفضة، كما يقول النص الذي وصف الاستيلاء على مجدو بأنه يعادل الاستيلاء على الف مدينة.

وبعد مجدو هذه نصل الى مدن الجنوب اللبناني، فقد اتجه بعد ذلك الجيش المصري الى مدن ثلاث هي «جنعم» عند كعب جبل حرمون والموقع معروف اليوم بالاسم ذاته، ثم الى «نيوغز» (n-yw-g-s) (٥٥٧:٢) ثم «حورنكارو» (Hw- r-n-k’-rw) وهذه المدينة الاخيرة لا تزال مجهولة الموقع، بينما نيوغز نرى انها احد الموقعين إما «تل النحاس» في منطقة مرجعيون او «مدينة النحاس» في جوار بلدة «يعتر» في منطقة صور.

ومن تعداد انواع الاسلاب التي حصل عليها الجيش من هذه المدن ندرك اي ازدهار كان فيها واي تقدم حضاري كان يعيش فيه ابناء الجنوب اللبناني آنذاك، فقد اسر المصريون منها ٢٥٠٣ اسرى بالاضافة الى ابناء الامراء ثم من الاسلاب: حجارة كريمة وذهب وآنية كثيرة وقدور كبيرة وكؤوس للشراب، وسبائك من ذهب وفضة كانت للتصنيع مع تمثال من الفضة له رأس من ذهب وثلاث عصي محفورة الرؤوس بشكل رأس انسان، وست كراسي للحمل مصنوعة من العاج والآبنوس، وخشب الخروب والذهب وستة مساند للاقدام، وست طاولات عريضة مصنوعة من العاج وخشب الخروب، وسرير مصنوع من خشب الخروب والذهب ومطعّم بكل انواع الحجارة الكريمة و«كركر؟» مصنوع من الذهب الخالص، ثم تمثال للعدو مصنوع من الابنوس والذهب وله رأس من اللازورد مع آنية من البرونز وثياب كثيرة.

وكانت حقول هذه المدن مزروعة فعين الفرعون عليها حراساً من قبله لجني محاصيلها. وعلى نصب فوق جبل «برقال» قرب الشلال الرابع، وفي السنة السابعة والاربعين لحكمه يذكر ان الحلف الذي واجهه في مجدو كان يتألف من ثلاثمائة وثلاثين اميراً لكل منهم جيشه الخاص وهم من جميع البلاد الاجنبية، وبلغ مجموع جيوشهم مليوناً ومئة الف جندي. كما يذكر في كتابة تدشينية له في معبد الكرنك انه خلال حصاره لمجدو كان ارسل قطعات من جيشه الى الشمال وانشأ حصنا في منطقة وسطى بين امراء ارض لبنان.

وقد بلغ عدد غزوات تحوتمس الثالث لارض آسيا ست عشرة غزوة، خلال عشرين سنة من سنوات حكمه.

وفي غزوته الخامسة المسجلة في حوليات الكرنك نقرأ انه في بلاد «جاهي» (لبنان) دّمر مدينة «ارداتا» واتلف حقولها وقطع اشجارها وكانت كروم البلاد جميعها مثقلة بالثمار كما كانت الخمور المحفوظة في اوعيتها الكبيرة كالمياه بكثرتها وحبوبها على البيادر اكثر من الرمال على الشاطىء فتنعم الجيش بالمحاصيل وشرب الخمور وادّهن بالزيت يومياً وكأنه في ايام العيد في مصر.

وكرر هذا العمل المدمر في غزوته السادسة للمدينة ذاتها مضيفاً اليها مدينة قادش ومدينة «رييت» وهذه مجهولة الموقع، ثم مدينة «صميرا» وهي الى الشمال من سهل عكار، ثم في السابعة سلب مدينة «الآزا» في جوار طرابلس، ويذكر في

سجل هذه الغزوة ثراء مدن الساحل التي كانت تمده بالخبز على اختلاف انواعه وبزيت الزيتون والبخور والخمر والعسل والثمار، بحيث يصفها النص بأنها كانت اكثر من حاجات جيش جلالته، وهي لكثرتها لم يسجلها النص لاختصار في الكتابة كما يذكر النص ذاته.

وعلى نصب جبل «برقال» يذكر انه من خشب الارز، من ارض الاله قرب سيدة جبيل بنى زوارق نقلها على عربات تجرها الابقار لاجتياز نهر الفرات، وهو يذكر اسم لبنان بارض «جاهي» ثم «نيغا» كما يذكرها احد ضباطه ويدعى «امن ام حب» باسم «فنخو» خلال غزوة لمدينة «عرقة».

ويذكر هذا الفرعون انه في حملته الرابعة عشرة السنة التاسعة والثلاثين لحكمه كان في رطنو وقد هزم الشاسو فيها [١٩]

وما يهمنا من تفصيلات سجلات تحوتمس الثالث هو تكرار غزواته طمعاً بأسلاب مدن الجنوب وباقي المدن اللبنانية كما الثراء الذي يظهره الاثاث المصنوع من العاج والذهب والفضة، ومثل هذا الاثاث لا يمكنه ان يكون الا في مدن ثرية، وكذلك لنقل عن سبائك الذهب والفضة المعدة للتصنيع، وجميع ذلك يظهر ان هذه المدن كانت مراكز صناعية وتجارية هامة مرت في حقبة استقرار سياسي وازدهار اقتصادي هي حقبة حكم الهكسوس في مصر.

واذا كنا افتقرنا الى سجلات للهكسوس في الجنوب اللبناني سوى كثرة القرى المسماة باسم معبودهم الاكبر «شيث» فإن تسمية بلدة «الخيام» في منطقة مرجعيون لا نجدها بعيدة عن اسم الملك الهكسوسي الكبير «خيان» الذي وجدت آثار عديدة له خارج ارض مصر. فهو وجدت آثار له في جزيرة «كريت» كما في منطقة بغداد في العراق مما جعل بعضهم يعتقد انه كان على رأس امبراطورية عظيمة واسعة الارجاء ولم تكن مصر الا جزءاً منها. [٢٠]

والحوريون الذين ورد ذكرهم في حلف «مجدو» لم يكونوا بعيدين عن المنطقة، بل هم كذلك كانت لهم مدن وحصون ومستقرات سكنية في الجنوب اللبناني كما ذكرنا.

وعندما تذكر النصوص ان الحلف كان يتألف من ثلاثمائة وثلاثين اميراً، ولكل منهم جيشه الخاص فإن ذلك كان يعني نظاماً آخر للحكم والسياسة، مختلفاً كلياً عن النظام الذي كانت تتعامل به سلطات مصر او ارض الرافدين والذي كان

استبدادي النهج والتفكير. وان الباحث في الفكر السياسي القديم يتساءل عن الرابطة التي كانت تجمع هذه المئات من المجتمعات الصغيرة معا لمقاومة قوى السحق والنهب والاذلال التي كانت تمثلها مصر!

لقد كانت هذه الرابطة الرغبة في الحرية للمجتمعات الصغيرة و«الاثنيات» المتباينة. انها كانت طموحاً باكراً لحقوق الانسان وبرأسها حق الاختلاف في اللغة والمعتقد واسلوب العيش، وقد احتضنت ارض الكنعانيين هذا الحق وحرصت عليه بأمانة كما تظهر ذلك نصوص ايبلا واوغاريت ومعطيات ارض الجنوب اللبناني، وكما تظهر ذلك السجلات العبرية حيث كان سكان الارض في زمن ابرام من: القينيين والقنزيين والقدمونيين والحاثيين والفرزيين والرفائيين والاموريين والكنعانيين والجرجاشيين واليبوسيين» (تكوين ١٥:١٩).

وقد كان نظام دولة المدينة افضل تعبير آنذاك عن رغبات القبائل والمجتمعات الصغيرة في تحقيق طموحها وتمييز شخصيتها. وكان هذا النظام سبب هزيمتها الدائمة امام الانظمة العسكرية التي كانت تتخذ من حملات الغزو والنهب والتدمير مورداً اقتصادياً اساسياً من اجل استمرارها وتحقيق انشاءاتها.

وهذا ما فعله تحوتمس الثالث عندما قدم اسلاب مدن الجنوب الثلاث للاله امون في عيده كما يذكر احد النصوص. (٢١)

كما في نص لستي الاول بعده بما يقارب مئة وخمسين سنة نقرأ مفاخرة له يقول فيها: ان رؤساء «رطنو» غدوا اسرى لديه ويحملون مسلوباتهم على ظهورهم، جميع انواع الاواني افضل مافي بلادهم من ذهب وفضة ولازورد. وقد وجدت اسماء المدن التي نهبها محفورة على تمثال عنقاء في معبد «قورنا». وبين هذه المدن نقرأ اسماء: كامد جنعم، بيت عناة (عناتا) ينطا، فخار، وصور كما هو يفاخر بأنه جعل البلاد قفراً. كما في رسم على نصب في الكرنك تظهر مدينة قادش فوق مرتفع صخري يحاصرها الجيش مما يدل على ان قادش هذه هي «قدس» المطلة على بحيرة الحوله، وهي في جوار بلدة عترون الجنوبية وغنية بآثارها وبقايا معبدها والتقاليد المتبعة للدخول الى حرمه. (٢٢)

ولكن الملاحظة الجديرة بالاهتمام هي انه برغم حملات السلب والتدمير والاذلال للشعوب كان سكان الموانىء اللبنانية يقدمون المؤن لجيش تحوتمس الثالث وفق عقود واتفاقات تتجدد سنوياً عند استيفاء الضرائب، (٢٣) مما يعني ان حاجة

الفراعنة لخدمات هذه الموانىء كانت تفرض عليهم ابقاء شيء من الحرية لابنائها. وقد وردت هذه الملاحظة عن العقود قبل ذكر الضرائب التي كانت ترد لمصر من ارض شنعار (بابل) وارض حاتي (بلاد الحثيين). وهذا يعني ان حرية هذه المدن الموانىء كانت حاجة سياسية للدولة المستبدة كما ان الحاجة الى اخشاب لبنان وفن صناعة السفن فيه بالاضافة الى الحاجة للبنانيين كوسطاء ومترجمين بين الشعوب المتعددة اللغات في المنطقة كانتا تشترطان وجود كرامة واحترام واخلاص مع هذه الحرية. وهذه الشروط كانت تحفظ لمدن لبنان استقلالاً وحرية او شبه استقلال ضمن حدود القوة المتسلطة، سواء كانت هذه من وادي النيل ام من ارض الرافدين بعد ذلك.

لقد كانت الحرب نهجاً اقتصادياً طوال قرون في وادي النيل بعد سقوط دولة الهكسوس. وخير ما عبر عن هذا النهج هو احد النصوص الذي كتبه احد موظفي الدولة وهو يقول فيه: لقد ملأ الجيش مخزن الاله فابتهج قلبه. (٢٤) لقد كانت حقلاً جيد المحاصيل وكان موقع هذا الحقل في زمن تحوتمس الثالث ارض جاهي ورطنو، اي فلسطين ولبنان وقد نظم كهنة معبد الكرنك قصيدة مديح لهذا المحارب جعلوها على لسان الاله امون ننقل منها ما يخص بلاد لبنان ومنها الجنوب، وكانت تتعرف بأرض «جاهي» فقالوا:

«جعلتك تدوس رؤساء جاهي، وقد شتتهم تحت قدميك في جميع انحاء بلادهم.

«جعلتهم يرون جلالتك كسيد للانوار: تشع امامهم بصورتي انا.

«جعلتك تدوس سكان آسيا، وتكسر رؤوس آسيويي (السيتيو؟) ارض رطنو.

«جعلتهم يرون جلالتك في زينتك الملكية وانت تمتشق الاسلحة في العربة الحربية.

«جعلتك تدوس الشرق، وتسحق سكان ارض الاله (لبنان؟).

« ... جعلتك تدوس اولئك المقيمين عند رأس العالم، وتوثق سكان الرمل في الاسر»(٢٥).

لقد كان تحوتمس الثالث من اعظم الغزاة في تاريخ مصر القديمة، ومن حق الروايات العربية ان تعتبره «طاشم» الذي قضى على حكم العماليق في مصر وورث السلطة عنهم.

وما يلفت أن الروايات العربية عن مصر الفرعونية لم تحفظ سوى اسماء ملوك الهكسوس ومن له علاقة بهم بينما اهملت او تجاهلت من لا علاقة له بموضوعهم،

وهذا ما يجعلنا نقبل ما قالوه عنهم ونحاول التوفيق بينه وبين ما كشفته النبشيات الاثرية والكتابات الهيروغليفية. فهو عصبية قومية تاريخة.

لقد حل ابن خلدون لغز وصول الهكسوس الى السلطة في مصر دون مقاومة، وهذا ما تعترف به النصوص الفرعونية مع انها لم تذكر استنجاد احد الفراعنة بملك العمالقة. ودون الغوص عميقاً بموضوع الاسماء ومقارنتها بعد ان تناقلتها الالسن واللهجات المختلفة طوال قرون قبل تسجيلها لا بد من ملاحظة المقاربة بين بعضها لدى مانيتو المصري والروايات العربية، فاسم بشنان لدى مانيتو يقارب اسم سنان في الروايات العربية، وبنون يقارب اسم ابن ابي أهون، وأبوفيس يقارب قابوس وأسيس، وهو اسم الحاكم الاخير لدى الهكسوس كما ذكر نص جوزيفس وقد حكم طوال تسعة واربعين عاماً وشهرين، نجده في اسم العزيز، وقد ورد كصفة لمن يتولى خزائن مصر وهو الذي اشترى يوسف حسب رواية الطبري (ج ا ص ٣٣٥). كما وردت هذه الصفة ليوسف ذاته في القرآن الكريم «ايها العزيز مسّناً واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين» (سورة يوسف ٨٨)

وهذا الاتفاق بين الاسم لدى مانيتو والاصطلاح العربي للقب حاكم مصر في كل زمن يجعلان الرواية العربية ذات مصداقية واقعية برغم طول الزمن بين حدوثها وتسجيلها، ونستبعد ان يكون العرب اخذوا روايتهم عن جوزيفس او مانيتو نظراً لما فيها من تعداد انساب واسماء لم ترد لدى غيرهم.

ونلفت هنا الى ان جميع ملاحم العالم القديم الشهيرة كتبت بعد قرون من وقائعها. وهذا ما يبدو انه حدث للرواية العربية، وقد حدث بدون شك بنزعة قومية تاريخية.

هوامش

1) Posener (G) Primces Et Pays D'asie Et De Nubie P. 112 Ed Fondation Egyptologique Reine Elisabeth. 1940

2) B.A.S.O.R. The Land Of Damascus Between 1850 And 1750 BC.p.30-36 By. W.f. Albright, No 83, 1941

3) Steindorff (George) And Seele (Keith E.) When Egypt Ruled The East Chap,3. P. 25 Ed The University Of Chicago Press, 1968

4) J.P.O.S. Vol. Xv. 1935. (Palestine In The Earliest Historical Period) By W.f. Albright P.222- 230

5) Pettinato (Giovani) Ebla, P. 251. Ed Doubleday & Company Inc. 1981

6) Revue Biblique, Tome L X X IV, 1967, Les Hurrites De L'histoire Et Les Horites De La Bible. P. 491,482,496.

7) Pettinato, Ebla, P.27,& 251

٨) - ايبلا عبلاء، الصخرة البيضاء - مجموعة دراسات، ترجمة قاسم طوير - والمقالة بقلم باولو ماتييه ص ٥٤ - نشر مطبعة سورية ١٩٨٤ - وكذلك كتاب «امبراطورية ايبلا، تأليف علي القيم ص ١٢٨ - نشر دار الابجدية - دمشق ١٩٨٩.

٩) ابن خلدون - تاريخ ابن خلدون مجلد ٢ ص ٤٩ - ٥٠ منشورات دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦

10) Albright (W.f) The Archeolgy Of Palestine, P. 207, Ed Pelican 1960 & Pritchard (J.b) A.N.E.P. No 3, Princeton University Press, 1969

11) Pritchard, (J.b) A.N.E.T, P329

١٢) لامنس (الاب هنري) تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من الآثار (جزءان) ص ١:١٦ و٢:٢٤٦ - منشورات دار الرائد اللبناني، ١٩٨٢ (الطبعة الثانية).

13) Manetho, fr. 42 p. 85 ed. LOEB Classical 1980 No 3

١٤) الطبري تاريخ الرسل والملوك جـ ١ ص ١٥٢ نشر دار المعارف بمصر ١٩٦٠

15) Guerin (M.V.) Description de la Palestine - Galilée, tome 2 p. 527 ed l'Imprimerie Nationale, Paris, 1880

16) Condé (Bruce), See Lebonon p.462, ed G. Farah, 1960, Beirut

١٧) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، م م ص ٤٩ و٥٠ و٥٧٩ نشر دار الكتاب اللبناني ١٩٥٦

18) A.N.E.T, P. 232, 554

19) A.N.E.T, P. 234- 241 & Breasted (J.h) Ancient Records Of Egypt Vol 2: No 548, 436, 510, 517 Ed. The University Of Chicago Press, 1906

20) Drioton Vandier, Egypt 8:3 Ed CLIO, Paris, Les Presses Universitiaires De France

21) Breasted (J.h) ARE, 2:557

22) Passim, 3:106, 114, 139, 141

23) Passim 2: 483

24) A.N.E.T. P. 251

25) Steindorf (George) & Seele (Keith E) When Egypt Ruled The East, Chap. VII, P. 62 - 63 University Of Chicago Press, 1968

النبي شيث الجامع
بين
لبنان ومصر

• النبي شيث في التاريخ العربي

تتفق الرواية العربية حول مولد «شيث» مع الرواية الواردة في سفر التكوين العبري (٥٢:٤) فهو ابن آدم الثالث بعد هابيل وقايين بعد أن قتل الثاني الأول منهما. وقد ولد لشيث ابن دعاه «أنوش»، وحينئذ ابتدئ أن يدعى باسم الرب» (٢٦:٤)

ولكن الرواية العربية تتوسع أكثر من الرواية العبرية مما يشير إلى أنها كانت تسجل مرويات شعبية لم تصل إلى العبريين. فكما يذكر الطبري:

«وهو بالعربية شث، وبالسريانية «شاث» وبالعبرانية شيث، وإليه أوحى آدم، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة... لما حضرت آدم الوفاة فيما يذكرون والله أعلم، - دعا ابنه شيثا، فعهد إليه عهده، وعلّمه ساعات الليل والنهار، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهنَّ، فأخبره أن لكل ساعة صنفا من الخلق فيها عبادته، وقال له: يا بني إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين. وكتب وصيته، فكان شيث - فيما ذكر - وصي أبيه آدم عليه السلام، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث، فأنزل الله عليه، فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خمسين صحيفة»

وفي رواية الطبري نجد أنه يتحدث عن شخصية عامة مشهورة خلال لغات ثلاث ويكرِّر الاشارة الى أنه يأخذ القصة من مرويات شعبية، وليس من الرواية العبرية التي يشير إليها حين يأخذ عنها. وذلك حين قوله: «فيما يذكرون» أي يذكر

الناس من روايات.

وهويتابع فيقول: «إلى شيث أنساب بني آدم كلهم اليوم، وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد، فأنساب الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام». (١)

ويسجل ابن الأثير رواية عن شيث تقول:

« ... وأوصى (آدم) إلى ابنه شيث وأمره أن يخفي علمه عن قابيل وولده لأنه قتل هابيل حسداً منه له حين خصَّه آدم بالعلم، فأخفى شيث وولده ما عندهم من العلم ولم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به».

وفي فقرة بعنوان «ذكر شيث بن آدم عليه السلام» يتابع:

« ... كان وصي آدم في مخلفية بعد مضيه لسبيله، وما انزل الله عليه من الصحف، وقيل أنه لم يزل مقيماً بمكّة يحج ويعتمر إلى أن مات، وأنه كان جمع ما أنزل الله عليه وعلى أبيه آدم من الصحف وعمل بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين... وقيل أن شيثاً لما مرض أوصى إلى ابنه «إنوش» ومات فدفن مع أبويه بغار «أبي قبيس».

ويتفرد ابن الأثير بتسجيل رواية هامة اجتهد المفسرون فيها وهي:

«اتخذ ولد قابيل الملاهي وتناهى خبرهم إلى من بالجبل من ولد شيث فهمَّ منهم مائة رجل بالنزول إليهم وبمخالفة ما اوصاهم به آباؤهم... وانهمكوا في الطغيان، وفشت الفحشاء وشرب الخمر ووافقوا نساء من ولد قابيل... (٢)

إن مبدأ إخفاء العلم عن الأشرار الذي ينسب لوصية آدم مبدأ توسعت به بعض الفرق الفلسفية والاعتقادية، منذ الفيثاغورية. وهذه الاشارة العربية إليه تجعلنا نرجح أنه مبدأ شرقي قديم تبناه الاغريق، ثم عاد للبروز في بعض المذاهب الشرقية. وعلى أية حال هذه الإشارة المنسوبة إلى شيث وأتباعه إنما هي تكريم وإجلال للعلوم والمعارف الإنسانية.

ورواية ابن الاثير التي تجعله مقيما في مكة، قد لا تكون بعيدة عن الواقع إذا ما أخذنا بالوقائع والأدلة التي تشير إلى وجود حضارة قديمة مزدهرة في تلك المنطقة دمرتها العوامل الطبيعية وهجرت أبناءها وقضت على انهارها ومصادر مياهها كما تشير إلى ذلك الآثار ونصوص بعض المؤرخين. وذلك ما عالجه المؤرخ جواد على في كتابه الهام «المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام» حيث ذكر أن

نشاط البراكين كان لا يزال مستمراً في العهد الإسلامي: «وكان آخر حدث بركاني في الحجاز في سنة ٦٥٤ للهجرة (١٢٥٦م) إذ ثارت إحدى «الحرَّات» في شرقي المدينة، واستمرَّ هيجانها بضعة أسابيع، وقد وصل ماسال من حممها إلى مسافة بضعة كيلو مترات فقط من المدينة التي كانت نجاتها من الأعاجيب».

وبعد أن يستعرض المؤرخ نشاط بعض «الحرار» البركانية في العصر الجاهلي يخرج إلى القول: «وقد تسببت هذه الحرار في هلاك كثير ممن كان يسكن في جوارها وفي هجرة الناس من الأرض التي ظهرت بها، فتحوَّلت إلى مناطق خاوية خالية». (٣)

ويساند هذا القول بأن شيث كان يقيم في «مكة» ما ورد في نصوص «نجع حماده» في مصر من أن السدوميين كانوا من أتباع شيث، وقد نجوا من نار سدوم وعموره بسبب تدخل ملائكة الله (٤).

وتتفق الرواية العربية حول اختصاص شيث وأتباعه بالعلوم والمعارف مع الرواية التي سجلها المؤرخ اليهودي الروماني جوزيفس فلافيوس، وهي أن شيث كان ابنا فاضلا تربى قرب والده آدم. وقد سار أبناؤه على سلوكه ، فكانوا سعداء ومتحدين في موطنهم. وكانوا يعملون في علم التنجيم. وسجلوا معارفهم على عمود من حجر كان لا يزال محفوظاً في زمنه كما يقول.

ويتابع جوزيفس فيرى أن الملائكة تزوجوا من بنات من سلالة شيث، فولدت لهم سلالة شريرة خالفت العدالة، وقلدت الجبابرة الذين يتحدث عنهم الإغريق(٥). وجوزيفس هنا يحاول بهذه الملاحظة الأخيرة تفسير إشارة سفر التكوين العبري القائلة: «إن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات، فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا... وولدن لهم أولاداً، هؤلاء هم الجبابرة (٦:٢،٤). وهذه الرواية تحط من أخلاقية أبناء شيث.

وتبدو الرواية العربية التي نقلها ابن الأثير أقرب الى المنطق والواقع وهي أن أبناء شيث الذين كانوا يقيمون في الجبل تخلوا عن عزلتهم فيه وخضعوا لإغواء بنات قابيل وتحولوا إلى الطغيان.

وهذه يسجلها المؤرخ مخاييل السوري بقوله على الشكل التالي:

كان أبناء الآلهة بعدد مئتين نزلوا عن جبل حرمون، وقد تخلوا عن الحياة الملائكية، إستسلموا للجسد اتجهوا إلى اخوتهم أبناء شث وأنوش فلم يقبل هؤلاء

أن يعطوهم نساء لأنهم نكثوا بوعدهم، فذهبوا إلى أبناء قايين، أخذوا منهم نساء وأنجبوا جبابرة أقوياء أشراراً. كما في رواية أخرى يقول أن أبناء شيث كانوا مستقيمين، انقطعوا بدون زواج على جبل حرمون ولهذا سموا أبناء الآلهة، أي ملائكة (٦)

فهذه الرواية الاخيرة تحافظ على حرمة نسل شيث وتجعل الشر في نسل قايين. بينما الرواية العبرية لدى جوزيفس تحط من شأن شيث وبناته. وبذلك تعزله عن التاريخ العبري وتجعل العرب وحدهم يحتفظون له بالتنزيه والإجلال وهو ما يحفظه لنا مثل شعبي سجله الطبري وهو: كانت العرب تقول : «إنما خدش الخدوش منذ ولد أبونا أنوش، وإنما حرم الحنث منذ ولد أبونا شث (٧) » وهنا نلاحظ اللفظ العربي الأصيل لاسم شث (شاث)، فهو يتفق مع الفتح في لفظة «شاس» لدى الفراعنة.

فهذا يعني أن اسم شيث مرتبط بالصدق والوفاء والاستقامة وأنه كان ذا شهرة عربية شعبية ليس كنبي فقط، وإنما أغزر الأنبياء علما ومعرفة وأحبهم إلى الله، الذي خصَّه وحده بخمسين صحيفة من علومه كتمها عن الأشرار وغير المستحقين.

وإن تكن رواية كتمان المعرفة لدى شيث تجعله السلف الأقدم للمذهب الفيثاغوري والباطني فإن رواية يسجلها المسعودي تعتبره اول الأئمة الذين انتقل منهم النور خلال نسل شريف إلى أن وصل إلى عبد المطلب وولده عبد الله أبي رسول الله. والنص هو التالي بعد ذكر مقتل هابيل على يد أخيه قايين:

«فلما سمع آدم ذلك ازداد حزنا وجزعا على الماضي والباقي، وعلم أن القاتل مقتول: فأوحى الله إليه إني مخرج منك نوري الذي به السلوك في القنوات الطاهرة والأرومات الشريفة، وأباهي به الأنوار، وأجعله خاتم الأنبياء وأجعل آله خيار الأئمة الخلفاء، وأختم الزمان بمدتهم وأغصُّ الأرض بدعوتهم، وأنشرها بشيعتهم، فشمِّر وتطهَّر، وقدِّس وسبِّح واغش زوجتك على طهارة منها فإن وديعتي تنتقل منكما إلى الولد الكائن منكما.

«فواقع آدم حواءً فحملت لوقتها، وأشرق جبينها، وتلألأ النور في مخايلها، ولمع من محاجرها، حتى إذا انتهى حملها وضعت نسمة كأسرِّ ما يكون من الذكران، وأتمهم وقاراً، وأحسنهم صورة، وأكملهم هيئة، وأعدلهم خلقاً، مجللاً بالنور

والهيبة، موشحاً بالجلالة والأبهة، فانتقل النور من حواء إليه حتى لمع في أسارير جبهته وبسق في غرَّة طلعته، فسماه آدم شيثا، وقيل شيث هبة الله حتى إذا ترعرع وأيفع وكمل واستبصر أوعز إليه آدم وصيته وعرَّفه محل ما استودعه. وأعلمه أنه حجة الله بعده، وخليفته في الأرض، والمؤدي حق الله إلى أوصيائه، وأنه ثاني انتقال الذرَّة الطاهرة والجرثومة الزاهرة».

ويتابع المسعودي فيذكر انتقال النور إلى أنوش بن شيث. حيث هذا أوعز إليه أن ينبه ولده على حقيقة هذا الشرف وكبر محله وان ينبهوا أولادهم عليه ويجعل ذلك فيهم وصية منتقلة ما دام النسل.

«فكانت الوصية جارية تنتقل من قرن إلى قرن، إلى أن أدَّى الله النور إلى عبد المطلب وولده عبد الله أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم».

لم يكن المسعودي المؤرخ إماميا وإنما كان معتزليا. ولهذا نجده ينقل هذه الرواية، كما هي معروفة في زمنه حيث يتابع قائلاً:

«وهذا موضع تنازع بين الناس من أهل الملَّة، ممن قال بالنص وغيرهم من أصحاب الاختيار، والقائلون بالنص هم (الأباضية؟) أهل الأمامة من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والطاهرين من ولده الذين زعموا ان الله لم يخلِ عصراً من الأعصار من قائم بحق الله: إما أنبياء، وإما أوصياء، منصوص على أسمائهم وأعيانهم من الله ورسوله (٨).

ونحن لا يمكننا الاستهانة بما نسبه المسعودي للنبي شيث من كرامة فهذا المؤرخ كان تجول طويلاً في البلاد العربية في زمنه ونسخ الروايات المكتوبة وسجل الشعبية منها. وهو عاش فترة طويلة في مصر وكتب فيها بعض كتبه. ولا شك أنه اطلع على الكرامات التي كانت لشيث قبل الإسلام. حيث كان له نظام ديني متكامل هناك. وقد ظهرت نصوص كثيرة مطوَّلة في مكتبة «نجع حماده» القبطية تؤكد وجود هذا النظام الديني وتنطلق منه للتأمل في الزمن والنهاية. كما يذكر أحد النصوص أن السدوميين كانوا من أتباعه. وأحد النصوص يجعله في هوية واحدة هو وملكي صديق، الكاهن الكنعاني، ملك أورشليم في زمن ابراهيم (٩).

ويرى السامريون أن شيث هو الطاهر وأول من دعا إلى التوحيد. وهو يقوم بدور هام بين آدم وموسى. كما أنه هو الذي بنى مدينة دمشق، حيث كان بعض السامريين يقيم. والسامريون يدعون أنهم من نسل شيث وأنهم الشيثيون

المستقيمون.

وتعتقد فرقة «المندائيين، أن شيث ليس أساس السلالة فقط، بل هو مخلصها في أوقات الضيق في الماضي... ويعتقدون بأن سلالته ستخلص من الكوارث: السيف والفيضانات التي ستطرأ على الأرض والنار (١٠).

وفي تاريخ ابي الفداء يقول: «اسم شيث عند الصابئة عاديموت... وإلى شيث تنتهي أنساب بني آدم كلهم. وتقول الصابئة أنه ولد لشيث ابن آخر اسمه «صابي» وإليه تنتسب الصابئة... إن السريان أقدم الأمم، وملتهم هي ملة الصابئين ويذكرون أنهم أخذوا دينهم عن شيث وإدريس ولهم كتاب يعزونه إلى شيث ويسمونه «صحف شيث» فيه محاسن الاخلاق مثل الصدق والشجاعة والتعصب للغريب وما أشبه ذلك، ويأمر به ويذكر الرذايل ويأمر باجتنابها. والصابئة يعظمون أهرام مصر ويزعمون أن أحدها قبر شيث بن آدم والآخر قبر إدريس وهو أخنوخ والآخر قبر «صابي» بن أدريس الذي ينتسبون إليه.»(١١)

وهناك رواية عن التواصل في الرسالة تسجلها «قصص الأنبياء» تقول: «... قال آدم لشيث يا ابي إنك وصيي فاحفظ هذا الكلام يتوارثه الناس. فلم يزل ينقل حتى وصل إلى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام، وكان يتكلم السريانية والعربية، وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية».(١٢)

وحول سكن أبناء شيث في الجبل المقدس (حرمون؟) يسجل اليعقوبي رواية تقول: «... حضرت وفاة شيث أتاه بنوه وبنو بنيه، وهم يومئذ أنوش وقينان ومهلائيل ويارد وأخنوخ ونساؤهم وأبناؤهم، فصلى عليهم ودعا لهم بالبركة وتقدم إليهم وحلفهم بدم هابيل ألا يهبط أحد منهم من هذا الجبل المقدس، والا يتركوا أحداً من أولادهم يهبط منه ولا يختلطوا بأولاد قابيل الملعون وأوصى إلى أنوش ابنه وأمره أن يحتفظ بجسد آدم وأن يتقي الله.» (١٣)

هذا الجبل المقدس هو جبل حرمون المطل على الجنوب اللبناني، وهو يحمل خلال اسمه مدلول القداسة. وكان طوال التاريخ أرض قداسة وتجلٍّ إلهي. وهو حافل بآثار المعابد المنتشرة على سفحه ويتوج أعلاه معبد ومزار كان يؤمه الحجاج فيكونون الأقرب إلى السماء.



لم يرد اسم شيث كثيراً في النصوص العبرية التوراتية، سوى أن سفر التكوين

ذكره كمولود لحواء، عوضا عن هابيل الذي قتله أخوه قايين ، وقد ولد لشيث ابن دعا اسمه أنوش، وحينئذ إبتدىء أن يدعى باسم الرب (٤: ٢٥و ٢٦). وبعد ذلك ورد ذلك الاسم كرمز لشعب معاد للاسرائيليين في رؤيا بلعام بن بعور حين قوله: «... يقوم قضيب من اسرائيل فيحطم طرفي مؤاب ويهلك كل أبناء شيث». (٢٤: ١٧).

ومن خلال هذا النص نعرف أنه كان هنالك شعب كبير وقوي ينتمي للاله شيث وكان هذا الشعب معاديا للاسرائيليين. وهذا ما يرجح انتماء السوتيين البدو له.

وقد يكون التعبد لشيث وصل إلى مصر مع الساميين الأوائل وفي عصور موغلة في القدم، أي في الألف الرابع قبل الميلاد، كما يشير إلى ذلك بعض الكلمات السامية التي كانت تستعمل مع الأسرات الأولى أو ما قبلها، ومنها كلمات: عين، كرم، قمح. ولكن ماسنعتبره بدءاً لسيادة عبادة شيث هو سيادة أتباعه الهكسوس على مصر. وقد احتفل الفرعون «حور محب» سنة ١٣٣٠ ق.م بمناسبة مرور اربعمائة عام على هذا الحدث في مدينة «تانيس» في الدلتا.

وما يثبت سامية هذا الإله هو أن صورته محفورة على نصب وهو يلبس ثياباً آسيوية. وفي أعلى النصب نقش يصور رعمسيس الثاني وهو يقدم الخمر للاله شيث وخلفه الموظف «ستي» [١٤].

لقد ارتبك المؤرخون والباحثون في تفسير استمرار عبادة «شيث» بعد سقوط دولة الهكسوس. وافترض الكثيرون منهم أن هذا الإله هو غير إله الهكسوس. وذلك كان بسبب اعتقادهم أن الهكسوس كانوا قوة احتلال غريبة ومع سقوطها خرجت من مصر مع كل رموزها: ولكن الواقع كان غير ذلك. إذ إن بقاء العبادات السامية وازدهارها بعد عصر الهكسوس يشير إلى عمق الثقافة التي نشرها هؤلاء بين المصريين، بل إلى سيادة هذه الثقافة الدينية في البلاد، حيث غدت العائلات المالكة تتيمن بآلهة الجنوب اللبناني، وليس بشيث وحده كأله أعظم. وحيث موضوعنا هنا هو شيث فإننا نلاحظ أن في زمن الرعامسة غدا شيث إلها عالميا للحثيين كما للمصريين، وقد صلى له رعمسيس الثاني ليوقف المطر والثلوج كي تصل إليه عروسه الحثية بقوله: «السماء هي في يديك والأرض هي تحت قدميك. وما يحدث هو ما تأمر به فلعلك (توقف) المطر والريح الباردة والثلج كي تصل الهبات العجيبة التي قررتها لي أنا رعمسيس الثاني»[١٥]. وفي الوقت ذاته

تحدث النص عن شيث كإله للحثيين. وكانت الصلاة موجهه له كي يوقف الأمطار والثلوج في أرض لبنان، حيث كانت الحدود بين المصريين والحثيين.

وتعدد المعاهدة بين رعمسيس الثاني المصري وحتوسيلس الحثي سنة ١٢٨٠ ق.م تعدد آلهة عدد كبير من المدن باسم «شيث» في المنطقة الحثية منها مدينة حلب. ويعرفه النقش الذي يصوره وهو يحتضن أمير الحثيين حيث على طرف النقش كتابة تقول: «خاتم شيث ملك الفضاء»[١٦].

وفي نشيد شعري يتغنى بالنصر لمرنبتاح على الليبيين حوالى سنة ١٢٣٠ ق.م يرد ذكر شيث كاله مطلق للشعوب الغريبة فيفسرون هزيمة رؤساء هذه الشعوب بكون شيث أدار ظهره لهم [١٧].

ونحن نقرأ في نص مكتوب باللغة الفرعونية العامية عن الملك الهكسوسي الاخير «أبو فيس» أنه ألغى عبادات جميع الآلهة ما عدا «شيث» الذي بنى له معبداً في جوار قصره الملكي وكان يقدم فيه الأضحيات يومياً [١٨].

فهل يعني ذلك أن الهكسوس نشروا فكرة عالمية الإله ووحدته خلال وجودهم في مصر؟ وهل لهذا السبب اعتبر الفراعنة شيث إلها للحثيين أيضاً؟

فلو كان شيث إله الهكسوس وحدهم لكان العداء له تفاقم على يد الذين حكموا مصر بعد الهكسوس مباشرة. ولكن ذلك لم يحدث. بل وجدناه يبقى ذا مركز متقدم مع التحامسة ومع أمنحوتب الثاني (١٤٤٧ ـ ١٤٢١ ق.م) ومع الرعامسة بعدهم.

ولا تعليل لذلك سوى أن الساميين من الشيثيين وغيرهم كانوا قد بلغوا من الحجم والنفوذ في منطقة الدلتا ما جعلهم يفرضون دينهم وثقافتهم المتقدمة على الدولة بحيث سادت مجموعة آلهة الجنوب اللبناني التدين المصري ومنهم: بعل، رشف، صفد، عشتارت، قدش، عناة. وعلى رأس هؤلاء كان «شيث» رمز الهكسوس. وغدا الفراعنة يوصفون بعنفوان هؤلاء الآلهة ويتيمنون بهم فيطلقون أسماءهم على فرقهم العسكرية. وقد برز وجودهم بوجه خاص في معابد « ممفيس» كما سنرى.

وهذه الحالة جعلت من الجنوب اللبناني الذي تتجاور فيه معابد هؤلاء الآلهة أرض قداسة على الأرجح خلال الحقبة التي ازدهرت فيها عبادتهم في مصر. ولنا أن نتخيل وضع المتعبدين للإله شيث في مصر تجاه بلدات شيث ومعابده في لبنان

وكذلك لنقل عن باقي معابد الجنوب.

كما ما يشير إلى كثافة وجود الساميين في الدلتا هو سيطرة أحدهم على السلطة بعد عهد الرعامسة. وكان هذا يدعى «أرزو» وقد عرف بلقب «السوري». وعللت النصوص سبب سقوطه بزندقته وعدم احترامه للآلهة والمعابد [١٩].

شيث والأفعى

لقد لازمت الأفعى «بابي »، أو «أبيب» باللغة الفرعونية الاله شيث واعتبرت سلاحاً ورمزاً له، كما رأينا ذلك في «سردينيا» ذات التراث القرطاجي. وكذلك هي في التراث الفرعوني، حيث يعتقدون أن شيث يصطحب الأفعى أو الأفاعي بوجه عام لمساعدته في صراعه مع «رع» إله الشمس، لمنعه من الشروق كما سجل ذلك الباحث «بادج» [٢٠] وهذه وجهة نظر مصرية.

وفي إشارة الرواية إلى الشرق كأرض للصراع يتعين موقع سلطة شيث في الصحراء شرقي وادي النيل . وقد سجل التراث العبري وجود هذه الأفاعي في أرض الأدوميين على حدود مصر عندما ذكر سفر العدد: «فأرسل الرب على الشعب الحيات المحرقة، فلدغت الشعب فمات قوم كثيرون من إسرائيل ... فقال الرب لموسى اصنع لك حية محرقة وضعها على راية فكل من لدغ ونظر إليها يحيا، فصنع موسى حية من نحاس ووضعها على الراية». (٢١: ٦ـ ٩).

وقد دلت النبشيات الأثرية في فلسطين على أن عبادة الحية كانت منتشرة ومألوفة، كما ظهر ذلك في نبشيات بيت شان، وبيت شمشي، وجيزر، وحازور، ونابلس، وبيت مرسيم [٢١] ونحن نرى أن اسم «أبيب» ذاته موجود في اسم «تل أبيب» ذاتها.

وهذا يعني أن شيث مع الأفعى دخل إلى مصر من أرض هذا التراث المقدّس للأفعى في أزمنة لم يرصدها التاريخ لقدمها.

وشهرة الحيات والأفاعي في البلاد العربية المجاورة لمصر كانت شبه أسطورية حتى زمن المؤرخ الاغريقي هيرودت في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث يذكر أن أسرابا من حيات مجنحة كانت تغزو مصر في الربيع من كل سنة فيتصدّى لها الطائر «إبيس» في مدخل سهول مصر. وهو يذكر لنا أنه شاهد بعينيه أكداساً من عظام الحيات هناك. ويفسر لنا، نقلاً عن المصريين أن سبب احترامهم للطائر إبيس هو ما يقوم به من محاربة للحيات على حدود مصر (٢: ٧٥).

ونجد في رواية هيرودت هنا بعض الصدى لأسطورة الحرب بين أفاعي شيث ورع إله الشمس، وبالتالي الحرب بين المستقرين المصريين والبدو الطارئين من الصحراء الشرقية.

ولنا أن نفترض هنا أن رفقة الأفعى لشيث هي دلالة على القدم والمعاصرة لعبادتها في المدن السامية القديمة في أرض كنعان. كما هي رمز للخلود والاستمرارية ، كما كانت تعبِّر عنها النقوش الكنعانية. وكما هي في تراث أرض الرافدين وملحمة غلغامش بوجه خاص.

ولا يبدو وأنه كان من الصدفة وصف الكاهن العبراني «عزرا» العرب بأنهم بجيوشهم وعرباتهم يتقدمون كالافاعي: « وعندئذ ترون من الشرق فجأة منظراً مخيفا. جيوش عربية مع عربات كثيرة تتقدم كالأفاعي. وعندما ينطلقون ينتشر صوت هسيسهم عبر العالم، حاملا الخوف، والاضطراب لكل من يسمعه (عزرا الثاني ١٥ : ٢٨).

لا تبدو هذه الرؤيا لعزرا حاصلة من فراغ، بل، على الأرجح، كانت اصطلاحا تاريخيا متداولا عن العرب والصحراء والأفاعي .

لقد حبكت قصص صراع عديدة حول شيث وعنفه في مصر. وهذه القصص كانت تعبر برمزيتها عن الصراع بين أتباع شيث والمتعبدين له وغيرهم من الجماعات، أي أنه كان صراعاً سياسياً. ولهذا كانت عبادة شيث تعيش في مد وجزر في وادي النيل. ولكنه في البدء كان معبوداً مسالماً في الجنوب. وقد لازمته صفة «نبطي» هناك، كما نسبت له رياح الصحراء وجفافها وكل قسوة تأتي منها بعد نشوء العداء له.

وإذا شئنا اعتبار ارتباط أخته الإلاهة «نبطي» به قرينة على ارتباطهما معا بأرض الجنوب اللبناني، حيث توجد مدينة النبطية مجاورة لبلدات شيث فإن ذلك ينفي أي تمييز بين إله الجنوب المصري هذا وإله الجنوب اللبناني الذي حمله الهكسوس معهم إلى مصر من جديد.

أما الزمن الذي نفترض أن تكون العقيدة بشيث وصلت فيه إلى الجنوب المصري فهو الزمن الذي وصل فيه الساميون إلى وادي النيل وتركوا بعض مفرداتهم الأساسية في اللغة الفرعونية، وهو سابق لعصر الاهرامات والتسجيلات الكتابية كما يلاحظ ذلك بعض الباحثين(٢٢).

لقد لجأ بعض الباحثين إلى الاستدلال على وجود الثقافة الدينية السامية من خلال الأسماء مثل اسم الاله أمون والاله بتاخ ولكننا هنا نلجأ إلى استعمال قرائن أكثر ثباتا من اللغة لإظهار هذه العلاقة. فالاله أمون تسمى العمونيون باسمه والاله بتاخ له أكثر من مقام في الجنوب اللبناني باسم «بطاح»، أحدها في صيدا والآخر في بلدة الدوير. وهو من الأقدم بين معبودات المصريين. كما نفترض تسمية بيتياحون «بتاحون» وهي مجاورة لبلدة صفد في منطقة بنت جبيل.

كما هناك الإله «صفد» فهذا توجد مدينة باسمه هي «صفد» في الجليل قرب الحدود اللبنانية، كما توجد قرية في منطقة بنت جبيل باسم «صفد البطيخ». وعند العودة لسجلات فراعنة مصر نجد أنه موجود قبل الهكسوس هنا، وأن الصفة الملازمة له هي «سيد الشرق»(٢٣). وهذه الصفة اعتراف بأصله الغريب عن مصر، وقد ورد بهذا الوصف في نقش وهو يناول سسوسترس الثاني رمز الحياة. وهذا الفرعون هو من الآسرة الثانية عشرة (٢٠٠٠ ـ ١٧٨٥ق م)، أي قبل عصر الهكسوس وقد ورد اسمه مركباً «حورس ـ صفد» في عهد ستي الأول (١٣١٨ ـ ١٢٩٨ ق.م). ولورود هذا التركيب نعتبر أن الاسم على أرض الجنوب اللبناني هو «صفد ـ بتاح» في الأصل لوجود الإله بتاح في المنطقة ووجود قرينته «سخمت» في اسم بلدة «سحماتا»، قرب حدود الجنوب اللبناني في منطقة الجليل. وصفة الشرق تطلق على البلاد العربية وكل ما هو شرقي الدلتا بوجه عام. وإطلاقها يثبت الأصل الشرقي لهذا الاله. كما نشير هنا إلى أن اسم مدينة «صفد» في الجليل هو مركب أيضاً في الاصطلاح الشعبي «صفد العلي». ونرجح أن هذا التركيب تاريخي قديم وليس مستجداً كما يبدو للوهلة الأولى.

وإذا كانت هذه التسميات تؤكد العلاقة القديمة بين تراث الجنوب اللبناني والتراث الديني الفرعوني فإن السؤال الذين ينشأ في ذهن القارىء هو : من أخذ عن الآخر؟ هل المصريون أدخلوا هذه المعطيات إلى الجنوب اللبناني أم الجنوبيون هم الذين حملوها معهم إلى مصر؟

إن عراقة التاريخ المصري وشهرته العالمية تجعلنا نتردد بالحكم في ذلك فنترك للقارىء هذا الحكم، داعين، إياه إلى مراعاة لغة الأسماء والاستمرارية في استعمالها وقدم المواقع الأثرية الحاملة لها في الجنوب اللبناني، حيث نجد المقومات الطبيعية للسكن من ماء، وسهول ومناعة موقع هي التي رعت هذه

الاستمرارية وحافظت على التراث معها، منذ نشوء هذه المواقع وتسميتها.

وهكذا لا نجد «شيث» وحده تراثاً مشتركاً بين مصر ولبنان بل نجد تواصلا قديما في هذا التراث بين المنطقتين.

وإذا كان شيث وهو موضوع هذا الفصل قد مر بفترات كره، ونسبت له أعمال مشينة في بعض حقبات التاريخ المصري فإن بقاء أتباع له يقدسونه إلى جانب المعادين له حماه من فقدان الصفات الأولى التي كانت له والتي تناقلها كتاب التراث العربي بعيداً عن مصر، حتى إذا ما جاءت الفرصة برز هؤلاء الأتباع وفي مصر ذاتها.

فقد ظهرت شيعة دينية في القرن الثاني للميلاد كانت تتعبد له في المطلق وتعتبره الذي أرسل يسوع المسيح إلى الأرض [٢٤]. وهذا يعني أن العقيدة بتواصل الرسالة كانت موجودة لدى هذه الشيعة التي حاولت جماعة منها الربط بين شيث وملكي صديق ملك أورشليم القديم. ولا أرى هنا في تعريف بولس الرسول للمسيح بأنه كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صديق (العبرانيين ٧: ٢١) إلا أثراً من هذه العقيدة وتعبيراً عن هذا النهج الفكري الرسالي الذي لاحظه المؤرخ المسعودي لدى أتباع شيث كما ذكرنا.

كل هذه المعطيات حول شخصية شيث تشير إلى أنه كان رمزا معنويا كبيراً أعطاه التاريخ حقه وميَّزه عن غيره، من الرسل وأكد على هذا التمييز الحديث النبوي الشريف، مستعملاً الأرقام لإبرازه، حين ذكر أن الله خصه بخمسين صحيفة وحده بينما لم يكن لابراهيم وموسى سوى عشر صحائف لكل واحد منهما، ولاخنوخ، الرمز العالمي للحكمة تحت أسمائه المتعددة. ثلاثين صحيفة، ولكل من الكتب السماوية صحيفة واحدة.

وهذا الموقع المتميِّز ذاته هو الذي انطلقت منه الأفكار الغنوصية، في بيئة مدينة الاسكندرية لدى الأقباط، حيث عثر على دعوات وترانيم موجهة إليه مكتوبة على ثلاثةأنصاب باللغة اليونانية. وهي تعود لأوائل القرن الثالث للميلاد ونلخص هنا بعض ما ورد في الكتابة.

«حصل «دوزيتيه» على المعرفة من الانصاب الثلاثة لشيث.

«قرأها وحفظها في ذاكرته ونقلها إلى المختارين بالشكل الذي وجدت به مكتوبة.

«أبو السلاله الحيَّة الذي لا يتزعزع.

«أيها الأب بسببك أنا موجود.

«إنك نور وناظر للنور.

«أمجدك كاله.

«أعلن اسمك أنت الاسم الأول. أنت غير المولود. إنك تظهر نفسك فتظهر بك الكائنات الخالدة.

«إنك كلمة معلنة بالصوت. أنت جزء من إله.

«نحن نباركك أيها المثلث الرجولة، الجامع للكل.

«بها جميعها تعطينا القوة.

«أنت انبثقت من الواحد بتحريض من الواحد وإلى الواحد تذهب وتعود.

«لقد أنقذتنا... أيها المنتشر في كل مكان: أيها الواحد. لقد رأيت في البدء أن الحقيقي السابق للوجود هو اللاوجود. وأنت منه وبه وجدت سابقاً إلى الأبد. أنت مثلث القوة، موناد كبيرة منبثقة من موناد جوهرية. أنت أيها المستتر، أنت عالم المعرفة. نور منبثق من نور. نحن نباركك.

«منك يأتي السلام فأنت حكمة «الغنوص». أنت الحقيقة. منك هي الحياة . ومنك تأتي الحياة. منك هو العقل...

«أنت عالم الحقيقة... أنت هو أيون الأيونات، الكمال الكامل المتجمع.

«أصغ، أصغِ. أنقذ! أنقذ» (٢٥)

وهكذا تجددت شخصية شيث الالهي مقتبسة من افلاطون والهلنستية والمسيحية الأولى، وكأنه حقا أمل بتجديد الصحائف الإلهية لبني البشر.

هوامش

١) - الطبري - تاريخ الرسل والملوك - جـ ١ص ١٥٣ و٢١٢ - دار المعارف بمصر، ١٩٦٠

٢) - ابن الأثير - الكامل في التاريخ - جـ ١ص ٢٩ و٣١ و٣٣

٣) - جواد علي - المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام - جـ ١ص ١٤٧ و١٤٨

4) Bibliothèque Copte De Nag Hammadi (Colloque International Sur Les Textes De Nag Hammadi - Quebec 22 - 25 Aout 1978 1vol P.319-320 éd. Peeters Louvain - Belgique, 1981

5) Flavius (Josephe), Histoire Ancienne Des Juifs, 1:2, éd LIDIS, 1968 .

6)Michel Le Syrien, Trad. Par J.B. Chabot, 1:3,4 P. 5 - 7 éd. Ernest Leroux . 1899.

٧) الطبري - تاريخ الرسل والملوك - جـ ٢ ص ٢٧٦

٨) المسعودي - مروج الذهب ومعادن الجوهر جـ ١ ص ٤٧ نشردار الاندلس ١٩٧٣ نلفت إلى أن كلمة «الأباضية» وردت في طبعات متعددة «الإمامية» فلعلها الأصح.

9)Bibliothèque Copte De Nag Hammadi Vol. 2 P. 227
10) Klijn (A. F. J.), Seth In Jewish , Christian And Gnostic Literature, P. 303, 108, ed. E.j. Brill, 1977

١١) تاريخ ابي الفداء، ص ١٤، ١٤٨، نشر E.Duobus ١٨٣١، لا يزغ.
١٢) - النيسابوري (أبو اسحق أحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف) بالثعلبي قصص الانبياء المسمى - عرائس المجالس، ص ٣٩، منشورات دار إحياء الكتب العربية.
١٣) - تاريخ اليعقوبي، ص. ١٥ منشورات Brill ١٨٨٣

14) A.N.E.T, P. 252 & Breasted A. R.E. 3: 538
15) A. N.E. T, P. 257
16) A.N.E.T, P. 199- 201
17) A N.E. T, P. 377
18) A.N.E.T, P. 231
19) Drioten Et Vandier, Egypt, G: 5 A. ed. Les Presses Universitaires De France Wilson (John A.) The Burden Of Egypt, Chap. 10 - Ed. The University Of Chicago Press, 1951
20) Budge (Wallis E.A), The Gods Of The Egyptions Vol II, P. 245, Ed The Open Court Publishing Comp. 1904, Chicago.
21) The Interpreter's Dictionary Of The Bille (5 Vols) "serpent" By Mc. Cullough (WS) ed. Abingdon Press, 1962
22) Lefébure (E), Les Noms D'apparence Sémitique Ou Indigéne Dans Le Panthéon Egyptien, Recueil De Mémoire Des Textes, XIVe Comgrés Des Orientalistes, Alger, Imprimerie Orientale P. 390 - 407, Pierre Fonti 1905.
23) Breasted, A.R.E. 1: 722,750
24) Pleyte (W), La Réligion Des Prés - Israélites - Recherche Sur Le Dieu Seth P. 126, ed Leiden 1865.
25) Les Trois Stèle De Seth (Hymne Gnostique A La Triade) P.35 -59 Par Paul Claude ed Les Presses De L'Uniersité Laval - Quebec, Canada, 1983

الجنوب اللبناني في ظل تسلُّط الفراعنة

بعد سقوط دولة الهكسوس في مصر تتابعت غزوات الفراعنة للمدن الكنعانية فدمَّرت كل ازدهار فيها، ولم تبق صامدة غير مدينة «قادش» في شمال سهل البقاع. ولكنها بعد صراع طويل فتحت أبوابها سلماً للفرعون «أمن حوتب الثاني» (١٤٤٧ ـ ١٤٢١ ق م)، حيث راح هذا يتجول في سهل البقاع حتى مدينة حاصبيا (خاشابو) في الجنوب. وقد سجل الغنائم والأسرى وما اصطحبه معه إلى مصر على نصب وجد في «ممفيس» ونسخة منه في معبد الكرنك، وهو يعود للسنة السابعة من حكمه، فكان بينهم «٦٤٠» كنعانيا و«٢٧٠» امرأة من الوصيفات مع عدة الترفيه التي تطرب القلب وهي مصنوعة من الفضة والذهب يحملنها فوق أكتافهن، كما يقول النص، بالإضافة إلى «٧٣٠» عربة مع عددها الحربية.

وفي غزوته الثانية، في السنة التاسعة لحكمه يذكر بين الأسرى الذين أحضرهم إلى ممفيس «١٥٢٠٠» من الشاسو، إلى جانب «٣٦٠٠» من العابيرو، و«١٢٧» أميراً من أمراء بلاد «رطنو» و«٣٦٣٠٠» من الحوريين (السوريين)، و«١٥٠٧٠» من النيغز، وهؤلاء هم من شمال سوريا على الأرجح [1].

وهنا نستدل إلى الوضع الاقتصادي والاجتماعي من نساء الترفيه وآلات الطرب التي كانت لهن في بلاد كنعان. فهذه المجموعة الكبيرة لم تكن لتوجد في غير القصور والأبنية الفخمة. كما أن العربات الحربية لا توجد بدون طرقات ممهدة وسلطات تجهز هذه العربات. وهي بالتالي لم تكن لتسقط بيد الغزاة لو لم تكن غير موحدة الرأي والقيادة. وقد كشفت غزوته الثانية هذه الحالة عندما ذكر

اصطحابه لعدد كبير من الأمراء أخذهم معه، كعادة ذلك الزمن، رهائن لضمان ولاء الأسرات التي ينتمون إليها.

ووجود هذا العدد الكبيرمن الشاسو بين الأسرى يعني أنهم كان لهم وجود عسكري وقومية خاصة تميِّزهم من العابيرو الذين كانوا خليطا من الجماعات المترحلة للارتزاق.

ويبدو أن الشاسو هؤلاء هم ذاتهم التي تعرفهم نصوص أرض الرافدين بالسوتو. وهم أتباع الإله شيث في الجنوب اللبناني، وفي غيره من أرض رطنو.

وهؤلاء لم يكونوا في البادية أو الصحراء حيث يمكنهم النزوح من وجه الجيش المصري، بل تسجل النصوص أنهم كانوا في جبال «خارو»، أي جبال الجليل والجنوب اللبناني، كما كانوا يسمون هذه المنطقة. وكان الوجود الحوري كثيفا فيها وله مستقرات لا تزال تحمل أسماءها الحورية.

وحين العودة إلى رسائل العمارنة نجد التمييز واضحا بين الشاسو والعابيرو. ففي رسالة من حاكم «كمودي» (كامد اللوز) يقول فيها للفرعون أنه مع جنوده وعرباته وأخوته، ومع العابيرو والسوتيين على استعداد للذهاب إلى حيث يأمره الملك بالذهاب (الرسالة ١٩٥). كما تذكر رسالة من حاكم جبيل يشتكي بها للفرعون أن الشوتيين قتلوا بعض جنوده وهذا لم يحدث له من قبل (رقم ١٢٢). ويبدو أن هؤلاء الشوتيين كانوا غير مستقرين كلياً في المنطقة حيث في رسالة من احد ابناء عزيرو الى الفرعون يقول فيها أن الشوتيين يعتقدوون أن أباه لن يعود من مصر وأنهم تركوا المنطقة لأنهم سيعلنون الحرب عليه (رقم ١٦٩).

كما يبدو أن هؤلاء الشوتو كانوا يسيطرون على الطرق بين مصر وبابل في عصر العمارنة، حيث هناك رسالة من ملك مصر نبمواريا إلى ملك كردونياش (بابل) يذكر فيها أنه أرسل هدية بمسؤولية الشوتو وهي كناية عن أثاث لبيت جديد بناه الملك البابلي «بورنابورياش» (رسالة ٥).

وقد كان الجنوب اللبناني عامراً بالمدن والقرى في زمن العمارنه وإن لم ترد أسماؤها بالتعيين في هذه الرسائل. فقد ذكر حاكم صيدون أن المدن التي كان وضعها الفرعون تحت إدارته انضمت إلى العابيرو. وهذه المدن لم تكن سوى بلدات الجنوب القريبة من صيدا، وهي كانت تابعة لها كما ذكر زمريدا منذ عهد أسلافه (رقم ١٤٤).

كما نعرف من رسائل «أبي ملكي» حاكم صور أنه كان مخلصاً للحكم المصري وأن صور كانت مركزاً رئيسياً يزوِّد الدولة المصرية بالمعلومات عن حالة المنطقة حتى «أضنه»، حيث يخبره أن ملك «دانونا» قد مات وخلفه أخوه في السلطة وبلادهما مستقرة، وأن النار التهمت قصر أوغاريت وأحرقت نصف المدينة، بينما اختفى النصف الآخر. وأن ليس هناك جيش حثي قرب الشواطىء وأن إيتاكاما أمير «قدشو» وعزيرو يحاربان «بيرياوزا» حاكم كمودي (رقم ١٥١).

وفي هذه الرسالة الاخيرة نستنتج أن صور كان لها أسطول بحري نشيط يتجول في الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط ويحمل معه اخبار المنطقة، كما لها علاقات واسعة مع بلاد الداخل إذ بدون هذا الأسطول وهذه العلاقات لا تستطيع الحصول على هذه الأخبار التي تطلبها مصر . وتكشف الرسالة «١٥٣» عن وجود الاسطول البحري إذيعلن فيها أبي ملكي عن وضع سفنه بتصرف الجيش المصري حين حضوره لإعادة الأمن المضطرب للمنطقة. كما هو في كل رسائله يشكو من مضايقة زمريدا، حاكم صيدون له وحرمانه من الاستفادة من مياه «أوزو» (رأس العين) ومن الحطب الذي يجلبه الى الجزيرة من البر الذي كان يدفن فيه موتاه أيضاً، كما تذكر الرسالة «١٤٩».

وقد سجل نص للفرعون ستي الاول (١٣١٨ ـ ١٣٠١ ق م) ان مجموعة من الشاسو كانت تخطط لثورة على الحوريين في منطقة الجنوب اللبناني الجبلية دون مراعاة للأنظمة المصرية . وهو عرّف هذه المنطقة باسم جبال «خارو» وقد اختلفت ترجمات هذا النص فظنوا الثورة ضد الحكم المصري بينما ورود كلمة التذكير بالأنظمة المصرية مع معرفتنا بوجود الحوريين في منطقة الجنوب تجعل الترجمة الأصح هي الخلاف بين الشاسو والحوريين، حيث يكمل النص بأن الخلاف بين الزعماء جعل واحدهم يقتل الآخر مما أبهج قلب الفرعون.

هذا النص وجد على جدار معبد الكرنك وهو يذكر أنه كان يحارب أتباع الشاسو، بدءاً من حصن «سايل» على حدود مصر حتى أرض كنعان. وقد ملأ أوديتهم بالجثث. كما في نقش يبرز منظر حصار لمدينة تقع داخل الغابات، رجح الباحثون أنها مدينة «جنعم» عند كعب جبل حرمون. كما في نقش آخر يظهر رجال يقطعون الأخشاب في مدينة قيدر في أرض «هنم»، وذلك من أجل صنع مركب كبير لاجتياز النهر، كما يوضح النص بأن القاطعين هم أمراء لبنان . والأرض

المسماة «هنم» ربما تكون تحريفا لاسم « هرمل» لأن هناك منظراً آخر يظهر فيه حصار لمدينة قادش الكنعانية، قرب نهر العاصي [٢] وهي ليست بعيدة عن الهرمل.

ويبدو من هذه النصوص أن المدن الكنعانية الكبرى مثل جنعم وقادش هي التي كانت تشجع حركات التمرد للشاسو وتوجهها لمقاومة النفوذ المصري الذي كان يدمّر كل ازدهار يبرز في البلاد المجاورة لمصر في الشرق، وفي أرض رطنو بوجه خاص. وقد كادت مدينة جنعم تغدو مدينة أسطورية بمناعتها وثرائها وتعدد الغزوات الفرعونية لها لسلبها وتدميرها ، مما يعني أنها كانت مركزاً هاما وليس مدينة منعزلة عما حولها. ولهذا نقرأ في نص لستي الأول هذا أنه في غزوته لرطنو العليا قضى على الشاسو وحصل على أسلاب كثيرة منهم،. وبذلك وسع حدود مصر. وهذا يعني أن هؤلاء الشاسو لم يكونوا من البدو المترحّلين وإنما من المقيمين ذوي الأرض والحدود.

لقد كانت الحملات الحربية لستي الأول. بمثابة استعراض بطولة أو رحلات ترفيه. وقد تكررت المفاخرة بأن قلبه كان يفرح بمنظر الدماء أو يبتهج بساعة قتال أكثر من يوم من الاحتفالات. [٣]

ويظهر أحد النقوش ستي الأول وهو يقوم بتضحية عدد من الأسرى على مذبح الاله أمون. كما في سجلات المدن التي اجتاحها يذكر بلدة كامد في جنوبي البقاع وصور وأوزو (العزّى) وبيت عناة وجنعم في الجنوب اللبناني، وربما «كرحبون» التي يذكرها باسم «كرميمو» قرب «عناتا» [٤]. وهذه وردت في أخبار السنة الثامنة لابنه رعمسيس الثاني مع بلدات سلم وعناتا ومارون وفي الترتيب ذاته، مما لا يقبل الشك بموقعها واسمها.

وعلى نصب وجد في «إبريم» يزايد ستي الأول على سابقيه من الفراعنة المحاربين فيذكر بأنه احتل البلاد من منطقة «قرون الأرض» في الجنوب، أي في أفريقيا، إلى مستنقعات «نهارينا» في الشمال. كما يوصف بأنه، «الذي سحق «رطنو» وأخذ رؤساءها أسرى أحياء» [٥].

وهنا نلفت أيضاً إلى خطأ كبير ارتكبه العالم الأكبر في النصوص الفرعونية هنري بريستد فهو حاول الربط بين الشاسو هؤلاء والعبريين تحت اسم «خابيرو» الذين كانوا يتجولون في المنطقة في زمن تل العمارنة، مشدداً على هذه العلاقة،

مع العلم أن هؤلاء الخابيرو كانوا من شعوب مختلفة وجماعات مشردة يعملون أحيانا كمرتزقة لدى الزعماء المستقرين، بينما في مشهد منقوش يعطيه الرقم التاسع في نصوصه يذكر وجود أسرى من الشاسو يحملون أواني ثمينة على ظهورهم يقدمهم الفرعون كهدية للاله أمون بوصفهم من أرض رطنو (٦) وهذا المشهد يشير إلى سكان مدن لديهم منازل ثابتة وأواني ثمينة صالحة للسلب. وهي لا تكون مع جماعات لا سكن لها في مستقرات ثابتة.

كما يبدو أن بريستد لم ينتبه إلى وجود التمييز بين العابيرو هؤلاء والشاسو في نصوص أمن حوتب الثاني (١٤٤٧ ـ ١٤٢١ ق. م)، حيث أخذ هذا أسرى بعدد (٣٦٠٠) من العابيرو وعدد «١٥٢٠٠» من الشاسو أحياء مع «٣٦٣٠٠» من «الخارو». ويبدو أن الخارو هؤلاء كانت تسميتهم تشمل جميع سكان سوريا وليس الحوريين وحدهم. وهذا الاصطلاح يعرفه كل من تعامل مع النصوص الفرعونية.

كما لا بد من الاشارة إلى ملاحظة لبيير مونتيه، وهو من الذين تعمقوا في الدراسات الفرعونية، فقد رأى هذا الباحث أن تسمية سيتيو (أي الآسيويين؟) وتسمية عمو أو منتيو في المملكة الحديثة كانت تطلق على الشاسو. وفيزيائيا كان المنتيو والعمو متشابهين جدا، ولهم ملامح الوجه واللحية المروَّسة والشعر الطويل ذاتها، ويلبسون اللباس ذاته (٧).

كما نشير إلى أن أسماء المدن الواردة في سجلات الغزو لدى الفراعنة كانت تتكرر على الأنصاب، مما يعني أن ناقشي هذه الأنصاب لم يكونوا يكتبون ذلك ليكون سجلات تاريخ، وإنما ليكون مفاخرات للغزاة. ولهذا نجد مدنا عديدة في هذه السجلات يتكرر ذكر فتحها وتدميرها خلال سنوات قليلة فقط. وهذ يعني أن فتحها لم يكن سوى ادعاء. ومن هذه المدن قادش وأرداتا وجنعم.

وقد لاحظ الباحث «جون ويلسون» في سجلات تحو تمس الثالث للمدن التي تغلب عليها وسلبها أن الفراعنة لم يهتموا بالمناطق الجبلية البعيدة عن الطرق الدولية الرئيسية، وأنه ندر ورود اسم بلد من بلاد فينيقيا لأنها على الأرجح، لم تشترك في ثورة «مجدو» (٨).

وهذه الملاحظة كبيرة الأهمية بالنسبة لبلدات الجنوب اللبناني. فهي بمعظمها كانت حصونا صغيرة وفقيرة ، لا أطماع للغزاة بها. وهكذا حافظت على استمراريتها. كما أنها كانت معابد أو بلدات معابد، كما توحي بذلك تسمياتها. ولا

بد من أن تكون لها حرمة المعابد، وبخاصة أن رموزها كانت مقدسة في مصر، وبعد زمن الهكسوس، حيث نجد أسماءها متداولة في النصوص الملكية، مثل بعل رشف، عناة، عشتارت، صفد. صافي وغيرها.

وتشهد على عمرانها سجلات ابن ستي الأول، رعمسيس الثاني (١٣٠١ ـ ١٢٣٤ ق. م.) فعلى نصب خاص به في مدينة «طيبه» يذكر أنه في السنة الثامنة هاجم بلدة «مروم» والاشارة الهيروغليفية لهذه البلدة معها يد تشير إلى فوق مما يعني أنها على رأس جبل. وهذا يطابق وضع بلدة «مارون الراس» في جوار بنت جبيل، ثم تليها بلدة «سلم» وهي نفترض أن تكون اما مجدل سلم أو خربة سلم في منطقة بنت جبيل، ثم يذكر جبل «بيت عناة» وهي بدون شك بلدة «عناتا» التي في أرضها اليوم خربة «كرحبون» التي يسميها «كرب» في جبل بيت عناة. ويبدو أن بنت جبيل ذاتها كانت مشمولة بتسمية بيت عناة، حيث لا يزال هناك مزار في ساحة البلدة يطلق عليه اسم «النبية». وآثار هذه المدينة الحاضرة متصلة بآثار بلدة عناتا، كما يعرف أبناء هذه المنطقة[٩]. وهكذا يكون رعمسيس الثاني سلك الطريق البري الذي يمر شرقي بلدة «يارون» على الطريق المسمى اليوم «السلطاني».

ويبدو أنه تجنَّب غزو المعابد لكونه لم يذكر «بيت عناة» ذاتها بل جبل بيت عناة، بينما هذه كانت عامرة في زمنه، كما أنه هاجم إحدى بلدتي «سلم» إلى جانب بلدة مارون الحصينة فوق أعلى جبل في المنطقة. ونفترض أن البلدة الثانية كانت بلدة معبد سلم وليس مجدل سلم.

أما ما يشهد على عمران هذه المنطقة فهو ماورد عنها في جغرافية يشوع التي تذكر عمرانها بعد رعمسيس الثاني بسنوات قليلة، حيث يرد ذكر «ادامه» والرامه (راميا) و«حاصور» و«قدس» و«عين حزور» (في أرض دبل) و«يارون»، و«مجد ايل» (؟) و«حوريم» (حوريه في أرض يارون) و«بيت عناة» (عناتا) و«بيت شمش» (سموخي باللغة الحورية في أرض رميش). (يشوع ١٩ : ٣٦ ـ ٣٨). ومجدل إيل الواردة هنا في هذه المنطقة يبدو أنها كانت مدينة هامة لتكرار ذكرها في سجلات الفراعنة الحربية. ولا تحديد لموقعها بعد.

وعلى نصب وجد في آثار «بيت شان» (بيسان) وجدت كتابة تسجل حملات ستي الأول وابنه رعمسيس. وتعيِّن إحدى هذه الكتابات وجود الجيش المصري حول مدينة جنعم عند كعب جبل حرمون. وقد وجدت كتابة نشر منها بريتشارد

في نصوصه عشرة أسطر تقول: «في هذا اليوم (؟) جاء للفرعون من يقول أن العابيرو في جبل يرموتا مع طير... هاجموا آسيويي «رحم» (روم؟) فاستتكر أن يكون الآسياويون (السيتيو) المهزومون يحملون السلاح لزيادة من الفوضى. وقد أمر عدداً من رجال جيشه مع عرياته بالتوجه إلى منطقة جاهي. وخلال يومين عاد هؤلاء منتصرين إلى منطقة «جـ...» ومعهم أسرى وأسلاب» (١٠) .

حاول بعض الباحثين تعيين موقع المنطقة قريباً من بيسان، حيث وجد النصب والكتابة، لكن المغالطة كانت كبيرة. فالجيش لم يكن آنذاك في بيسان بل كان متجها إلى قادش في شمال سهل البقاع، قرب نهر العاصي. وكان في حصار لمدينة جنعم المحاطة بالغابات. وحيث إن المنطقة التي اتجه إليها هي منطقة «جاهي» أي لبنان، فإن الموقع يكون قريباً منه إلى الغرب. وهكذا لا يكون جبل يرموتا سوى جبل عرمتا، حيث هذه قريبة من بلدة «روم». ويبدو أن كلمة «عابيرو» لم تكن دقيقة، حيث يطلق النص ذاته عليهم تسمية آسيويين. ويبدو أن كلمة «طير» وحدها غير محددة. كما نلفت هنا إلى تسمية بلدة «عبرا» في الشرق من مدينة صيدا هي أثر يشير إلى وجود العابيرو القدماء في المنطقة الذين ذكرتهم نصوص تل العمارنة، قبل ذلك الزمن بعشرات السنين، وكانوا واسعي الانتشار في سوريا ولبنان وفلسطين. أما تسمية «طير» فنشير إلى وجود أكثر من سبعة مواقع في الجنوب اللبناني باسم طور أو طير أو طورا وهي البلدة الأقرب للموقع.

وهنا لا بد من الاشارة إلى اهتمام رعمسيس الثاني بمنطقة الجنوب اللبناني ليس كمعبر إلى المدن الكبرى مثل جنعم وقادش، بل كبلاد ذات امتياز خاص لديه. فهو بعد أن ذكرت سجلاته العبور في جبل بيت عناة ومجدل سلم وكرحبون ومارون الراس سالكا الطريق السلطاني المار بين جبال الجليل نجدها تذكر حملة اجتاز فيها راس الناقوره ومسالكه الصعبة ووصل إلى مدينة بناها في الجنوب تحمل لقبه «مريمين»، ثم انتقل منها شمالاً ليعبر سهل البقاع إلى مدينة قادش ليحارب الحثيين وأحلافهم قبل الصلح معهم ومصاهرتهم. والنص هو التالي.

«الآن بعد أن جهّز جلالته مشاته ومركباته والسردينيين، الذين كان أسرهم بسلاحه والمسلحين بكامل أسلحتهم، أصدر أوامر القتال واتجه شمالاً مع المشاة والمركبات. أنطلق بالمسير على الطريق الفسيح في السنة الخامسة، في الشهر

الثاني من الفصل الثالث وفي اليوم التاسع، فاجتاز حصن «سيل» (على حدود السويس). كان بجبروته يماثل «مونتو» (إله الحرب المصري) ومع تقدمه كان كل قطر أجنبي يرتعد أمامه، فيسرع رؤساؤه لتقديم الضرائب. وكل المتمردين كانوا يحضرون إليه خاضعين خوفا من مجد جلالته. كان مشاته يتقدمون في المسالك الضيقة وكأنهم على طرق مصر الفسيحة. والآن وبعد أيام مرَّت على ذلك، كان جلالته في «رعمسيس مري أمون» المدينة. الموجودة في... الأرز (؟). واتجه جلالته إلى الشمال فوصل إلى سلسلة جبال قادش. وعندئذ سار جلالته إلى الأمام وكأنه أبوه «مونتو» سيد طيبة. واجتاز مجرى نهر العاصي بالفرقة الأولى «جيش أمون» (المسماة) «يعطي النصر إلى وسر ما عت رع. سطب إن رع». ووصل جلالته إلى مدينة قادش.

والآن كان العدو الذليل المنتمي لحاتي (الحثيين) مع أقطار متعددة من الأجانب الذين كانوا معه يتربصون مستترين ومستعدين في الشمال الشرقي لمدينة قادش بينما كان هو بمفرده مع حاشيته. وكانت فرقة «أمون» في مسيرتها خلفه. وكانت فرقة «رع» تجتاز المخاضة جنوبي بلدة «شبطونا» بعيدة عن المكان الذي كان جلالته فيه بمسافة «كيلو مترين؟». وكانت فرقة «بتاح» إلى الجنوب من مدينة «أرنايم»، وفرقة «شيث» كانت على الطريق. كان جلالته يشكل الجبهة الأمامية للصفوف القتالية أمام جميع قادة جيشه، بينما كانوا هم لا يزالون على الشاطىء في أرض أمورو.

وفي نص آخر موجز يرد أن جلالته كان في اليوم التاسع من الشهر الثالث من الفصل الثاني للسنة الخامسة، أي بعد شهر من تركه مصر، كان في أرض «جاهي» فوق الجبال جنوبي مدينة قادش، في الجوار الجنوبية لمدينة «شبطونا» (١١).

هذا النص يكشف النهج الفرعوني في الحروب الآسيوية. فهو يذكر إخضاع الفرعون للسردينيين (شردن)، وهم من شعوب البحر الذين غزوا المنطقة في تلك الحقبة وجندهم في جيشه بالقوة، مع أسلحتهم وعرباتهم. بينما، بالمقابل، يذكر الحثيين وأحلافهم من الاقطار الأجنبية. وهم كانوا مجتمعين في مدينة قادش هذه المرة، بينما كان الحلف المماثل الذي حاربه تحوتمس الثالث، كما رأينا، مجتمعا في مدينة «مجدو» في فلسطين. وكما هزم حلف مجدو بسبب تعدد قياداته هزم حلف «قادش» أيضاً للسبب ذاته. بينما كان انتصار الجيش المصري في الحالتين نتيجة

للنظام القيادي الموحد تحت سلطة الفرعون الواحد. هكذا، بالرغم من مرور مئتي عام بين الحدثين. فقد تحكَّم بهما النهج ذاته، وما حدث في الأول حدث في الثاني وانهزم النهج التعددي أمام النهج «التوتاليتاري» وتراجعت معه حقوق المجموعات الصغيرة في الاستقلال والقيادة، مما جعل بعض القياديين يفسرون ذلك بإرادة إلهية لا سبيل إلى مقاومتها. وهذا بالفعل ما حدث للزعيم الحثي الذي رأى أن الخضوع لإرادة الفرعون المصري هو «قدر» له ولشعبه، حتى أن الجفاف الحادث من فعل الطبيعة كان انتقاما منه ومن شعبه بسبب مقاومة هذا القدر الإلهي، كما تعبِّر عن ذلك كتابة نصب «الكرنك» الخاص بانجازات رعمسيس الثاني مع الحثيين.

وكان أهم إثبات لهذا الفكر السياسي هو إرسال الملك الحثي ابنته ومجموعة نفيسة من الهدايا إلى الفرعون رعميسس الثاني، وهي من الذهب والفضة والجواهر وخيول لاعدلَّها، مع بقر وماعز وأغنام بعشرات الألوف، مما ملأ الأودية. حسب تعبير النص. وذلك «لأن الرب «شيث» غاضب والسماء لا تمطر لنا...» (١٢)

وهنا علينا أن نتصوَّر وضع القبائل والمجموعات الأقل عدداً وبعداً عن مصر من الحثيين. ومن هؤلاء كانت مجموعة ساكني الجنوب اللبناني.

ومن خلال إشارة النص إلى وجود «مريمين» باسم هذا الفرعون قبل زيارته لها في طريقه إلى قادش نفترض أنه في حملاته السابقة كان قد تجول في منطقة الجنوب وأنشأ هذه المدينة لغاية ما. أما هذه الغاية فلا يمكنها أن تكون حربية أو أقتصادية وذلك لعزلة الموقع عن الطرقات العامة ولصعوبة الوصول إليه لغير القاصد. ويبدو أن أنشاء هذه المدينة يتزامن أو يقارب زمن نقش الفرعون لكتابة نهر الكلب في شمال بيروت، وهو كان كما يبدو جاء مع مشاته بطريق الساحل آنذاك ورجح بريتشارد أنه يعود للسنة الرابعة من حكمه. وفي هذه الحالة تكون وجهة سيره عندما غزا بلدات مارون الراس وكرحبون في جبل بيت عناة، مع مجدل سلم، تكون وجهة سيره متجهة إلى مدينة «مريمين» اما للاصطياف في هذا الموقع الطبيعي المتميز أو للتعبد للإله «أمون» الذي نفترض أنه أنشأ معبداً له على تلك الرابية الجميلة بين الغابات التي وصفوا شجرها خطأ بالأرز.

وإذا كنا نجهل اليوم الموقع المؤكد لأرنايم فإن تعبير الشاطىء في أرض أمورو

يثير بعض الالتباس. فهو بالتأكيد الشاطىء اللبناني، ولكن هل يعني أن فرقة من الجيش جاءت بطريق البحر إلى «سهل عكار» لتنتقل إلى قادش أم التسمية أطلقت على الشاطىء بكامله وكانت قيادات جيشه الضخم لا تزال على شاطىء صور، قريباً من مريمين، مدينته الخاصة؟

إن الأمرين مقبولان، الأمر الأول هو المرجح عسكريا، نسبة للتحالف المعادي الضخم الذي كان ينتظره في قادش وخطته لتطويق هذا التحالف من أكثر من جهة.

أما موقع «مريمين» فقد عيَّنه «مولر» في جنوبي لبنان، كما يذكر بريستد (٣٠٨:٣)، دون أن يربط بين النص والاسم الجغرافي. كما ذكر الموقع «رينان» مشيراً إلى أهمية آثاره وكثرة آبار المياه فيه (ص ٦٧٢). ولم تكن النصوص الفرعونية قد عرفت في زمنه لربطه بها. ووجود مريمين رعمسيس في موقعها يجعلنا أكثر حرصا في البحث عن الآثار الفرعونية في تلك المنطقة البرية، وينتج عن ذلك أن نفترض وجود بلدة «شمس أتوم» الواردة في سجلات المدن التي افتتحها تحو تمس الثالث وغزاها مجدداً أمنحوتب الثاني (١٤٤٧ ـ١٤٢١ ق م) بعده بقليل، نفترض هذه المدينة هي خرائب «العتمة» على التلال المقابلة لخرائب مريمين، ويفصل بينهما وادٍ عميق، يعزِّز هيبة المنطقة ويساند مناعة حصونها[١٣].

وهنا نذكر بأن رعمسيس الثاني كان يعتبر الإلاهة عناة هي الحامية له [١٤] وهذه الإلاهة الكنعانية لها أكثر من موقع باسمها في لبنان، كما هي الرفيقة الأولى للبعل في ملاحم أوغاريت. وارتباط رعمسيس بها مثل هذا الارتباط يجعل من مروره في منطقة «عناتا» أكثر من عبور طريق، وبخاصة أن شهرة معبد هذه الإلاهة كانت من الاتساع والأهمية بحيث احتفظت باستمراريتها حتى أيامنا هذه، حيث لا يزال هناك مقام لها في بنت جبيل وساحة باسمها تحت اسم ساحة «النبيَّة». كما هناك شجرة موقوفة لها في بلدة «عناتا» الحالية.

وإن المرء يتساءل عن العلاقة التي كانت تربط الفراعنة بمقدسات الجنوب اللبناني بعد عهد الهكسوس، حيث غدت هذه المقدسات رمزاً للقوة والعنفوان، وأخذوا يتيمَّنون بها فيطلقون أسماءها على كتائب جيوشهم المتميزة، ومنها عناة وعشتارت وقدش ورشف وشيث وصفد، وهذا الأخير كان يوصف غالبا بأنه « سيد الشرق». وقد وصف «أحمس» قائد الجيش المصري نفسه بأنه : «حاكم البابين في

الأرض الشمالية، نبي «صفد» سيد الشرق» [١٥].

ولا بد من لفت المعنيين بدراسة تدين الفراعنة بعد الهكسوس إلى أنهم، برغم الاحترام الكبير لإله الهكسوس الأكبر شيث واعتبارهم إياه إلهاً عالمياً فهم، على ما يبدو، لم يعتبروه إلها مصريا ودليلنا إلى ذلك أن ستي الأول، وبرغم احتفاله بمرور أربعمائة عام على بروز الاله شيث وبرغم إقامته تمثالاً له أمام مقبرته الملكية فإن هذا التمثال كان بالملامح والثياب الآسيوية. كما أن نقشا للآله داخل المقبرة يبرز فيه الإله أمون في الوسط وإلى يمينه أوزيريس وإيزيس وحورس، على شماله «حاراختي» و«بتاح» والملك ذاته، أي آلهة مدن طيبه وهليوبولس وممفيس [١٦] ولا وجود لشيث داخل المقبرة. وهذا موضوع كبير الدلالة. وكان ستي الأول اشترط ذلك كما تكشف إحدى الكتابات المحفوظة في برلين، حسب أدولف إرمن في دراسته للدين لدى المصريين (ص ١٦٩).

فهل يعني هذا أن الفراعنة كانوا يسترضون آلهة كنعان لتساعدهم في حروبهم خارج مصر، وفي أرض كنعان ذاتها؟ أم أن بعضهم كان من سلالات كنعانية وحافظ على مقدسات أجداده وتقاليدهم؟

أم أن الوجود الكنعاني الكثيف في أرض مصر هو الذي فرض انتشار هذه العبادات السامية على الأسرة المالكة الفرعونية.؟

ومهما يكن السبب فإن أرض الجنوب اللبناني كانت تعتبر أكثر من منطقة جغرافية لفراعنة مصر. ولهذا بنوا مدنا لهم فيها.



بعد رعمسيس الثاني مرت مصر بفترة اضطراب في السلطة دامت ما يقارب ربع قرن. وقد استطاع أحد الآسيويين أن يصل إلى السلطة ويحكم مصر طوال خمس سنوات. وكان اسمه «أرسو» وكان يوصف بالحوري (السوري). وقد ذكره نص فرعوني بأنه كان ناقماً على المعابد يمتنع عن تقديم القرابين لها. ولهذا نقمت عليه الآلهة [١٧] حيث تم إقصاؤه عن السلطة بالقوة.

لم يرد ذكر لحكم «أرسو» لمصر في غير نص واحد مرتبك الترجمة. ولكن كما يبدو، تابع هذا الحاكم السوري الأصل العلاقة مع بلاد الجنوب اللبناني، وترك فيها على الارجح بلدة تحمل اسمه هي اليوم «أرزون» في منطقة صور، متبعا نهج رعمسيس مري أمون الذي ترك اسمه على بلدة «مريمين». وبلدة «أرزون» تحتوي

على آثار هامة، كما ذكر ذلك الباحث الفرنسي «غيران» الذي زارها ولاحظ خرائبها في القرن الماضي (١٨).

واسم هذه البلدة إن لم يكن باسم «أرسو» الحاكم، فهي تكون حاملة لصفة من صفات الاله أمون هي «أرزو»، حيث يصف الإله أمون نفسه وهو يتحدث عن مباركته لرعمسيس الثاني قائلاً: أنا «أرزو» وضعت العدالة في مكانها الصحيح».(١٩) وقد علق المترجم على هذه الصفة بأنها صفة للإله باعتباره أبا للفرعون.

وما يجعلنا نعتبر هذا الاسم أثراً فرعونيا هو أن الفرعون الذي جاء بعده باسم رعمسيس الثالث (١١٩٥ ـ ١١٦٤ ق.م) تابع تقليد تحوتمس الثالث ورعمسيس الثاني وأرزو، وقام ببناء مركز فرعوني في بلاد «جاهي» تقدمة للإله أمون: «بنيت لك بيتاً مدهشاً في أرض جاهي هو كالأفق السماوي في الفضاء واسمه «بيت رمسيس ـ حاكم هيلوبولس ـ له الحياة والنجاح والصحة ـ في كنعان». موقوف ثابت على اسمك وصنعت صورة عظيمة لعبادتك لتكون فيه «أمون رعمسيس ـ حاكم هليوبولس ـ له الحياة والنجاح والصحة!». والغرباء من رطنو يأتون إليه حاملين الضرائب أمامه حسب المقرَّر الإلهي» (٢٠)

هذا البيت المعبد لا بد من أن يكون فوق تلة مشرفة من تلال لبنان الجنوبي ما دام النص يحدِّد الموقع في أرض «جاهي» التي ترد غالبا لتعريف أرض لبنان الجنوبي وتمييزها من أرض «رطنو». وما دام الوصف يوافق تلال الجنوب المفتوحة الأفق. وحيث إن المعبد المذكور كان مركزاً لتلقي الضرائب والتقدمات من الخاضعين لمصر وأصدقائها، فلا بد من أن يكون ذا طريق للعربات، يسهل الوصول إليه. كما لكونه يحمل اسم الاله «أمون» نفترض أن الاسم استبدل بصفة هذا الإله «أرزو» لتمييز الموقع من موقع رعمسيس الثاني المسمى بالاسم الصريح لهذا الإله «مري أمون» أو أنه لا يزال مجهولاً.

وفي تعداد الغنائم التي نقلها هذا الفرعون من بلاد الآسيويين تذكر النصوص أسرى كثيرين من الذكور والإناث. كما يذكر أبناء الأمراء من المريانو والعابيرو. ويبدو أنه كان يأخذ هؤلاء رهائن لضمان ولاء اتباعهم له. وتسمية «مريانو» كانت تطلق على المحاربين بوجه عام في هذه الحقبة. كما كلمة عابيرو كانت تطلق على مجموعات من الناس غير المستقرين كانت موجودة في المنطقة منذ زمن تل

العمارنة. ولا علاقة حصرية لها بالعبريين، كما ذكر وجودهم في المنطقة نص «إدرمي» ملك «ألالاخ» الذي لجأ إليها وعاش بينهم طوال سبع سنوات في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد (نصوص بريتشارد، ص ٥٥٧).

ومن بين الضرائب التي كان يتلقاها رعمسيس الثالث فيقدمها للمعابد المصرية يذكر أبقاراً وحبوباً وجراراً كبيرة من الزيت السوري الذي كانت النصوص تميزه من الزيت المصري. كما يذكر أخشاباً متنوعة الحجم من أشجار الأرز كان بعضها يستخدم لبناء السفن، وهي بمجملها كانت بكميات كبيرة.

وفي محاربة رعمسيس الثالث لشعوب البحر يذكر أنه حصَّن حدوده في منطقة جاهي، وليس في النص ما يوضح موقع هذه الحدود. وهل هي حدود رعمسيس الثاني عند نهر الكلب أم هي حدود أخرى عند رأس الناقوره أو عند رأس الكرمل. فالرؤوس الثلاثة تصلح لاعتبارها مضائق قابلة للمراقبة وحصر العبور لمن يسلك طريق الساحل كما فعلت شعوب البحر.

ومن ادعاءات هذا الفرعون أنه قضى على شعوب البحر قضاء تاما وكان جنودهم بمئات الألوف. وغدا أمراؤهم وقبائلهم تابعين له يمجدونه لكونه كان «على طرائق خطط سيد المجتمع، والده الإلهي الممجّد، سيد الآلهة، (أمون رع)[٢١]. وهذا التعبير الأخير يجعلنا نرجح استعماله لصفة «أرزون» في تسمية الحصن الذي أنشأه في أرض جاهي لأن الاسم يعين الاله بصفته والداً للفرعون كما ذكرنا.

تراجع النفوذ المصري في بلاد رطنو بعد رعمسيس الثالث وبرز الصراع المحلي في فلسطين بوجه خاص، حيث كانت المدن الكنعانية منهكة في ظل التسلط المصري عليها، وكانت شعوب البحر تصارع لاستقرارها فيها وقد غابت السجلات الفرعونية وما فيها من معلومات عن الجنوب اللبناني، ولم يصلنا عنه سوى ما ذكره وينأمون في أخبار رحلة من أجل خشب الأرز. وكان يقصد أمير جبيل «زكار بعل» ومعه مبلغ من الذهب لدفع ثمن الخشب من أجل معبد الإله أمون ـ رع، ملك الآلهة، كما يقول النص. وقد سرق أحد أعوانه المال في مرفأ مدينة «دورا» التي كان أميرها يدعى «بدر» فاشتكى أمره إلى الأمير ، ولكن هذا ذكَّره بأن السارق هو مصري من أتباعه، ولهذا لا يحمل مسؤولية أساسية نحو القضية. ولو كان من أتباعه هو لكان دفع له المال. وهذا يعني أن النظام كان يسود المنطقة ولم تكن في

حالة فوضى.

وانتقل الكاهن إلى مدينة صور، حيث التقى بأحد أبناء «دورا» من «الثيكر» وسلبه ماله بادعاء حفظه له إلى أن يعاد له ماله الخاص، كما نفهم من النص المشوه في هذه المرحلة. ومن هناك تابع مسيرته إلى مدينة جبيل حيث راح أميرها «زكار بعل» يسخر منه ويرفض إعطاءه الخشب ما لم يدفع له ثمنه كاملاً.

وهذا الوضع يحمل إشارة هامة إلى غياب سلطة مصر عن المنطقة. كما أن الحوار مع أمير جبيل يدل على وعي سياسي ناضج لمفهوم العلاقات التجارية بين مصر وشواطىء لبنان. وخلال هذا الحوار يذكر أمير جبيل وجود عشرين سفينة تجارية كانت في مرفإه، كما يذكر وجود خمسين سفينة مماثلة في مرفإ صيدون تتعامل مع تاجر يدعى «ورقة» إيل» مما يعني أن التجارة كانت ناشطة بين مصر وشواطىء لبنان وأن القيمين عليها كانوا من الساميين، كما يدل على ذلك اسم «ورقة إيل». كما يذكر أمير جبيل الكاهن بأن أسلافه كانوا يتعاملون مع الفراعنة تعامل الأنداد وليس التابعين لأن الفراعنة كانوا يدفعون ثمن ما يأخذونه منهم حسب السجلات التي كان يحفظها.

ويذكره أيضا بأن أمون وشيث هما إلهان عالميان وليسا خاصَّين بمصر وحدها. والحوار بمجمله يكشف واقعية أمير جبيل والتهويمات الغيبية العقائدية للكاهن الفرعوني الذي كان «الثيكر» يلاحقونه بدورهم، حيث حماه الأمير منهم بعد أن عقد مجلساً لأعوانه واتخذوا معا هذا القرار (٢٢) . وهو قرار ديمقراطي صحيح بالنسبة لتلك الايام.

وما نستنتجه من نص الرحلة هو أن المنطقة كانت منظمة وخاضعة لأعراف وقوانين ظهرت في «دورا» في الجنوب كما في جبيل في الشمال، كما كان الازدهار الاقتصادي والتجاري بارزا كما يبدو من عدد السفن التجارية في ميناء صيدون المدينة الجنوبية الرئيسة آنذاك.

وإذا كانت رحلة وينأمون تمت في القرن الحادي عشر إبان انحسار النفوذ المصري عن المنطقة فإن هناك نصا تركه لنا أحد الكتاب أواخر القرن الثالث عشر، أي في قمة عهد التسلط المصري مع رعمسيس الثاني، حين كان المصريون يتجولون في المنطقة لغايات سياحية ثقافية. والنص هو قطعة أدبية يفاخر الكاتب خلالها بسعة معارفه فيذكر هذا الكاتب معرفته بجبيل وبيروت وصيدون وصربتا

ونهر الليطاني وينابيع «أوزو» وصور الميناء (الجزيرة) حيث ينقل الماء إليها بالزوارق وهي فيها السمك أكثر من الرمال. ويذكر جنوب مدينة صور «جبل عشور» ورأسه، ثم يرتد إلى «حازور» في منخفض الحوليه، شرق منطقة الجنوب اللبناني، ويذكّر بالنهر الذي يخصها وهو غير نهر الأردن الذي يذكره فيما بعد باسمه.

كما يظهر الكاتب معرفته باللغة السامية المستعملة في المنطقة ومعرفته بأساطير الساميين وقصة أدونيس والدب قائلاً لمن يوجه إليه الرسالة «إن اسمك يصبح مثل اسم قصاردي رئيس قبيلة «أشير» الذي فاجأه الدب في شجرة بلسم. إن الوادي الضيق خطر بالبدو المختفين تحت الشجر. وواحدهم يبلغ طوله أربعة أو خمسة «كيوبت» من الأنف حتى الكاحل. وهم ذوو وجه رهيب. قلوبهم لا تلين ولا يستمعون للتوسلات». (٢٣)

ويستمر النص واصفاً صعوبة المرور في الأودية العميقة. وهو لا يلتزم التقيد بالتسلسل الجغرافي لكونه يورد مواقع متفرقة للمفاخرة بالمعرفة أو باجتياز المخاطر. ولكن ذكره لقبيلة أشير والبدو العمالقة من أبنائها تحصر وصفه في الجنوب اللبناني ،حيث كانت هذه القبيلة تقيم وحيث لا يزال هناك وادٍ يحمل اسمها هو «وادي عشور» إلى الجنوب من بلدة قانا الجليل، قضاء صور وهو حافل بالآثار الفرعونية.

كما هو يذكر «أوزو» كنهر وربما كمدينة، وذلك عند جمعها مع الليطاني. وكذلك وردت في رسائل تل العمارنة كمصدر للمياه «الرسالة ١٤٨، ١٤٩ و١٥٠». وفي الرسالة ١٥٥ لا يذكر حاكم صورٍ أبيملكو» اسم «أوزو» بل يستعير صفة «سال مياتي» أي سيدة المياه (على الارجح) جاعلا مدينة صور مدينة لهذه البعلة بعلة المياه التي ليست هنا سوى أوزو أي العزى التي عرفها العرب في الجاهلية. وهو يختصر فيعرف نفسه بأنه «خادم سال مياتي بعلتي» (٢٤) وقد نقل المهاجرون الاسم معهم إلى مدينة «عوزا» في شمال أفريقيا.

وحيث إن الكاتب يذكر أودية صعبة المسالك تمر فيها العربات ينشأ لدينا شك بأن تكون هذه الأودية في جنوب لبنان، ولكن عبور رعمسيس الثاني أكثر من مرة في أرض الجنوب يجعلنا نتجاوز هذا الشك ونرجح وجود أودية معينة قابلة لسلوك العربات الملكية. والتأكد من ذلك يتطلب عملية مسح شاملة لهذه الأودية وطرقاتها وبخاصة ما يجاور منها بلدة تبنين التي كانت ملتقى طرق في عهد الصليبيين. ولا

بد من أن تكون كذلك من قبل.

كما أن ذكر اسم «قصاردي» كرئيس لقبيلة أشير يلفتنا إلى صفة تطلق على مقام باسم «الخضر» في منطقة الشوف في جوار «عين الحور» وهي «الخضر بوزردي» كما ذكر لي الدكتور سامي هاشم ابن البلدة.

كما أن الرواية المنسوبة لرئيس قبيلة أشير والدب، تذكرنا بقصة مقتل أدونيس وتجعلنا نرجح وجود هذه القصة في تراث الأشيريين في جبل عاملة.

وهنا نذكر أن في تاريخ قريب من تاريخ هذا النص توجد رسالة مرسلة من الفرعون مرنبتاح إلى موظف مصري كان يقيم في منطقة «صور العالية» (صور رم) بينما كانت رسالة ثانية مرسلة من الفرعون هذا إلى ملك صور البحرية الذي كان يدعى «بعلة رمق» (بريستد ٣: ٦٢٩ ـ ٦٣٣). وهذا يعني أن المنطقة الجبلية كانت تنتمي إلى مدينة صور وتحمل اسمها أحيانا.

كما يثبت هذا الانتماء رسالة ارسلها ملك صور حوالي ١٢٠٠ ق.م. إلى ملك أوغاريت يخبره فيها أنه أرسل ابنه للاستشفاء بعيداً عن صور في مدينة تدعى «مدينة رأس صور». وهذه الرسالة ظهرت سنة ١٩٧٣ ولم يشتهر نصها بعد. وقد ذكرها «بيير بوردروي» في دراسة له بين صور وأوغاريت. [٢٥]

هوامش

1) A.N.E.T, P. 247
2) Passim P. 2 54 & Breasted A.R.E. 3: 101
3) Passim P. 254 & A.R.E. 3: 94
4) Breasted A.R.E. 3: 114
5) Passim A.R.E . ,3: 115
6) Passim A.R.E., 3: 98, 104
7) Montet (Pierre), Eternal Egypt, P. 138 chap. 5, ed. Mentor Book. 1964

٨) ويلسون (جون)، الحضارة المصرية، ترجمة دكتور أحد فخري، ص ٣٠٢، نشر مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٥

9) ANET, p. 256
10) Passim, p. 255
11) Passim, p. 256
12) Passim p. 257

١٣) لم أزر هذا الموقع لخطورة الوصول إليه الآن (سنة ١٩٩٧)، كونه منطقة عمليات عسكرية. ولكن صديقي الدكتور سامي قدوح ذكرني أنه موقع مدينة كبيرة وآثار كبيرة الأهمية ،معظمها محفور في الصخور. وهو قريب من بلدته «يعشر» التي تقع خربة مريمين في جوارها. وهو الذي كان وصفها لي وأخذني إليها بسيارته، مما يعني أن طرق العربات كانت تصلها من الشرق فقط. وليس بعيداً عنها توجد خرائب يطلق الأهلون عليها عليها اسم «مدينة النحاس».

14) Breasted A.R.E., 3: 467
15) Passim, 1: 722, 4: 1014
16) Passim 3: 226, 3: 542

١٧) جون ويلسن، «الحضارة المصرية» ص ٤٠٩ . نشر مكتبة النهضة المصرية.

18) Guerin (M.V.), Description. de la Palestine - Galilee, Tome II, P. 257 ed. Imprimerie Nationale, 1880, Paris
19) Breasted, A.R.E., 3: 285, 2: 985
20) A.N.E.T. P.260
21) AN.E.T. P.261- 263
22) A.N.E.T. P.25- 29
23) A.N.E.T. P. 477
24) Les Lettres d'El'Amarna. trad. par Wliam L. Moran, ed. CERF. 1987
25) Tyr, La Conscience Europeenne et Le Liban, P. 111 ed A1.S. T. 1990

الثقافة الكنعانية
في
مصر الفرعونية

• اركيولوجيا الكنعانيين

نطلق هنا تسمية كنعانيين على الجماعات السامية التي كانت تقيم على الشواطىء الشرقية للبحر المتوسط، قبل بروز فروعها بأسماء: الفينقيين والعبريين والأراميين او العرب في هذه المنطقة، في أواخر الألف الثاني ق.م. ونعتبر أن كل لغة او عقيدة تماثل لغات هؤلاء او عقائدهم هي من اصل كنعاني متحدرة من حضارة مزدهرة موغلة في القدم لا تزال في حاجة لمن ينبشها ويدرسها لينقل معطياتها من الاسطورة الى الواقع الذي تثبته القرائن المادية.

وقد اظهرت طريقة الكتابة الكنعانية في «ايبلا» في الاراضي السورية انها سابقة للاكادية في ارض الرافدين، وانها متأثرة بطريقة كتابة مدينة «اوروك» الرابعة السومرية (٣٠٠٠ ق.م.). كما تشير نصوص هذه الكتابة الى وجود حضارة كنعانية متقدمة كانت تستعمل الكتابة والانظمة المدنية الضابطة للمجتمع. حتى ان عدد الواح الكتابة التي تعود للالف الثالث ق.م. يقدر بأربعة اضعاف ما ظهر في مجموع مدن ارض الرافدين، والعائد للحقبة التاريخية المعاصرة لها بين ٢٩٠٠ ق.م. و٢١٥٠ ق.م. كما رأى ذلك عالم الآثار المشارك بنبشيات هذه المدينة، الايطالي جيوفاني بتناتو [١] . ولعل ابرز المحاولات لإظهار قدم الحضارة الكنعانية وسعة انتشارها كانت تلك التي قام بها عالم الساميات سيروس غوردن في اواسط هذا القرن، قبل اكتشاف آثار ايبلا، وقد ركز هذا العالم السامي الاصل على نصوص الخط «أ» المكتشف في جزيرة كريت، معتبراً لغة الخط سامية [٢] . لكنه

افترض في البدء ان اللغة أكادية، اي سامية شرقية، وهي اللغة العالمية التي كانت تتعامل بها شعوب الحوض الشرقي للبحر المتوسط في الالف الثاني، ق.م. ولكن، بعد تقدم دراسة النصوص المكتشفة في هاجيا تريادا في كريت وتعيين نطق مقاطع كلماتها، تأكد له ان اللغة سامية غربية صافية، وكانت كلمة (قرية) (قي ري ياتو) مفتاح التمييز له بين اللهجتين الساميتين، حيث ان كلمة «قرية» غير مستعملة في الاكادية، لان الكلمة الدالة على معناها فيها هي «عالو» (٣)

وجدت جملة مكتوبة على تقدمة للاله هي: كي تاطي بي قي ري ياتو (كي تطيب قرية) ثم تتالت الكشوفات لكلمات مألوفة في اللغات السامية الغربية، وبين هذه الكلمات: و، ذا، كل، ناس، مار، يطن، كما ظهر في نص بلغتين في «دريرس» هما اللغة الكريتية الاصلية كلمة «لمه» أي «لأمه» باللغات السامية التي تجمعها الكنعانية (٤). كما اعتبرنا ذلك في مطلع هذا الفصل، والكتابة تعود لاواسط الالف الثاني قبل الميلاد. ووجد غوردن في هذه النصوص الواضحة في جزيرة كريت البعيدة عن ارض كنعان ما يرجح واقعية النصوص التي تعيد اصل الكريتيين القدماء الى الكنعانيين الساميين. والنصوص الاسطورية تنص على ان بعلوس وأغنور كانا توأمين لپوزيدون انجبهما من زوجته ليبيا، وبينما حكم بعلوس المصريين وانجب ابناء هناك، جاء أغنور الى فينيقيا وتزوج طلفاسا (طلوسا؟) فولدت له ابنة دعاها أوروبه وثلاثة ابناء هم: قدموس وفينيكس وكيليكس، وفي رواية هوميرس يذكر ان اوروبه هي ابنة فينيكس (الالياذة ١٤: ٣٢١). وقد ولدت اوروبه «مينوس» الذي نسبت له حضارة كريت القديمة، كما تضيف بعض روايات هذه الاسطورة الى الاخوة الثلاثة كلا من ثازوس وفيناوس، مع خلافات في التنسيق الزمني بين الاب والابناء.. والامر الهام في هذه الرواية الشهيرة هو جعلها التراث السامي الكنعاني في أساس الحضارة القديمة التي عمت البحر الابيض المتوسط، سواء في مصر ام في كريت وبلاد الاغريق.

وتساند هذه الافتراضات الرواية الكنعانية في نصوص اوغاريت حيث تذكر هذه النصوص ارض مصر وكريت كامتداد لمملكة البعل، فنقرأ في مطلع ملحمة البعل اسمي كفتور وحكفت، اي كريت ومصر. ويتكرر التوكيد في النص السابع/ العمود السادس، حيث يرد النص: «ال كله كفتر، كسأ ثبته، حكفت ارض نحلته»، وعندما نعرف ان هذه النصوص تعود لأواسط الالف الثاني قبل الميلاد، وانها لا بد

من ان تكون منتشرة قبل هذا التاريخ نفترض انها اشارة ذات مدلول واقعي على انتشار الحضارة الكنعانية التي ازدهرت مع الهكسوس في مصر، ومع ما نسميه الحضارة المينوية في كريت. كما يرد في النص الثامن العمود الثالث: ان الصناعي الذي سيبني هيكل البعل كان سيحضر من مصر ومن كريت (٦).

ونعتبر هذا الامر توكيداً على ان العلاقة بين المراكز الحضارية الثلاثة لم تكن علاقة جوار او صداقة فقط، ما دام الموضوع يتعلق بالعبادة وبناء المعابد، بل هي على الارجح امتداد للشعب والثقافة، وهنا نميل للأخذ برأي عالم الآثار اليوناني المعاصر «سبيريدون ماريناس» الذي يكرر قوله: «ان معول علماء الاثار يثبت كل يوم تقريباً الرواية التي يقال عنها اسطورية» (٧)

ونأخذ ملاحظة من نبشيات الآثار في ارض كنعان الاصلية في فلسطين، ونقرأ لعالمة الآثار «كاثلين كينيون» قولها: «لاول مرة وجد عدد من مدن ذات اسوار منتشرة في المنطقة، حيث كل واحدة منها كانت على الارجح مركزاً لمجموعة وحدات اصغر وفق تنظيم، من المحتمل جداً انه مشابه لما ورد في كتاب يشوع (١١:١٧)... ومن المسلم به ان الشعب كان سامياً رغم ان القرينة اللغوية تنقصنا.. وقرينة الخزف توضح ان هناك علاقات وثيقة مع سكان منطقة الشاطىء السوري، فالخزف من جبيل مثلاً وثيق الصلة بخزف مجدو وأريحا لحقبة البرونز الباكر الثالثة (٢٦٠٠ ق.م.). وقد عرف سكان الشاطىء السوري في الالف الثاني بالكنعانيين... ومن شأن القرائن الاركيولوجية للاستمرار ان تجعلنا نعود بالاسم من الالف الثاني الى الالف الثالث ق.م.». (٨)

مصر وارض جبيل

اذ نتابع اخبار الساميين الكنعانيين في مصر، نجد انه كما اشتهر ابناء اغنور بالترحل والاستيطان خارج بلاد الساميين في شرق المتوسط، كذلك كان شأن ابناء بعلوس الذي اقام في مصر حيث (حسب الرواية الاغريقية، او على الأصح ذات التسجيل الاغريقي) تملك بعلوس في مصر وتزوج انشينوي ابنة نيل، فكان له منها ولدان هما: اجيبتس وداناوس، ويضيف بعضهم اليهما: كيفاوس وفيناوس (٩) وينقل عن المؤرخ المصري مانيتو ان اجيبتس يدعى ايضاً سيتوس كما يدعى داناوس هرمايس، وقد ملكا بعد خروج الهكسوس من مصر (١٠) ويتابع المؤرخ الاغريقي ابولودورس قائلاً: ان بعلوس الاب جعل داناوس يقيم في ليبيا واجيبتس في مصر،

حيث تسمت البلاد باسمه، ولد له خمسون ابناً، بينما ولد لدناوس خمسون ابنة، وذلك من نساء عديدات، وقد اختلف الاخوان بشأن المملكة، مما جعل دناوس يبني مركباً بحرياً ويرحل فيه مع بناته بناء على نصيحة الإلاهة أثينا. وقد اقام معبداً لهذه الإلاهة في رودس، وكان هذا المعبد مشهوراً مع قصة إقامته(١١) ويتفق المؤرخون الاغريق جميعاً تقريباً على هذه الرواية.

تابع دناوس رحلته الى ارغوس، وكان يحكم البلاد هناك احد احفاد اغنور ويدعى جلنور فتغلب عليه وأقام معبداً مع تمثال خشبي للإله «ابولو الذئب» تخليداً لحادثة ذئب مفترس اقنعت اهالي ارغوس بتسليمه السلطة بدلاً من جلنور قريبه، اثناء الصراع معه، وقد تسمى السكان دانيين بعد ذلك (١٢). وفي هذا السياق يورد بوزانياس ملاحظة هامة في الرواية الاغريقية، وهي ان فورناوس، احد اجداد اغنور، هو الذي نظم اول مجتمع في ارغوس التي جعل اسمها على اسمه فورنيكس (١٣) وهذا يعني ان الانتشار الحضاري في جزر المتوسط كان واقعاً مألوفاً قبل بروز الاباء المشهورين في المرويات الاغريقية. واذا كانت الروايات تختلف قليلاً بين راوٍ وآخر فإنها تلتقي جميعاً باعتبار ابطالها شرقيين ساميين كنعانيين. اما تفسيرُ تسلمهم السلطة والقيادة، اينما حلوا، فهو بكونهم ذوي حضارة منظمة، وصلوا الى بلاد ذات مجتمعات بدائية فبرزوا فيها ونظموها.

وكما كان اجداد لأغنور أقاموا في أرغوس، كذلك يكون اولى بأجداد لدناوس واجيبتس ان يكونوا قد اقاموا في مصر ومهدوا للوصول الى السلطة فيها. وما وصلنا عن المؤرخ الفرعوني مانيتو يرينا ان العلاقة بين مصر والكنعانيين لم تكن علاقة جوار فقط، بل كان الكنعانيون منتشرين قديماً في مصر وحكموها خلال حقبة من الزمن. وقد عرفهم المؤرخون باسم الهكسوس. ويعلق مترجم النص «وادل» فيقول: هذه الرواية عن الاصل الفينيقي للهكسوس كانت مرفوضة بوجه عام حتى الزمن الحديث، حيث دلت الواح رأس شمرا (اوغاريت) على وجود مجلس آلهة يماثل تماماً في هذه المدينة ما كان لدى الهكسوس، مما اظهر ان الهكسوس قريبون تماماً للفينيقيين (١٤). وهم لم يكونوا سوى امتداد للجماعات التي كانت تقيم في لبنان وفلسطين وسوريا، منذ فجر التاريخ. وتساند ملاحظة لعالم الآثار الاميركي وليام اولبرايت هذا الافتراض فيقول خلال عرض للحضارة المصرية: لقد شهد آخر عصر ما قبل الاسرات وبدء العهد الثيني (٣٢٠٠ -

٢٧٨٠ق.م.) اندفاعاً فجائياً من التقدم في فنون الحضارة وهذا يبدو انه كان مرتبطاً، بطريقة ما، بتزايد النفوذ الثقافي من آسيا، ما دامت هناك مطابقات تامة متعددة بين ثقافة ارض الرافدين وثقافة مصر في هذا الزمن. فالاولى ثبت انها اقدم واكثر اصالة في كل شواهدها تقريباً. وهذا النفوذ لم يؤثر، كما يظهر، في اللغة والكتابة والحياة الدينية، لكنه حمل حركات فنية وصناعية كالختم الاسطواني والفنون الحرفية (١٥)، وما رآه هذا العالم تأثيراً لارض الرافدين على مصر غدا متمثلاً بأرض كنعان بعد ان كشفت نبشيات ايبلا الكنعانية تقدم هذه الحضارة وموازاتها لحضارة العراق، ان لم تكن تفوقها.

كان البريق الحضاري الكنعاني ذا جاذبية في مدينة جبيل على الشاطىء اللبناني الكنعاني. وكانت علاقة وادي النيل بها علاقة حميمة مما جعل سكان وادي النيل وقادتهم ينظرون الى هذه المدينة وعباداتها نظرة إجلال وتقديس فيقدمون التقدمات والنذور لمعبوداتها، تماماً كما غدا سكان قرطاجة ينظرون الى مدينة صور بعد ذلك بما يقارب الفي عام. فقد ربط المصريون آنذاك قصصهم النبيلة بأرض جبيل، مما يشير الى انها كانت لهم اكثر من عميل تجاري او مدينة حليفة وحسب.

ومثل هذه العلاقة المتميزة تعود في التاريخ الى «زمن الإله» وفق التعبير الذي استعاره «بيير مونتيه» من النصوص المصرية لتعريفها (١٦) لقد وجدت تقدمات في جبيل صنعت خصيصاً في مصر للتقدمة، كما وصفها بذلك عالم الآثار الفرنسي دونان. ويوحي مظهرها بأنها تعود الى تقليد عصر البرونز الباكر (٣٠٠٠ ق.م) كما افترضت كاثلين كنيون (١٧). وهذه العلاقة المدعمة بمثل هذه القرائن توضح الخلفية الحضارية للأساطير والاثار الكنعانية في عقائد المصريين، منذ الالف الثالث قبل الميلاد او ما قبله. وهنا نجد صدى لمثل هذه العلاقة التاريخية في رواية سفر التكوين العبري (٦:١٠) حيث تجعل هذه الرواية: كنعان ومصرايم وكوش وفوط اخوة لأب واحد هو «حام» وليس سام، كما هو مألوف اليوم في نسبة كنعان، كما تجعل نوح يلعن كنعان ابنه ويدعو عليه بأن يكون عبد العبيد لأخوته لكونه رأى عورة ابيه ولم يسترها (٩:٢٢-٢٥) وهذه اللعنة تشير الى الصراع التاريخي الطويل للسيادة بين الكنعانيين وغيرهم، وهي على الارجح من الذاكرة التاريخية للعبريين في مصر في الالف الثاني قبل الميلاد، وهو زمن انفجار الصراع وهزيمة الهكسوس وخروجهم واستعباد من بقي منهم هناك، وهي تشير الى تفسير للهزيمة الكنعانية.

اللغة الفرعونية والاسماء السامية

نشأ جدل واسع حول علاقة اللغة المصرية القديمة باللغات السامية، فأصر عدد من الباحثين على النسب السامي للغة الفراعنة لما فيها من نحو والفاظ سامية او متقاربة مع السامية، وكان الرأي المعتدل اخيراً هو ان الفرعونية متأثرة باللغات السامية. المجاورة كتأثيرها باللغات الحامية الافريقية كالبربرية والكوشية[١٨] وهنا نكتفي بالاشارة الى وجود مئات الكلمات الفرعونية من اصل سامي، كما لاحظ ذلك اولبرايت في دراسته لزمن التوراة «من ابراهيم الى عزرا»[١٩] وفي استعراض لما جمعه سير ألين غاردنر في كتاب قواعد اللغة الفرعونية» يجد المرء المئات من الالفاظ السامية المألوفة في العربية او العبرية، وسنكتفي هنا باستعراض تسميات بعض الآلهة لتأثير هؤلاء الكبير في الحياة الثقافية والدينية في مصر القديمة قبل عصر السلالات.

لاحظ الباحث: «أ. ليفبور» ان كلمة «عين» السامية كانت تلفظ «عين» وتكتب بصورة عين وتطلق على النبع ايضاً في نصوص الاهرام قبل التاريخ، ومن ثم اختفى اللفظ السامي وبقيت الصورة بكتابتها الهيروغليفية. كما ان الاذن بقيت تلفظ اذن [٢٠] ودلالة هذه الملاحظة هي ان المصريين كانوا يحاولون ابعاد الكلمات السامية من لغتهم، ولكنهم لم يستطيعوا ابعاد اسماء الالهة، بل جرى بعض التحريف لبعضها، وبقي معظمها كما هو لدى الساميين الكنعانيين.

ومن هذه الاسماء اسم الاله «امون» ورأى ان اسم العمونيين في بلاد كنعان هو نسبة اليه، وان مدلول الاسم هو الامن والاستقرار ولا تزال مدينة عمان في الاردن تحمل اسمه. وقد ورد ذكرهم كثيراً في التراث العبري (قضاة ١١:٥ وملوك اول ١٠:١٧ وغيرها). وذكر هيرودتس وجود العمونيين في مصر، يتكلمون لغة هي وسط بين لغة الاثيوبيين ولغة المصريين (٢:٤٣) ومثل هذه اللغة المتوسطة، لا بد من ان تكون لهجة كنعانية، فالمعروف اليوم ان لغة الاثيوبيين هي سامية ولها قربى مع لغة الكنعانيين، وينسب فيلون الجبيلي الى اتباع هذا الاله، في ارض كنعان، حفظ الكتابات التي اخذ منها المؤرخ الفينيقي سانخونياتن كتابه وكانت في المعابد لديهم. [٢١] والاله «بتاح» هو اقدم آلهة مصر الفرعونية، ويرى ليفبور ان اسمه يعني الفتح باللغات السامية، وهو ذاته الذي كان الفينيقيون يضعونه على مقدمة سفنهم تيمناً به ويسمونه «بتاخي» وكان تمثاله مع تماثيل «الكبيرس» المماثلة له في

معبد اقتحمه «قمبيز» الفارسي واباح للناس رؤيتها.. كما يذكر ذلك المؤرخ هيرودتس (٢٢). ومن المعروف ان الكبيرس آلهة فينيقيون كنعانيون واسمهم يعني «الكبار» وارتباط هذا الإله بالثور في مصر يكشف كنعانيته، لكون الثور هو رمز الخصب والقوة لدى الكنعانيين. وقد دامت عبادته حتى زمن متأخر لدى العبرانيين بوصفه مركوب «ال» (الملوك الاول ١٢ :٢٨ ـ ٣٠) ويرى ليفبور ان الالاهة «نيت» هي ذاتها عناة الكنعانية، فهي كهذه: عذراء وام ومحاربة، رامية سهام، تلبس تاجاً بشكل قبعة وله قرون. ومن المعروف ان القرون هي شعار الالوهة في ارض الرافدين، ونضيف هنا ان هذه الالاهة دخلت الى مصر في زمن ما قبل التاريخ مع موجة كنعانية سامية، وهي ذاتها بوظائفها التي ذكرتها نصوص الالف الثاني قبل الميلاد باسم عناة في ارض كنعان.

ولا يزال «حورس» الذي يرمز اليه بالصقر، يحمل اسم هذا الطائر «حر» بالعربية. ويعتقد بعض العلماء ان أسطورته جاءت مع قبيلة آسياوية من أعالي النيل. ولفظة «أشمونين» هي ثمانية باللغات السامية، وهي تطلق على ثمانية آلهة خلقهم تحوت (طاغوت) بالكلمة. وعملية الخلق بالكلمة هي التي ترجح سامية هؤلاء. فهذه الطريقة للخلق مشهورة في ارض الرافدين وليس في مصر وتحوت خالق هؤلاء هو «توأوشتا ـ ايلم» الكنعاني الذي كشفته نصوص ايبلا مع ترجمته السومرية «إن إن» اي ملك الالهة. (٢٣) والنص يعود الى اواسط الالف الثالث قبل الميلاد في ايبلا. ويرى ليفبور ان «غب» إله الارض في مصر هو من كلمة كوكب السامية، متفقاً بذلك مع «جسنيوس» كما يقول. وهو يصور بصورة كوكب ويكتب بشكل بيضة. ومن اسمه اللفظة السامية كبة، وبالفعل كشفت نصوص ايبلا الها باسم «ككب» ولم توضح النصوص التي معه وظيفته. (٢٤)

الإله/ الملك «ست»

ويرى أتيين دريوتون وجاك فانديه في كتابهما عن مصر ان تسلم الهكسوس السلطة في مصر حدث حوالى سنة ١٧٣٠ ق.م. وان الإله ست هو الملك الهكسوسي الاول «نبطي» وهو الاقرب الى الصواب كما يقولان (٢٥) . وسواء كان إلهاً ام ملكاً مؤلهاً فهو كنعاني لا شك في اصله.

اما الافتراض بأن ست هو ملك هكسوسي فالارجح انه اقدم من ذلك بكثير وان الملك الهكسوسي حمل اسمه في اسمه تيمناً به «عابحتي ست نبطي» ومعناه:

عظيمة قوة ست، كما يترجمها المؤلفان، وقد حمل عدد غير قليل من ملوك الفراعنة اسم هذا الاله في اسمائهم تيمناً. وقد وصف المؤابيون بأنهم ابناء شيث (عدد ٢٤:١٧) وورد ذكر لثلاثة ملوك لهؤلاء في الواح اللعان المصرية العائدة الى القرن التاسع عشر او الثامن عشر قبل الميلاد ووصفوا بالاعداء [٢٦]، وتذكر الروايات المصرية لقباً للاله شيث هو «نحش» ويعني باللغة العبرية الافعى [٢٧]،.وقد ساد شيث في الجنوب المصري وكان متفرداً بمظهره بين آلهة مصر، وحيوانه الرمزي مرسوم على اوان تعود لما قبل التاريخ، ويمثل القحط والجفاف المناقض لرطوبة ارض مصر وخصبها كما يرى لوكير [٢٨] . وحين نبحث عن اسم هذا الاله القديم في ما بين ايدينا من نصوص كنعانية قديمة لا نعثر له على أثر في غير اسماء القرى في لبنان، لكن مفتاح هذا اللغز يأتينا من ملاحظة في نص سانخونياتن الذي حفظه لنا اوزابيوس، يقول النص ان داغون يدعى ايضاً سيتو واطلس [٢٩] وداغون يعتبر الاله الاعظم في ايبلا ووصف بأنه إله كنعان او السيد على الاطلاق. وقرينته تدعى «بعلة» دون تحديد[٣٠].

● اسطورة اطلس: اما اطلس الذي وصلنا خلال تراث الاغريق، فقد ظهر تمثال قريب من وصفه الاغريقي في ايبلا، وهو لبطل عار له جديلتان على جبينه: راكع بشكل اطلس ويحمل قرصاً بين يديه فوق رأسه، والقرص يحمل اربعة وجوه وربما لاسدين متقابلين او لرجلين: الذقن مقابل الذقن [٣١]. وهذا المثال هو اول تشخيص لأسطورة اطلس في التراث الكنعاني. ونقرأ في النصوص المصرية لمحاكمة ست ان الحكم قضى عليه بأن يحمل اوزيريس على ظهره، بحيث يقعد فوقه، مع ان هذا الاخير اكبر منه، كما تردد الكتابة ذلك، وهي تعود لنصوص الاهرام. وقد لاحظ بريستد انها اولى الاشارات الى اسطورة اطلس[٣٢] . وتلقي هذه القرائن ضوءاً كاشفاً على تعريف سانخونياتن لداغون بأنه سيتو واطلس في وقت واحد، والا فهناك لغز في غياب الاله ست عن مجمع آلهة كنعان مع وجوده البارز في تسمية القرى ومع وجود إلاهة تحمل اسم «سوتيتم» اي السوتية، في محيط مدينة ماري وقبائلها وهذه تماثل الالاهة عشتار بحيث رأى جان روبرت كوبر ان الاسم قد يكون نعتاً لها. [٣٣]

وتذكر الكتابات ان ست كان ملكاً لجنوب مصر. بينما كان حورس ملكاً للشمال. هكذا ورد في نصوص الاهرام، وفي نصوص على لسان «غب» اله الارض

الذي يذكر كأب لمجموعة آلهة، يرد انه فصل بين الاخوين حورس وست، فأعطى لهذا مصر العليا اي الجنوب ولذاك مصر السفلى اي الشمال. ولكن غب ينحاز الى جانب حورس ويعطيه ارثه هو فيقيم حورس في الارض ويوحدها. ويرجح ان هذه العملية كانت تشخيصاً لسيطرة الافارقة على ارض مصر حيث غدت الشرور بعد ذلك تنسب للاله ست. وما يثبت هذا التشخيص نص من نصوص الاهرام يذكر محاكمة ست في مقتل اوزيريس فيحكم عليه بحمل هذا على ظهره ويعطي الاله غب اوزيريس السماء والارض والحقول وارض الحوريين وارض السيتيين والمدن، كما تذكر ذلك ترنيمة توجه اليه (٣٤).

● **الرفيقة عناة:** وعلينا ان نذكر هنا ان قسماً كبيراً من ارض كنعان كان يعرف في النصوص المصرية بأرض الحوريين، كما ان مكتشفات ايبلا السورية ترينا ان هؤلاء كانوا موجودين بكثافة وفعالية في البلاد الكنعانية، وذلك منذ الالف الثالث قبل الميلاد. كما ان وجود قرى عديدة تحمل تسميات حورية في جنوب لبنان مثل (كفرشوبا) وحبوش وشارما وقوزح والشعب (ال شوب) تساند مقولة تلك النصوص والنص هكذا يشير الى سيادة اوزيريس في ارض الكنعانيين بعد تغلبه على ست في المحكمة، وهذا يعني ان الالهين لم يكونا غريبين عن الارض الكنعانية، وهو ما ترجحه الابحاث في موضوعهما. واذ نبقى مع الاله شيث نجد معظم الباحثين في فترة حكم الهكسوس في مصر يعتقدون ان هؤلاء وجدوا شبهاً بين الههم بعل والاله ست، فأعطوا هذا الاخير إلاهة كنعانية هي عناة التي تبرزها نصوص اوغاريت كرفيقة وفية للبعل، هذا بينما كان الهكسوس في الوقت ذاته يدمرون المعابد المصرية ويحاربون عقائدها وآلهتها (٣٥). وهذا يرجح لنا وجود تجمعات سامية كنعانية كبيرة في الارض المصرية قبل سيادة الهكسوس عليها.

لاحظ الباحث البريطاني «والس بادج» ان ما نسب للاله ست من شرور اخيراً يختلف كلياً عما كان له قديماً من عبادة، حيث في نصوص الاهرام الاولى يكون ملازماً لحورس ويظهر كإله يساعد الموتى، والرمز الاقدم للاله ست يشير الى ارض محجرة او صحراء، والحيوان الذي يمثله له رقبة تشبه رقبة الجمل ورأس يشبه رأسه... ولعله حيوان قد انقرض بسبب العداء الذي نشأ نحوه، وقد غدا يعتبر سبباً للضباب والرطوبة والمطر والرعد والبرق والاعاصير والعواصف والزلازل والكسوف والخسوف، وكل ما يعاكس مجرى الطبيعة المألوف، اي انه

اساس الشر [٣٦]

اسطورة اوزيريس/ اسطورة البعل

لعل اهم اسطورة تربط بين التراث المصري الفرعوني وتراث الساميين القدماء في شرق المتوسط هي اسطورة اوزيريس وطقوس الحزن عليه وموته وقيامته، فهذه الاسطورة كانت من الشهرة بحيث جعلت بلوتارك اليوناني يضع كتاباً خاصاً عنها يضمنه معلومات كانت منتشرة في زمنه، في القرن الاول للميلاد. وقد اثبتت معظمها المكتشفات الاثرية التي يعود تاريخ تسجيل نصوصها الى الالف الثاني قبل الميلاد، كما اتفقت رواية بلوتارك مع روايات المؤرخين الاغريق الاخرين في ان اوزيريس عندما ملك في مصر خلص المصريين من حياة الحرمان ومن الحيوانات المفترسة وجعلهم يعرفون الثمار، وعلمهم الشرائع وعبادة الالهة. وهو رأى ان ايزيس واوزيريس شخصان عبقريان تحولا الى الهين لفضيلتهما، كما حصل لهرقل ولديونيسوس[٣٧]. وتعود الاشارات لقصة اوزيريس الى الالف الثالث قبل الميلاد، حيث ورد ذكرها في اقدم النصوص المصرية (نصوص الاهرام). كما في لاهوت «ممفيس» وجميع الدلائل تشير الى انها كانت من القصص الشعبي المتداول بين الناس [٣٨].

رأى الباحث بادج ان اصل اوزيريس غامض، لكن النصوص تشير الى ان مركز عبادته كان في الدلتا، وكان يعبد بشكل كبش يحتوي على روح اوزيريس، ويرد رمزه الكتابي بشكل عين وعرش واسمه يلفظ إما «ازار» او «اوزار» وهو طوال عصور المملكة يعتبر الهاً للموتى، ويرجح انه جاء من الشمال. ويظهر في رسم وهو يقدم للمتوفي طعاماً ويجلس قرب بحيرة في حقل السلام مع الالهة ويشاركهم شجرة الحياة. يلبس ثوباً ابيض ويأكل تيناً وعنباً ويشرب زيتاً وخمراً يحيى على خبز الخلود وبيرة الديمومة. وهذا يعني ان الحياة التي يعد اوزيريس بها اتباعه هي في بلد فيه الذرة والخمر والزيت والماء بغزارة [٣٩] ورغم هذه القرائن المصورة التي تشير الى شجرة الحياة وعقيدتها في ارض كنعان والى ارض الخمر، والزيت والماء الغزير، فالمؤلف بادج ينفي ان تكون لقصة اوزيريس علاقة بجبيل ويتهم المؤرخين الاغريق بالخطأ في تحديد الموقع، ويرى ان اسم «نيديت» هو لنبات البردى «اطحو» وليس لجبيل [٤٠] ولكن الوقائع والنصوص تكشف خطأ فرضيته لاننا نجد جميع وقائع العقيدة الأوزيرية في مصر تقودنا الى اعتبارها تشخيصاً

للطبيعة وتحولاتها الفصلية في وادي النيل، تماماً كشخصيات تموز في ارض الرافدين والبعل في ارض كنعان، وهي جميعاً، على ما يبدو، من مصدر واحد مهما تعددت الاسماء والصفات وتنوعت الوقائع. وهذا ما يرجح وحدة الاسطورة في المراكز الثلاثة. وتوضح نصوص الاهرام القديمة هذه العقيدة التشخيصية، حيث يعثر حورس على والده الميت اوزيريس متحولاً الى ماء عذب: «يأتي حورس ويتعرف والده فيك فتياً باسمك ايها الماء العذب». كما في نصوص اخرى يوجه الخطاب الى اوزيريس كالتالي: «مرحى اوزيريس، الغمر آت، الفيضان يتحرك، وغب (إله الارض) يتأوه: بحثت عنك في الحقل وضربت الذي اساء لك.. فيمكنك ان تحيا وترفع نفسك قائماً». كما يخاطب احد نصوص الاهرام جثمان الفرعون ببي الاول (٢٤٠٠ ق.م؟) باعتباره متحداً بأوزيريس: هذا هو كهفك إنه المنزل الواسع لأوزيريس ايها الملك ببي وهو الذي يجلب الريح ويوجه ريح الشمال، انه يقيمك كأوزيريس ايها الملك ببي، ان إله عصير الخمر يأتي اليك حاملاً سلافة خمر..» (٤١)

وعند مقارنة هذه المسؤولية التي اوكلت لأوزيريس في ارض مصر بمسؤوليات البعل في ارض كنعان لا نتردد بالحكم في انهما خاضعان لنهج فكري واحد، حيث كما اوزيريس تشخيص لحركة الطبيعة احياناً، نجد كذلك البعل الكنعاني خلال ملاحم اوغاريت تشخيصاً ثابتاً دائماً لقوى الطبيعة ومبدأ حيوياً من مبادئها المساندة للحياة. فالبعل في صراع على السلطة مع الاله «موت» الذي هو الجفاف في الصيف ومع «يم» الذي هو مياه الفيضان في مواسم المطر. وفي كل سنة كان يهزم البعل على يد موت، فتهيم الالاهة عناة، رفيقته حزينة باكية تبحث عنه الى ان تلتقي بموت، فيعترف لها بأنه ابتلع البعل في جوفه، وتروح تبكي البعل طوال اشهر الجفاف الى ان تقبض على «موت» اخيراً فتشقه بمدية وتذروه بمذراة، وتحرقه بالنار، وتطحنه بين حجري الرحى، وتزرعه في الحقل، وتأكل العصافير بقاياه (٤٢).

وكما تفعل عناة نحو البعل كذلك تفعل ايزيس نحو اوزيريس حسب رواية بلوتارك. ولكن الذي يميز القصة الكنعانية هو انها تقوم على عقيدة راسخة في الموت والقيامة وتجدد الحياة، بينما نجد في الفكرة المصرية تناقضاً بين فكرة القيامة والعقيدة المصرية الاساس في الحياة الاخروية التي توضحها رسوم

الاهرام ونصوصها. كما هناك تناقض واضح بين فكرة اوزيريس كإله للموتى والفكرة عنه انه إله عصير الخمر كما رأينا. ويبدو الارتباك العقائدي في قصة اوزيريس في مصر خلال الروايات التي تجعل ابنه حورس يطالب بثأره من قاتله وهذا الامر ليس موجوداً في العقائد الكنعانية لان فكرة موت الاله في هذه العقائد هي فكرة تجدد وقدر محتوم كحتمية تعاقب فصول السنة. بل ان عملية الثأر والحكم على قاتله تجعلنا نرجح واقعية رواية من الروايات الملكية اندمجت في قصة موت البعل الكنعانية، تماماً كما غدت قصص الملوك المصريين تدمج في قصة اوزيريس المؤله بعد ذلك. وفي تحليل رصين للقرائن والصفات يمكننا العودة بها الى مصادرها المرجحة.

لقد رأى الباحث البريطاني الشهير جيمس فريزر ان ولادة اوزيريس من ابوين هما السماء والارض (غب ونوت) وكونه الهاً للنبات والحياة لا يمكن ان يكونا تشخيصاً يتناسب مع ارض مصر، لان هذا التشخيص يفسر مجامعة السماء للارض بواسطة الامطار السنوية، والارض المصرية تعتمد مبدئياً على مياه الفيضان في مواسمها وليس على الامطار، وهو يحاول تعليل ذلك بقوله انهم ربما حزروا او عرفوا ان النهر العظيم بدوره يتغذى من الامطار في الداخل البعيد(٤٣).

وهنا نستعين بملاحظة هامة وردت في نص كنعاني تثبت الكشوفات الاثرية اصالته واهميته يوماً بعد يوم. فقد ورد في نص سلالات الالهة ان اوزيريس هو من الالهة الثمانية (الكبيرس)، وهو اخو كناع الذي كان اول من غير اسمه الى فينيقي (٤٤)، وهذا النص لمؤلف فينيقي يدعى سانخونياتن، يقدر انه وصلنا من الالف الثاني قبل الميلاد، وجاءت معلوماته عن كتابات كانت في معابد العمونيين. وهذا المؤلف القديم يجعل اوزيريس اخاً لكنعان وابناً لصديق والد الثمانية الذي لا تزال احدى مقاطعات مصر تحمل اسمهم السامي الكنعاني (أشمونين).

وينقل هيرودتس الاغريقي عن المصريين في اواسط القرن الخامس قبل الميلاد انهم كانوا متفقين في العبادة فقط على الهين هما: اوزيريس وايزيس، وانهم كانوا يقولون ان اوزيريس هو ديونيسوس كما أنه يرى ان «نيسا» التي ينسب اليها ديونيسوس هي في أثيوبيا فوق مصر (٢:٤٢ و١٤٦). كما ينقل ديودورس الصقلي عن رواة الاساطير في زمنه ان اوزيريس واخته ايزيس هما من ابناء كرونوس ورحيه. كما ان البعض منهم يرى انهما من ابناء زوس وهورا وأخوتهما هم: طيفون

وابولو وافروديت، وان اوزيريس يدعى ايضاً ديونيسوس لكونه ولد في نيسا، واسمه جاء منها ويستشهد بقول هوميرس عن نيسا: «وهناك اسم نيسا، جبل عالٍ مع غابات كثيفة، بعيداً في فينيقيا، قريبة لانهار مصر (٤٥)».

ويرجح هيرودتس ان تكون عبادة ديونيسوس وصلت الى بلاد الاغريق بطريق قدموس الصوري الذي نشرها في اقليم بويتيا (٢:٥٠) وهذا يجعل عبادة اوزيريس كنعانية لصلة قدموس بها كمعلم لها. وقد ارتبطت نيسا بأسطورة اوزيريس او ديونيسوس، اي إله نيسا والخمر والعنب وطقوس الاورجي. وحاول «سترابو» جمع اقوال بعض سابقيه حول مكان نيسا، فرأى انهم يتفقون على انه منطقة جبلية مقدسة تمارس فيها طقوس تعبد ونشوة، وبعضهم رأى انها في الهند، ثم خلص الى الحكم بأن معظم تلك القصص ملفق وبعيد عن الواقع (٤٦). وما يهمنا من نيسا هنا هو انها مكان شهير في العهد القديم تنسب اليه وقائع حياة ثلاثة من اشهر الاسماء الاسطورية: اوزيريس وديونيسوس وادونيس. ويرجح انها تسميات مختلفة لمسمى واحد هو البعل الكنعاني، حيث ان الاسمين الاخيرين هما صفات واوزيريس كان يأخذ صفة او اسماً ثانياً في كل معبد، وقد احصي منها ستون صفة في لائحة مدينة طيبة المصرية التي تعود لاواسط الالف الثاني قبل الميلاد. وفي لائحة من صعيد مصر، تعود الى اوائل القرن الثالث قبل الميلاد، بلغت صفاته مئة وثماني وثلاثين صفة، (٤٧). ولا نجد مجالاً للشك في الروايات الاغريقية التي تقول ان اوزيريس هو الذي حرر شعب مصر وعلمهم الزراعة وابداعات اخرى لأنها تتفق مع ما ينسب له في النصوص الاثرية القديمة. كما ان رواية نشأته في نيسا يرجحها تجاهلها في النصوص المصرية، مما يشير الى ان شخصيته وطقوسه وصلت ناضجة الى الاراضي المصرية. والحياة التي كان اوزيريس يعد اتباعه بها، كإله للموتى، كانت تصور في بلد فيه شجر وماء غزير وذرة وخمر وزيت وتين وعنب، وعلى شاطىء بحيرة. وهذا الوصف ليس ما يطابقه في المنطقة سوى المكان الذي نسبت له وقائع قصة ادونيس.

● **اوزيريس/ ادونيس**: ارتبطت وقائع قصة ادونيس بمنطقة افقا في الاعالي المطلة على مدينة جبيل، وكان ابرز من وصف هذا المكان واكتشف اهميته الاسطورية جيمس فريزر في كتابه «الغصن الذهبي». فقد رأى ان الوادي جميعه ربما كان وقفاً لادونيس لكثرة آثار المعابد فوق مرتفعات تلك المنطقة (٤٨). وهنا نذكر انه

حتى القرن الثاني للميلاد كان بعض اهالي جبيل لا يزال يعتقد ان اوزيريس مدفون في ارضهم وان طقوس الحزن، كما طقوس الاورجي التي تقام على شرف ادونيس، هي موجهة الى اوزيريس. وينقل لنا «ادوار ضورم» ملاحظة عن اتيين البيزنطي يقول فيها: «إن «اماثونت» هي مدينة قديمة جداً في قبرص، وفيها يمجدون ادونيس - اوزيريس مع انهم قبارصة وفينيقيون خالصون وهو مصري(٤٩).

ونعود الى رواية بلوتارك عن ايزيس واوزيريس فنجد ان جثة اوزيريس جاءت على الامواج الى شاطىء جبيل، وهناك تجسدت في شجرة على الشاطىء غدت عموداً في قصر ملك جبيل. وقد حضرت ايزيس بعد ذلك واصطحبت الجثة الى مصر حيث قطعها اخوه «ست» ونشرها في اربع عشرة مقاطعة، فغدت مدافن اجزائها معابد للمصريين تقام فيها طقوس اوزيريس. وما يساند رواية علاقة اوزيريس بالشجرة، هو ان احد الاحتفالات بدفن اوزيريس كان يقوم على قطع شجرة صنوبر وتجويفها وحفر صورة لاوزيريس ودفنها في قلب الشجرة وكأنها جثة. وقد ذكر هذا الاحتفال فرميكوس ماترنوس في القرن الاول للميلاد، ورجح فريزر انه كان تمثيلاً لرواية الاسطورة القديمة (٥٠) . ونجد اسم مدينة بوزيريس في الاساس هو «طيطو» وهي المقام الاشهر والاقدم لاوزيريس في الدلتا واسمها يكتب برمزين للجد الذي هو رسم لشجرة الصنوبر، وعبادة اوزيريس فيها تعود لزمن ما قبل التاريخ (٥١).

ويرجح لدينا ان استحضار جثة اوزيريس من جبيل وتقطيعها ونشرها في المقاطعات المصرية، ليست سوى تكنية عن وصول العقيدة الى مصر ونشرها في مختلف البلاد. ويساند هذا الافتراض ما تكشفه النصوص الاثرية من وجود لعبادات سابقة وآلهة كانت تحل عبادة اوزيريس وطقوس الحزن عليه محلها. اما تشخيص دفن اجزاء الجسد فليس سوى رمز لالتزام عقيدة الحزن والبكاء التي اشتهر بها الساميون في ارض كنعان والرافدين، اي لعقيدة تموز او البعل والموت والقيامة. اما العداء بين ست واوزيريس فهو على الارجح تعليل متأخر للصراع بين الساميين الكنعانيين وغير الساميين في مصر، حيث لا تذكر الروايات القديمة هذا الصراع، بل تذكر الوئام مكانه، ففي اسطورة قديمة يفشل اوزيريس في ارتقاء سلم صاعد نحو السماء، فيساعده الالهان حرويرس القديم وست.. وهما ساعدا الملك «اوناس» كذلك على ارتقاء هذا السلم. اما العداء والمنافسة فكانا بين الاله

حورس والاله ست [٥٢].

وهذا الوضع لعبادة اوزيريس يفسر عدم وجود رواية متكاملة عنه في النصوص القديمة بحيث جاءت رواية بلوتارك عملية تجميع لطقوس متفرقة ربطها معاً. وهنا نعود للاسم ذاته، فهو سامي قديم ورد في اللغة العبرية «أل عازر» وقد استعمله المسيح كمثل واسم لرجل فقير صالح وصل الى الجنة بعد موته (لوقا ف ١٦)، كما ذكره يوحنا الرسول اسماً لشخص قام من الموت (ف ١١ و١٢). وقصة قيامة أل عازر من الموت التي ذكرها يوحنا وحده، دون باقي الانجيليين، يمثلها المسيحيون كطقس ديني يوم السبت الذي يسبق اسبوع آلام المسيح وموته وقيامته يوم الفصح. وهي على ما يبدو تجديد مسيحي للاحتفالات بقيامة اوزيريس. وهناك آية قرآنية تؤكد على شهرة اوزيريس كإله بين الساميين وهي: ﴿قالت اليهود عزير ابن الله..﴾ (التوبة ٣٠). كما هناك تسميات لقرى ومواقع في ارض كنعان القديمة ليست بعيدة عن الارتباط باسم هذا الاله مثل كفر حزير في منطقة الكورة وعازور في منطقة جزين وعين حازور وخربة حازور قرب بلدة دبل في الجنوب اللبناني، ثم المدينة الكنعانية الاثرية الشهيرة حازور في منخفض بحيرة الحولة. وقد بلغ استقصاء تاريخ هذه المدينة خلال آثارها الى الالف الثالث قبل الميلاد، حتى الآن. وكانت عاصمة الكنعانيين في زمن يشوع العبري (١١:١٠).

ويرى بعض الباحثين ان اسم الاله اوزير هو ذاته «اشور» [٥٣] ولا نجد ذلك بعيدا عن الواقع. فطقوس الموت والحزن على الاله اوزير وعلى تموز (دي موزي) في ارض الرافدين وعلى البعل الكنعاني ادونيس، وعلى ديونيسوس فيما بعد هي ذاتها. واول ظهور لاسم الاله اشور في الكتابة جاء من كبادوكيا من بلاد آسيا الصغرى وكان ذلك في نهاية الالف الثالث قبل الميلاد. وحدث تباين في كتابة الاسم وقراءته، وقد ارتبط اسم أشور باسم مدينة غدت عاصمة للأشوريين ويعود اول ذكر لها الى زمن حمورابي [٥٤]. وورد اسم الاله ازارو في قصة التكوين البابلية ووصف بأنه واهب الفلاحة وواضع معدلات المياه، خالق الحبة، والعشب الذي يجعل النبات ينمو. كما في ترنيمة تمجيد للالهة بمناسبة عيد رأس السنة في بابل، يوصف ازاري بأنه ضامن لهبة الفلاحة [٥٥] وهذه الصفات عينها تنسب لاوزيريس في مصر، وهكذا تبدو وحدة الوظيفة والمسؤولية والاسم اثباتاً لوحدة الشخصية في البلدين. وقد استعمل الساميون هذا الاسم لشهر آذار، شهر الماء

والزرع والعشب، آخر شهور السنة لديهم حيث بعد موت هذا الشهر تولد سنة جديدة مع نيسان.

وذكر ابن النديم، خلال حديثه عن الصابئة في العراق انهم «يصومون يوم الثامن منه ثلاثين يوماً للقمر [٥٦] ومن المعروف ان الصابئة والاقليات المماثلة لهم في العراق ليسوا سوى بقايا شعوب الحضارات القديمة التي ازدهرت في المنطقة واورثت معتقداتها وطقوسها الدينية ومصطلحات تقسيمات الزمن للحضارات الحاضرة، مع اسماء الايام والاشهر وحساباتها. اما ارتباط اوزيريس بالقمر والصيام له فيذكره بلوتارك حين يقول ان المصريين كانوا يحتفلون بعيد في بدء الربيع يسمونه عيد دخول اوزيريس الى القمر [٥٧] وبدء الربيع هو في آذار ولا بد ان صيام آذار كان يسبق هذا العيد.

تراث مشترك

ما يلفت نظر الباحث في تراث الحضارة الكنعانية هو ان نص سانخونياتن الكنعاني يتعامل مع حضارتي مصر والاغريق وكأنهما، مع الحضارة الكنعانية، وحدة متكاملة، او انهما ليستا سوى امتداد لها. فالاله الاساس في النص هو ايلوس (العلي) الذي هو في الوقت ذاته كرونوس. وكان قد ضحى ابنه الوحيد وختن نفسه واجبر اتباعه على فعل ذلك. وهاتان العادتان هما كنعانيتان مشهورتان، وحين توزيعه البلاد بين الالهة يقول النص: وعندما جاء كرونوس الى بلاد الجنوب اعطى مصر بكاملها للاله «طاوتس لتكون مملكة له» [٥٨]، ونلاحظ ان طاوتس الذي يدعى ايضاً هرمس يرافق اوزيريس ويسانده في جميع الاعمال المنسوبة له، سواء ورد ذلك في النصوص الفرعونية ام في النصوص الاغريقية. ويصف نص سانخونياتن طاوتس بقوله: ان طاوتس الذي يدعوه المصريون طوط، وهو الذي سيطر بعقبريته على جميع الفينيقيين، كان اول من نظم العبادة التي استخرجها من غشامة العامة، وعمل منها خبرة واضحة مفهومة [٥٩].

وينقل لنا ابن النديم رواية عربية عن الكلدانيين تقول ان هرمس: كان احد السبعة السدنة الذين رتبوا لحفظ البيوت السبعة، وانه كان اليه بيت عطارد، وباسمه يسمى، فإن عطارد باللغة الكلدانية هرمس، وقيل انه انتقل الى ارض مصر بأسباب، وانه ملكها وكان له اولاد عدة منهم طاط وصا واشمن واثريب وقفط، وانه كان حكيم زمانه [٦٠]. واسم قفط هو الاسم الكنعاني «حكفت» لمصر.

وهكذا نجد الرواية العربية الكلدانية تتفق مع الرواية الكنعانية حول انتقال طاوتس الى مصر. والاسم ذاته نجده في كلمة «طاغوت» العربية. فالطاغوت وصف بالدهاء والسحر، وقاومه الاسلام لسعة نفوذه كما تذكر الآية: «ألم ترَ الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالاً بعيداً» (النساء ٦٠).

وفي أقدم النصوص الكنعانية المكتشفة حتى الان نجد هذا الاله يتمتع بالنفوذ ذاته. فقد ورد اسمه في نصوص ايبلا العائدة لما قبل الالف الثاني قبل الميلاد «طووشتا إيليم» اي طاغوت الالهة. ومع الاسم هذا وردت ترجمة سومرية هي «إن إن» مع إشارة الالوهة [٦١]، وهي تعني: ملك الالهة وهذا ما نعبر عنه حتى اليوم بصفة «هرمس الهرامسة». ويبدو كذلك ان تسمية «طاووس ملك» شفيع الطائفة اليزيدية في العراق لا تزال استمرارية للتسمية الكنعانية الايبلائية. وعند متابعة اسم هذا الاله في نصوص ارض الرافدين نجد اسمه طوطو في مطلع شريعة حمورابي، وكان شفيعاً لمدينة بورسيبا، ووصف في هذا النص بالصفة ذاتها الواردة في نصوص ايبلا «إله بين الملوك»[٦٢] موصوف بالحكمة الذي وسع الارض الزراعية لمدينة دلبت. وقد حمل هناك صفة نبو أي «نبي» كما وصف نبو بأنه طوطو، كما ورد ذكره في قصة الخلق البابلية «لما في الاعالي» بوصفه مبدع السحر للآلهة كي ترتاح، ومنظماً لامورهم. [٦٣] وهذه الصفات ذاتها يتمتع بها في اللاهوت الفرعوني، ومن الصعب افتراض وجوده في مصر قبل الساميين، لان القرائن جميعاً تشير الى انتشار التأثير السامي اللاهوتي في مصر بينما لا تشير الى وجود تأثيرات مصرية في التراث السامي المشترك الذي تجمعه تسمية الكنعاني، كما اعتبرنا في مطلع هذا الفصل.

يجعل المؤرخ المصري مانيتو «هيفستس» في رأس السلالة الالهية التي حكمت مصر، مضيفاً قوله عنه: «المعروف كذلك بين المصريين كمكتشف للنار» [٦٤]. وهذه الصفة لهذا الاله تجعله الاله الكنعاني ذاته الذي تذكره نصوص سانخونياتن وتصفه بأنه: «أوجد الصنارة والطعم وقصبة الصيد والطوف، وقد ابحر قبل كل الناس»، ولذلك بعد موته عُبد كإله ودعي ديوملكيوس [٦٥] اي الاله الملك. وقد ورد في نصوص ايبلا إله باسم الإله «ملك» وصف بأنه اكثر الالهة شعبية هو والإله دامو لورودهما بكثرة في اسماء الاعلام [٦٦]. ويذكر هيرودتس المؤرخ ان قمبيز

الفارسي عندما غزا مصر انتهك حرمة معبد هيفستس في ممفيس وسخر من تمثاله، والتمثال يشبه التمثال «بتاخي» الذي يضعه الفينيقيون على مقدمة سفنهم وهو بشكل قزم. كما دخل معبد الكبيرس وفعل بتماثيلهم مثلما فعل بتمثال هيفستس، وهي شبيهة به ويفترض انهم ابناؤه، وقد احرقها. (٦٧) وهيرودتس هنا يستعمل التسمية الاغريقية للإله بتاح وهي هيفستس، بينما يترك الاسم الاصيل له على السفن الفينيقية. وهذا الإله اسمه، بكل ما ينسب له من انجازات اقرب الى الساميين منه الى غيرهم، فاسمه ذاته يحمل في العربية مدلولاً لاهوتياً الى جانب مدلول فعله المادي، فمن صفات الله الفتاح العليم، وقد جاء في الآية: «ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين» (الاعراف ٨٩)، ثم «وعنده مفاتيح الغيب» (الانعام ٥٩). ومن وظائف بتاح في لاهوت ممفيس الخلق بالكلمة أي عقيدة الخلق القديمة والمشهورة في نصوص ارض الرافدين. لقد ورد اسمه «بتاح العظيم» ووصف بأنه قلب التاسوع الإلهي ولسانه، وهو مبدأ كل الموجودات(٦٨) . وما يلفت في نهاية هذا النص ان بتاح يوصف بـ«سيد السنين»(٦٩) ومثل هذه الصفة نجدها للإله «أل» الكنعاني في نصوص اوغاريت. وفي احدى قصص الخلق يقول النص: «ان بتاح صنع بيضة ومنها كان خروج الاله الشمس» (٧٠) وفي رواية التكوين الكنعانية يرد: «كان لموت شكل بيضة عندما تكون، غدا مضيئاً فأنتج الشمس والقمر والنجوم والمجموعات الكبرى للنجوم». كما يضيف النص: «إن هذه الامور وجدت مكتوبة في النظرية الكونية لطاوتس وبالاستناد الى مذكراته المعتمدة على الحدس والقناعة الفكرية، كاعتمادها على الذكاء، لمحها سانخونياتن وأعلنها» (٧١).

وهنا نجد الاشارة لطاوتس الذي اعتبر صاحب كل فكرة في مصر تؤكد صدور العقيدتين في الخلق عن مصدر واحد، كما لمعرفة مدى اندماج بتاح الممفيسي في الالهة الكنعانية نقرأ في كتابة متأخرة لامرأة موسيقية من ممفيس تقول فيها: « .... الى التاسوع الذي في بيت بتاح، الى بعلة الى قدش، الى ميني، الى بعلي - صافون، الى صبدو» (٧٢). وهنا نجد صفة التاسوع فقط اصطلاحاً مصرياً بينما باقي الالهة المذكورين اما كنعانيون معروفون او انهم بحاجة الى بحث عن هوية لهم مثل ميني وصوبدو، مع ترجيحنا ان اسم صوبدو بتاح موجود في اسم قرية صفد البطيخ في جنوب لبنان وصفد في الجليل التي تدعى صفد العلي لتمييزها عنها.

ونحن نجد في النصوص الفرعونية آثاراً تعبدية هامة لآلهة الكنعانيين مثل: بعل، رشف، عناة، قدش، وعشتارت.. الخ، ففي تشبيه يوصف به رعمسيس الثالث في القرن الثاني عشر قبل الميلاد يقول الكاتب: «إن صراخه في القتال يشبه (صراخ) بعل في السماوات»، وفي رقية سحرية يقول الراقي: «ليضربك بعل بشجرة الارز التي بيده» (٧٢) وقد وصف تحوتمس الرابع في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بأنه: «جبار في العربة مثل عشتارت». وتوصف عشتارت في النصوص الفرعونية بأنها: «سيدة العربة» او «سيدة الخيل» (٧٢ ب) وفي عهد ستي الاول (١٣١٨ ـ ١٣٠١ ق.م.) كانت هناك فرقة خيالة متميزة باسم «عناة راضية (٧٣) وفي وصف لفروسية تحوتمس الثالث (١٤٩٠ ـ ١٤٣٦ ق.م) بعد إطراء كبير لقدرته على ترويض الخيل واستعمال القوس يقول الكاتب: «رشف وعشتارت كانا فرحين به لعمله كل ما اراده قلبه (٧٤)».

ونجد ان رعمسيس الثاني بنى مدينة بين مصر وفينيقيا، كما يقول النص، جعل في شرقها معبداً لعشتارت وفي الجنوب معبداً لست (٧٥).

ونقرأ اسم آلهة كنعان في تركيب اسماء مصرية مثل «عناة ـ أم ـ نحو» و«عشتارت ـ أم ـ حب». كما توصف قدش بالمقدسة. وعلى نصب هو في فيينا اليوم ترد اسماء ثلاثة آلهة: مين وقدش ورشف، وتظهر الإلاهة قدس على ظهر أسد. كما على نصب هو في «تورين» بإيطاليا اليوم توصف قدش بأنها «قدش» سيدة السماء، محبوبة كل الآلهة عين الاله رع، لا نظير لها» (٧٦) . وعلى نصب في المتحف البريطاني تظهر إلاهة تدعى «قانة» على ظهر اسد والى جانبيها الإلهان مين ورشف الذي يوصف بالإله العظيم سيد السماء وحاكم تاسوع الآلهة. وتظهر عناة على النصب ذاته وهي تلبس درعاً حربية وتوصف: «عناة الإلاهة المنتصرة، امرأة تفعل كالرجل، وتلبس كالذكر ولها خصر انثى» (٧٦ب)

وهنا نشير الى ان الالاهة والاسد تقليد سامي اشتهر في ارض الرافدين، وكشفت نبشيات ايبلا الكنعانية عن وجود هذا التقليد الفني فيها في اواسط الالف الثالث قبل الميلاد. وقد ظهرت آلاهة تدوس على رأس اسد، اسماها الاثريون إلاهة القطعان (٧٧) والالاهة قانة المذكورة على نصب المتحف البريطاني قد تكون حلاً للغز تسمية عدد من القرى باسم قانة في ارض كنعان. ولم تكن الاجتهادات بتفسير هذا الاسم مقنعة حتى الآن. ويساند ارتباط هذه الاسماء بالآلاهة لا بغيرها وجود اسماء رشف وعناة وبعل

وقدش مرتبطة بقرى كنعانية معروفة ليست بعيدة عنها، ولا تزال مأهولة حتى اليوم. ووصف قدش او عشتارت بانها سيدة السماوات ورد واضحاً لدى ارميا خلال محاربته للعقائد الكنعانية. وهي كانت معبودة ويقدم لها البخور والتقدمات في زمنه، (٤٤: ١٧ و١٨) وهي ذاتها التي ذكرها هيرودتس باسم افروديت اورانيا، ورأى ان معبدها في عسقلان هو اقدم معابدها على الاطلاق (١: ١٠٢).



وفي نص شعبي لعملية مصالحة بين الإله ست والإله حورس تقول الالاهة الام «نيت» في رسالة منها للتاسوع، مجمع الالهة: «دعوا سيد الكل (رع)، الثور المقيم في هيليوبولس يقول: ضاعفوا نصيب ست اعطوه عناة وعشتارت ابنتيكم، واجعلوا حورس في منصب والده اوزيريس»، وقد وافق الجميع على هذا الاقتراح (٧٨). هذا النص الشعبي وصل تسجيله من القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهو يشير الى الفة المصريين لآلهة كنعان منذ اواسط الالف الثاني قبل الميلاد، مع اعترافهم بأنها غريبة عن مصر، او انها ليست لهم وحدهم على الاقل. وهناك معاهدة بين رعمسيس الثاني والملك الحثي حتوسيلي عقدت حوالى سنة ١٢٨٠ ق.م. تظهر هذا الوضع العقائدي اللاهوتي في مصر في هذه الفترة، فقد عدد النص الهيروغليفي بعض آلهة مدن تتبع للحثيين كشهود على المعاهدة، وكان يدعو كلاً منها «ست» مع ان الفرعون المصري كان يتخذ من هذا الاله شفيعاً معيناً له ويتيمن باسمه في حروبه ويصفه بابن نوت (٧٩). وليس من تفسير لهذه التسمية سوى اعتبار ست إلهاً كبيراً للشعوب غير المصرية التي كان المصريون يحاربونها في ارض كنعان. وهنا علينا ان نأخذ بالاعتبار ان نبش الاثار في ارض الكنعانيين لا يسير بموازاة ما هو عليه من نشاط في وادي النيل او ارض الرافدين. ولهذا نجد الكثير من الحلقات المفقودة في آثار هاتين المنطقتين. وهذه الحلقات الغامضة نجدها عند التروي ترتبط بوثاقة بالكنعانيين وهي بحاجة لكشفها وايضاحها. وقد لاحظ بعض الباحثين هذا الوضع ونذكر بعض ملاحظاتهم كمثال على ما اشرنا اليه فقد لاحظ «وولتر بريان امري» ان معبد بتاح انشيء في ممفيس على يد الفرعون مينس مؤسس السلالة الاولى كما يخبر بذلك المؤرخ مانيتو، بينما نصوص السلالة الاولى والثانية على صخرة «باليرمو» تذكر عيداً للاله سوكار في ممفيس وهو سابق لبتاح، وبتاح هذا، بعكس معظم الالهة في مصر، لا يتمثل بأي حيوان. كما ان مركز

عبادة اوزيريس الاساس هو في بوزيريس في شرق الدلتا، لكنه لم يكن الإله الاصيل لهذه المنطقة، اذ هو حل محل إله اقدم هو عنجتي واخذ بعض شعاراته كريش تاجه وعصاه، وليست هناك صور تمثل اوزيريس في العهد «الأرخي». كما ان الثور «ابيس» يعتبر تجلياً للإله بتاح وهو يمثل للمصريين القوة والخصب، وتثبت القرائن الاثرية ما ذكره ايليان في العهد الكلاسيكي من ان الفرعون منيس هو الذي انشأ هذه العبادة في ممفيس، وقد انتشرت في عهد السلالة الاولى (٨٠) .

وهذا يعني انها طارئة وليست متوارثة. ويرى بيير مونتيه ان ثمة جماعة في مصر ربما تكون نسبتها الى بحيرة الحوليه المشهورة بنبات البردى، وهذه الجماعة موجودة قبل عهد مينس والسلالة الاولى (٨١) . وهنا علينا ان نذكر ان منطقة الحوله الكنعانية هذه تعتبر اخصب ارض كنعان. فقد كانت هي ومحيطها مأهولة بكثافة كما تشير الى ذلك القرائن الاثرية..والمؤلف رأى انها تستحق تسميتها «بحيرة البردى». وهذه التسمية ترد كثيراً في النصوص. وعند دراسة السلالات التي تكون منها المجتمع المصري القديم رأى ان سكان منطقة «طامة» اي الدلتا كانوا من الآسياويين. وقد اظهرت لوحة تعود لعصر الملك عقرب «نارمر» او «مينس» نوعية هؤلاء السكان في اواخر الالف الرابع قبل الميلاد. واللوحة تمثل صقراً يقود اسيراً بخطام وللاسير وجه ولحية سامية الملامح. كما لاحظ ان تسمية طامة للارض التي تغمرها المياه بقيت مستعملة حتى نهاية العهد الروماني (٨٢). ونلاحظ ان هذه التسمية ذاتها لا تزال مستعملة باللغة العربية وهي بالاساس موجودة في ملحمة الخلق البابلية كاسم لالاهة الفيضان والفوضى قائدة الصراع ضد الالهة، اي «طامة».

لاحظ الباحث الاثري سيروس غوردن ان كلمة «ناسي» تستعمل لوصف الامير الإلهي في ايبلا، اي الملك، ويوصف بها الملك في مصر العليا «نسو». كما الملك في بلاد سومر. «أنسي» وهي في ايبلا في مكانها اللغوي الصحيح الدال على الارتفاع والرعاية «نشأ». وليس بعيدا عن ان يكون سكان سوريا وفلسطين القدماء مارسوا تسلطاً على مصر وارض الرافدين ما دامت ايبلاو كما تكشف الوثائق كانت تمارس تفوقاً سياسياً وعسكرياً على ماري واشور، وبذلك يكونون قد فرضوا الملكية مع اسمها في هاتين المنطقتين (٨٣).

هوامش

(1) Pettinato (Giovanni) . The Archives Of Ebla, P. 54, 36, Ed. Doubleday & Company Inc. Garden City New York 1981.
(2) Antiquity XXXI (1957), 237 - 40.
(3) Journal Of Near Eastern Studies XXI (1962), 207 - 10.
(4) Gordon (Cyrus H). Forgotten Scripts, P. 167, ed Pellican Book. 1971.
(5) Apollodorus, III, 1,1 Loeb Classical Library, Trans, By J. G. Frazer.
(6) Pritchard (J. B.) Ancient Near Eastern Texts. Relating To The Old Testament. Ed. Princeton University Press. Third Ed. 1969, P. 138 (F) And The Transliteration By Aniss Freiha Ed. A. U. B. 1966 (In Arabic).
(7) Bulletin De Correspondance Hellénique, P. 6 - 11, XCV, 1971 - 1.
(8) Kenyon (Katheleen M). Amorites And Canaanites, P. 50, Ed. Oxford University Press. London, The British Academy 1966.
(9) Apollodorus II, 1, 3. Ed Loeb.
(10) Josèphe (Flavius), Contre Apion. 1:15, Trad. Par Leon Blum. Ed. Les Belles Lettes, 1930. Paris.
(11) Apollodorus II, 1, 4 - Herodotus II, 182 - Diodorus Siculus V, 58, 1 - Strabo XiV, 2, 11.
(12) Pausanias II, 16 - II, 19, Trans. By Peter Levi S.j. Ed. Penguin Classics 1971.
(13) Pausanias II, 15, Trans. By Peter Levi S.j. Ed. Penguin Classics 1971.
(14) Manetho, P. 91, Ed. Loeb Classical Library (Africanus), London 1980.
(15) Albright (W F.), From The Stone Age To Christianity. P. 157, 2e. ed. A Doubleday Anchor Book. 1957, New York.
(16) Montet (Pierre), Eternal Egypt, P. 138, Ed. Mentor Book , Trans. By Doreen Weightman, London, 1968.
(17) Kenyon (Katheleen M.) Amorites And Canaanites, P. 50.
(18) Gardiner (Sir Alan), Egyptian Grammar, ed. Oxford University Press. London 1966. P. 2, 3.
(19) Albright (W. F), The Biblical Period From Abraham To Ezra, Ed. Harper Torchbook, P. 14, New York, 1963.
(20)Lefébure (E.) Les Noms D'Apparence Sémitique Ou Indigène Dans Le Panthéon Égyptien, Recueil De Mémoires Et De Textes, xive Congrès Des Orientalistes, Alger, Imprimerie Orientale, Pierre Fontana 1905, P. 390 - 407.
(21) Eusèbe (Pamphile) La Préparation Évangélique, Trad. Par M. Séguier De Saint - Brisson, Tome 1, P. 33, Ed. Gaume Frères Libraires, 1846, Paris.
(22) Herodotus, 3 - 38. Ed. Penguin Classics.
(23) Pettinato (Giovanni), The Archives Of Ebla, P. 250, Ed. Doubleday & Company Inc. Garden City, New York, 1981.
(24) Pettinato (Giovanni), P. 246.
٢٥) مصر، تأليف اتيين دريوتون وجاك فانديه، ترجمة عباس بيومي، ص ٣٢٣ أو ف ٨، فقرة ٣، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة.
26) A. N. E. T., P. 329.

(27) Léfebure, P. 403.
(28) Le Caire, Bulletin de L'Institut d'Egypte, Tome XXXIII, Session 1950 - 1951, P. 179 Imprimerie de L'Institut Français d'Archéologie Orientale 1952.
(29) Eusèbe (Pamphile), La Préparation Évangélique, Tome 1. P. 38.
(30) Pettinato (Giovanni). The Archives Of Ebla. P. 246.
(31) Matthiae (Paolo), Ebla, An Empire Rediscovered, Trans. By Christopher Holme , P. 86, Ed. Doubleday & Company Inc. N. Y. 1981.
(32) Breasted (J. H.), Development Of Religion And Thought In Ancient Egypt, P. 35, 36, Ed. Harper & Row, Publishers, N. Y. 1959.
(33) Kupper (Jean - Robert), Les Nomades En Mésopotamie au Temps de Rois de Mari, p. 143, ed. Les Belles Lettres Paris, 1957.
(34) Breasted (J. H.), Development Of Religion And Thought In Ancient Egypt, Ed. Harper Torchbook, 1959, N. Y., P. 40, 42, 36.
(35) Montet (Pierre), Eternal Egypt, P. 145.
(36) Budge (E. A. Wallis), Gods Of The Egyptians Or Studies In Egyptian Mythology. 2 Vols. Ed. The Open Court Publishing Company, London, Methuen Comp. 1904, Vol. II, P. 241 - 244.
(37) Plutarque, Isis Et Osiris, Trad. Par Mario Meunier, Ed. L'Artisan Du Livre, Paris, 1924, P. 56, 96.
(38) Frankfort (Henri), Ancient Egyptian Religion, Ed. Harper Torchbook, 1961, P. 126.
(39) Budge (E. A. Wallis), Gods Of The Egyptians, P. 103, II, 113, 116, 118.
(40) Budge (E. A. Wallis), Gods Of The Egyptians, II, P. 124.
(41) Breasted (J. H.), Development Of Religion And Thought In Ancient Egypt, (Pyr, 589, 2111, 1551 - 4) P. 18 - 19, Ed. Harper & Torchbooks, 1959, N, Y
(42) Pritchard (J. B.), A. N. E. T., P. 140, Ed Princeton University Press, 1968.
(43) Frazer (Sir J. G.). The Golden Bough, (Abridged Edition) Ed. Macmillan Co. L. T. D. 1960, P. 497, Chap. XL.1.
(44) Eusébe (De Pamphile), La Préparation Évangélique, Trad. Par Seguier Se Saint - Brisson, P. 41, Ed Gaume Frères Libraires, 1846, Paris.
(45) Diodorus (Siculus), 1: 13 - 15, Ed Loeb Classical Library, 1968, London.
(46) Strabo, The Geography, 15, 1, 6 - 9, Ed. Loeb Classical Library, 1967, London.
(47) Budge (E. A. Wallis), Gods Of The Egyptians, Vol. II, P. 176.
٤٨) يراجع كتاب «لبنان في قيم تاريخه» للمؤلف ف ٢: ٢، ص ٦٦، دار المشرق ١٩٧٢، بيروت.
(49) Dhorme (Edward), Les Religions De Babylonie Et d'Assyrie, P. 134 Ed. Presses Universitaires De France, 2e. Ed. 1949.
(50) Frazer (J.G.), The Golden Bough, P. 479 - 480, 500 - 501 Abridged Ed.
(51) Budge (E.A.) Wallis), Gods Of The Egyptians, Vol. II , P. 120.
(52) Budge (E.A. Wallis), Gods Of The Egyptians, Vol. II, P. 241.
(53) Lambert (W. C.) Babylonian Wisdom Literature, P. 293, Ed. Oxford Press. 1960.
(54) Dhorme (Edward), Les Religions De Babylonie Et d'Assyie, P. 156.
(55) Pritchard (J. B.), A. N. E. T., P. 70, 333.
٥٦) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٢٥، مكتبة خياط، بيروت.
(57) Plutarque, Isis Et Osiris, P. 140.
(58 - 59) Eusèbe (De Pamphile), La Préparation Évangélique, P: 41, 42.
٦٠) ابن النديم، الفهرست، ص ٣٥٢.

(61) Pettinato (Giovanni), The Archives Of Ebla, P. 250, Ed Doubleday Company Inc. N. Y. 1981.
(62 - 63) Pritchard (J.B), A. N. E. T. P: 165, 70.
(64) Manetho, P. 3 15, Ed Loeb, Classical Library.
(65)Eusèbe (De Pamphile), La Préparation Evangélique, P. 36 - 37.
(66)Pettinato (Giovanni), The Archives Of Ebla, P. 260, Paolo Matthae, Ebla, P. 187.
(67) Herodotus, 3: 38.
(68) Breasted (J. H.), Development Of Religion And Thought In Ancient Egypt, P. 44 - 47.
(69) Pritchard (J. B.), A. N. E. T., P. 6.
(70) Breasted (J. H), Development Of Religion And Thought In Ancient Egypt. P. 11.
(71) Eusèbe (De Pamphile), La Préparation Évangélique, P. 34, 35.
(72 - 76) Pritchard (J. B.), A. N. E. T., P: 240 - 250, 254, 244, 270, 150.
(77)Matthiae (Paolo), Ebla, P. 86 ed Doubleday Company Inc. N.y. 1981.
(78 - 79) Pritchard (J. B.) A. N. E. T., P: 15, 199 - 201.
(80) Emery (W. B.), Archaic Egypt, P. 122 - 124, Ed, Penguin Books. 1963.
(81) Montet (Pierre), Eternal Egypt, P. 160, Ed. Mentor Books, 1968.
(82) Montet (Pierre), Eternal Egypt, P, 44, 49, 26.
(83) Pettinato (Giovanni), The Archives Of Ebla, P. 278 - 279.

شهادات تاريخ
من
تسميات قرى الجنوب

اينما تجولنا في أرض جنوب لبنان نجد أنفسنا بين البقايا الاثرية للحضارات القديمة، ومع من تحدثنا من سكان المنطقة، اذا كانت لنا هواية دراسة التاريخ خلال اللغة، نكتشف بقايا لا تزال حية من اولئك الذين عاشوا في الماضي هناك.

ان قصة الانسان تبدأ ما قبل التاريخ في جنوب لبنان، فالملاذات الطبيعية، مثل تلك الكهوف الرائعة في وادي الزهراني، تشهد على وجود الانسان مع ادواته الحجرية وفنونه البدائية، مع ان علماء الآثار لم يصلوا بعد الى تلك المواقع الهامة للتاريخ.

فالجبال والتلال والاودية والمروج والمنحدرات والينابيع وعيون المياه والانهار والملاجىء الطبيعية، جميع هذه متجاورة متقاربة، كانت تناسب الانسان الذي كان يبحث عن ارض تصلح لحمايته، ليس فقط من أعدائه، بل من قوى الطبيعة التي تواجهه في مناطق اخرى لان هنا في الجنوب اي شيء او حدث يكون معتدلاً حين يكون. وهذا الشرط، كما هو، دعا الانسان الى تكوين حياة اجتماعية ببناء مستوطنات وقرى ومعابد، تصلح لتكون تراثاً للابناء والاحفاد.

تلك هي طبيعة الارض التي ساندت الحياة الاجتماعية بصورة مستمرة منذ آلاف السنين. والشاهد على هذه الاستمرارية هو استمرار استعمال الاسماء ذاتها للخرائب والمواقع القديمة، كما للاودية والينابيع، مهما تكن ضئيلة القيمة والشأن.

ومع اقتناعنا بهذه الفكرة للاستمرارية في الحياة الاجتماعية لجنوب لبنان اجدنا نقدر قيمة أسماء الاعلام المعطاة للقرى والمواقع، معتبرين انها مفاتيح

مناسبة للتعرف الى الحضارات والثقافات التي مرت في الماضي في المنطقة.

وعندما نستعمل الاسماء نعتبرها لاعلام معروفين جيداً نتجنب عمداً التفاسير اللغوية التي اعتمدها بعض الباحثين في هذا الحقل. وهكذا يكون هدفنا ليس تحديد اي اسم يوجد على الخريطة، وانما انتقاء الاسماء الواضحة التي تساندها الادلة، خلال النصوص التاريخية والتقاليد والبراهين الاخرى، كتواجد اسماء اخرى بالجوار تنتمي للثقافة المفترضة ذاتها. وهكذا نحن نشير الى عدد من الثقافات والحقب التاريخية بواسطة اسماء المواقع التي كانت هذه تشغلها في الماضي.

الحوريون:

والاسم الاول المفتاح الذي صودف ان كان هو اسم غامض لإله تكرر ورود اسمه في مجلس آلهة «إيبلا» كما يذكر ذلك عالم الآثار الايطالي «جيوفاني بتناتو» الذي درس آثار هذه المدينة الكنعانية القديمة في الاراضي السورية. والاله اسمه، «كورا» لقد وصفه بأنه:

«... هام لكنه غير محدد الهوية بعد». ثم انه لاحظ: «.. هناك تكرار لذكر تقدمات للاله» كورا و«الاله» «مول» (المشتري) (١)

هذا الاله الغامض في نصوص «ايبلا» له موقع أثري هام على اسمه في جنوب لبنان، وقرب بلدة «رميش». وغموضه هو في عدم التمكن من تحديد نسبه وفيما اذا كان ينتمي للكنعانيين او للحوريين، لان مجتمع إيبلا، كما ثقافتها، كانا خليطا من عناصر كنعانية وحورية.

ووجود الاله «كورا» في موقعه قرب «رميش» لا يوضح هويته وانما يدعم وجود الحوريين في منطقة رميش كفرضية اولى، ويشجعنا على اعتباره الها سماوياً او كوكبياً مثل رفيقه «مول» في إيبلا. وسبب هذا الاعتبار هو أننا نجد في دائرة لا يزيد قطرها على خمسة كيلومترات حول تلة كورا اسماء حورية لآلهة سماويين لا تزال قيد الاستعمال وهي: «قوزح» اسم قرية «وسموخي» اسم خربة أثرية و«عيتا الشعب» اسم قرية ومثلها «علما الشعب». وقد وردت هذه الاسماء معاً خلال معاهدة باللغة الاكادية بين ملكين هما: سوبيلوليوما» وكورتيوازا» والنص يستشهد بالآلهة الحورية: «شوب، رب السماء والارض وقوزح وسميغي (٢). وهذا يعني: اله العاصفة والطقس، واله القمر، واله الشمس، ونحن نضيف الى هذه المجموعة من

الآلهـة الحورية المشهـورة وفي المنطقـة المحـددة ذاتها الاله «اداما» في شـرق بلدة «يارون».

لقد ورد اسم الاله «أداما» في مجلس آلهة إبيلا كإله حوري، له عيد في الشهر التاسع [٣] والموقع الأثري الذي يحمل اسمه هو حصن أثري هام ورد ذكره لدى «يشوع» باعتباره مدينة حصينة في أرض نفتالي (١٩ , ٢٣و٣٦).

واسمها الحالي تحمله عين في سفحها «عين داما» والخربة تشرف على الطريق «السلطاني»، طريق العربات للملوك الفراعنة باتجاه الارض السورية، وقد ذكرنا ذلك عند دراسة عهد الهكسوس في الجنوب اللبناني.

ومما يستحق الذكر هنا هو ان مجموعة كتب العهد القديم العبري لم تذكر الحوريين، حتى ولو بالاسم في المنطقة خلال القرون الاخيرة من الالف الثاني قبل الميلاد، مع انهم كان لهم اكثر من مركز في جنوب لبنان. فنحن، مثلاً، نلاحظ وجود اسم الاله الحوري الاكبر في اسم «كفرشوبا»، في سفح جبل «حرمون». كما اننا نجد اسم «حبت» الالاهة قرينته في اسم بلدة «حبوش» قرب مدينة النبطية، ووجود موقع أثري يحمل اسماً واضحاً هو «شارما» شمال بلدة حبوش، يدعم هويتها الحورية، لان «شارما» هو ابن الالاهة حبوش، حسبما ورد في مجلس آلهة الحوريين في شمال سوريا [٤] مع ان اسم هذا الاله لم يرد معها ومع قرينها «شوب» في مجلس آلهة «إيبلا». وقد ظهر الحوريون مع اسرى الفراعنة بعدد كبير. [٥]

ولهذا نجد سجلات «سيتي الاول» (١٣١٨ ـ ١٣٠١ ق.م.) تشير الى جنوب لبنان باسم «سلسلة جبال خارو». [٦]

الكنعانيون

كان الحوريون في جنوب لبنان في منطقة تسود فيها أسماء كبار آلهة الكنعانيين على التلال والجبال والمستقرات القديمة.

وقد رأينا ان المنطقة كانت على علاقة وثيقة مع مصر، منذ بدء التاريخ.

هذه العلاقة تظهر في توافق اسماء اعلام معروفين جيداً في مصر مع اسماء قرى ومزارات محترمة في المنطقة، واشهر هذه الاسماء هو اسم الاله «شيث» ونحن نجد في المنطقة الجنوبية مجموعة من القرى والمزارات منتسبة اليه.

وقد وردت اسماء ثلاثة ملوك لهذه القرى القديمة بلفظها السامي، خلال نص

«اللعان» كما ذكرنا سابقاً.

وفي النص ذاته نجد اسمين لملكين آخرين لمدينتين متمردتين باسم «سلم» (٧) وعلينا ان ننتبه هنا الى ان النص كتب قبل بروز «أور - سلم» مع ابرام وملكي صدِّيق الكنعاني، ومع قرى «شيث» التي ذكرناها نجد قريتين باسم «سلم» احداهما «خربة سلم» والاخرى «مجدل سلم»، وليس بعيداً عن الجوار نجد قرية مع مزار باسم هذا الاله هي «عرب ساليم» نفترض ان أصل الاسم هو «رب سلم» واسم المزار في هذه القرية هو «النبي ساليم» وما يساعدنا على افتراض الكلمة الاولى في الاسم «رب» وليس «عرب» هو وجود النعت «رب» بصيغة المؤنث في المنطقة في اسم «ربة لاتين»، اي «ربّة الليطاني» وهذا يجعلنا نستنتج ان كانت هناك حقبة تاريخية ينعت بها الاله بكلمة «رب» بدلاً من «نبي» او إله.

وفي النص ذاته (نص اللعان) يرد اسما مدينتين «يرموتا» المدينة اللغز الثرية والمنظمة جيداً، كما تذكرها رسائل «تل العمارنة» ونحن نفترض وجود هاتين المدينتين في جوار صيدا، احداهما في سفح الجبل الى الشرق وهي «عرمتا» والاخرى جنوب مصب «الزهراني» على الشاطىء. وكان الاغريقي «سترابو» قد اشار اليها باسم «أورنيتو» (٢:١٦ , ٢٤) وخرائب هذه المدينة وبقاياها مع خزانات مياهها وأقنيتها الاثرية تشجعنا على اعتبارها «يرموتا» الشهيرة والثرية في الالف الثاني قبل الميلاد، لأننا باستثناء ملاحظة سترابو في القرن الاول للميلاد، لم يذكر اسم للموقع، بل هو يوصف اليوم «تل البراك» (اي خزانات المياه). ونعتبر ان في التسمية اليونانية خطأ في النسخ، ادى الى تحريف في اللفظ. فحوله الى مدلول يوناني يعني «العصافير» وهذا غير مقبول لعدم وجود تسميات يونانية في المنطقة.

نحن نلاحظ في المنطقة الجنوبية أسماء آلهة والاهات كنعانية تعرف بها قرى ومواقع، وهذه الاسماء ترد احياناً كمجموعات خلال النصوص المصرية للالف الثاني قبل الميلاد.

ففي تاسوع ممفيس كما ورد سابقاً نجد أسماء بتاح وبعلة وقدش وميني وبعل صافون وصبدو (٨) ونجد هيرودت يذكر بتاح كرمز للفينيقيين (٩).

وبعلة وقدش هما: الاهتان، الاولى هي لقب لكل الاهة كزوجة، واسمها هو، كما يبدو، في تسمية قرية «بلاط» والثانية لها قرية ومزار مقدس باسمها شرق بلدة «عثرون». ثم يأتينا «ميني» وهذا قراءته غير واضحة في النص الهيروغليفي، وهو

غير محدد الهوية بعد، اما بعل صافون فهو معروف جيداً في المنطقة باسم «النبي صافي» وجبل صافي شرقي مدينة صيدا.

اما الاله «صبدو» فهناك اشكال حول اسمه يتطلب جهداً لتعرفه فلدينا في المنطقة قرية باسم «صفد البطيخ»، كما هناك مدينة في الجليل باسم «صفد العلي» للتمييز بينهما، والمسافة بين الموقعين حوالى خمسة وعشرين كيلومترا، والسؤال هنا هو: هل يعني الاسم: «صبدو بتاخي» اي صبدو المنتسب الى بتاخ، رأس التاسوع؟ هكذا لا نكون اهملنا ملاحظة المؤرخ هيرودتس الذي افترض انهما أب وابن وقد ورد اسم مركب «حورس ـ صوبدو» في مجموعة نصوص بريستد (٣:١٥٥). وهكذا لا تستبعد تركيب الاسم في الاصل. كما ذكرنا سابقاً.

وقبول هذه الفرضية تساعدنا في تعرف اسم «بتاخ» في اسم قرية «بيت ياحون» باعتبار الاسم الاصيل «بتاح أون» في جوار صفد البطيخ. وبالقرب من هاتين القريتين الجارتين توجد قرية باسم «عيتا الزط» وعندما تكون كلمة «عيتا» تعني «المقر، المقام والسكن» ونفترض ان كلمة «زط» هي «زد» رمز الاله «بتاح» وهو يشبه شجرة الصنوبر، ويرمز للبعث السنوي، وكان له عيد وحفلة تقام بالمناسبة كل سنة. وهكذا نفترض ان المكان كان مزاراً قديماً لهذه المناسبة، ولا علاقة له بجماعة الزط التي اشتهرت في العراق خلال التاريخ العربي.

وقبل ان نترك «بتاح أون» علينا ان نشير الى ان اللاحقة «أون» في اسماء القرى المنتهية بها مثل: يارون، عترون، مارون، وشلعبون وغيرها، هذه اللاحقة الاكمالية هي كلمة سامية «اوى، أيوان، وهي تعني: ملجأ، مسكن بناء وقد وردت باللفظ ذاته خلال الهيروغليفية المصرية مع صورة لعمود فوقه بناء [١٠] كما البادئة، عاتا، حد، عد، لها المعنى ذاته ومنها اسم الالاهة «حتحر» اي سكن الاله «حر» (الصقر).

والملاحظة الاخيرة في نص ممفيس هي لبعلي صافون، فقد أورد الباحث «بادج» اسم الاهة لقبها «بعلة صافون» واسمها «بيرتا». وليس بعيداً عن مقام «النبي صافي» نجد قرية باسم هذه البعلة هي «بيرتا» شرق صيدا. [١١] ووجودها يثبت وحدة الهوية بين النبي صافي في الجنوب اللبناني وبعل صافون في التاسوع الممفيسي.

وعلى نصب هو الان في «فيينا» نرى الالاهة «قدش» تقف على ظهر أسد وهي

عارية، ويحيط بها الاهان هما: مين ورشف، والالهان يحملان رموزاً مصرية، كما على النصب ذاته في الاسفل نجد الالاهة «عناة» تلبس ثوباً طويلاً وتلبس التاج المصري الابيض مع ريشات «معات» (العدالة) وهي تحمل بيدها اليمنى حربة وترساً، وتلوح بعصا او بفأس بيدها اليسرى المرفوعة عالياً. (١٢)

فالالاهة «قدش» هي شخصية هامة في التاريخ الكنعاني، حيث تيمنوا باسمها فأطلقوه على عاصمتهم الشهيرة، قرب نهر «العاصي» كما اطلقوه على رأس بحري اقاموا فيه على شاطىء المحيط الاطلسي في اواخر الالف الثاني قبل الميلاد. وكما قلنا سابقاً لدينا قرية ومعبد، له تقاليد خاصة في جوار بلدة «عترون» ومن هذه التقاليد ان لا يدخل الرجال اليه مواجهة، بل يسيرون الى الخلف، اشارة الى عري الالاهة كما تظهر في تماثيلها، وفي استمرارية تقاليده في ارض الجنوب اللبناني.

الاله «مين» غير محدد بعد، اما «رشف» فهو اله كبير له قرية باسمه وبجوار القرية يوجد واد مهيب يدعى الان «وادي العيون» ونفترض ان كاتب رعمسيس الخامس في القرن الثاني عشر قبل الميلاد اشار الى هذا الوادي عندما ذكر «وادي رشف في ارض خاتي» (١٣) اي ارض الحثيين، كما كانت تسمية ارض الجنوب آنذاك.

«عناة» هي الالاهة الهامة في نصوص «اوغاريت» وقد أسمى الفرعون «سيتي الاول» (١٣١٨ ـ ١٣٠١ ق.م.) فرقة خيالة من جيشه باسم «عناة راضية» كما في نص لرعمسيس الثالث في القرن الثاني عشر قبل الميلاد يقول: «مونتو وشيث هما معه في كل صراع، وعناة وعشتارت هما ترس له» (١٤).

وعلى اسم عناة توجد قرية جنوبية كانت تدعى «بيت عناة» في نصوص رعمسيس الثاني (١٥) كما في نصوص يشوع (١٩: ٣٨). وفي هذه القرية توجد شجرة تدعى اليوم «شجرة النبية» كما قريباً منها في «بنت جبيل» توجد ساحة تدعى «ساحة النبية». مع مزار كان حتى خمسة وعشرين عاماً مضت يتلقى النذور والتقدمات من الاهلين قبل ازالته.

ولغياب النصوص الكنعانية، اجدنا هكذا مقودين لاستعمال النصوص الفرعونية بتوسع، وخلال اعتمادنا هذه النصوص نجد ان آلهة الكنعانيين لم يكونوا غرباء في مصر، وبوجه خاص خلال النصوص الملكية للالف الثاني قبل الميلاد، وهذا ما يدعو للبحث الجاد في الموضوع.

معابد هؤلاء الآلهة ومقاماتهم كانت مقدسة من قبل الفراعنة، وهذا يعني ان أرض الجنوب اللبنانية حيث توجد هذه المعابد في منطقة محدودة كانت ذات حرمة تستحق عناية الملوك، ويبدو ان هذا السبب هو ما دفع رعمسيس الثاني (١٢٩٨ ـ ١٢٣٢ ق.م.) الى بناء مدينة على اسم الاله «أمون» وهذه لا تزال خرائبها تحمل الاسم ذاته الذي أعطاها اياه الفرعون وهو «مريمين» اي «مري أمون» وهي بجوار قرية «يعتر» الجنوبية، وتحديد موقعها جرى خلال النص ذاته الذي ذكرها.

وهذا يعني جغرافياً ان الملك، مع مشاته، مروا في مضائق، «رأس الناقورة» ثم خلال «وادي العيون» فوصلوا الى «مريمين» ومن ثم اجتازوا جنوب لبنان الى جنوب البقاع، حيث تبدأ سلسلة جبال قادش، اي جبال لبنان.

وقد دعيت وادي العيون خطأ، وادي الارز، ليس في هذا النص وحده، ولكننا نفترض ان الخطأ ذاته حدث في ترجمة أسطورة «الاخوين» (انوبيس وباتا) حيث لجأ باتا وتزوج امرأة من المنطقة، ولكن اسم الموقع ووصف سير الرحلة العسكرية لرعمسيس حلاً مشكلة التسمية للوادي الذي ورد مرة باسم «وادي رشف» في ارض حاتي ايضاً.

لقد ذكر المؤرخ الباحث «رينان» بدهشة حوض ماء في خرائب المدينة الملكية «مريمين» ووصفه بالجميل جداً، وله درج منحوت في الصخر وعمود في وسطه، كما ذكر بتعجب كثرة عدد آبار المياه، وذلك عندما زار الموقع في منتصف القرن التاسع عشر [١٦].

وقد بنى ايضاً رعمسيس الثالث (١١٩٥ ـ ١١٦٤ ق.م.) معبداً للإله «أمون» في أرض «جاهي» شبه أفق السماء الذي في الفضاء.. والغرباء من«رتنو» يأتون اليه، حاملين ضرائبهم له، وكأنه إله [١٧] وقد افترضنا ان اسم هذا الموقع «أرزون» في فصل سابق.

المجموعة الاوزيرية:

لقد استعرضنا حتى الآن اسماء اعلام الامكنة ذات الصفات والتقاليد المعروفة جيداً لدى الكنعانين والحوريين، والان سنتعامل مع آلهة اشتهروا في مصر بطقوسهم وتقاليدهم، والاكثر اهمية بين هؤلاء هو «أوزيرس» فطقوسه كاله شعبي، كانت هي ذاتها طقوس «بعل» الكنعانيين و«ماردوخ» البابليين او تموز.

اسمه هو «أزارو» ورد في ملحمة الخلق البابلية كمانح للفلاحة [١٨] وله

المسؤوليات ذاتها التي تنسب له في التراثين المصري والاغريقي، أزارو (أوزير) هذا له عدد من المواقع باسمه في أرض كنعان أشهرها هو المدينة الاثرية «حازور» في منخفض «الحوله» قرب الجنوب اللبناني. كما هناك موقع قديم باسمه قرب قرية «دبل» يدعى «عين حازور» يضاف لذلك قرية «عازور» شرق صيدا مع مقام مقدس له باسم «النبي عازور» وهو توكيد على قيمة هذا الاسم واهميته.

رفيقة هذا الاله هي «ايزيس» وعندما نسقط حرف «الأس» اليوناني من آخر الاسم يبقى لنا «إيزى» وهو اسم مدينة «صور» البرية، كما هو اسم قرية «عزّي» غرب النبطية، وفي اسم «عزيه» في جوار صور وهي تنسب الى قرية «معركة» (عزية معركة) اي معبد «عزي» التابع لمعركة، ولا يبدو ان «عزي» هي غير العزى العربية وهي موجودة في المنطقة منذ ازمنة موغلة في القدم مع الالاهة «اللات» التي نجد اسمها واضحاً في التراث الديني القرطاجي الذي نعتبره وصل الى هناك من الجنوب اللبناني.

والمرأة الثانية في هذه المجموعة هي «نبطي» (بدون حرف أس اليوناني) هذه المرأة هي قرينة الاله «شيث» الذي رأينا عدداً من القرى على اسمه. هذه الالاهة كان لها حق حمل رمز الاله شيث بيدها «أواس» مع أنها وقفت الى جانب ضحيته «أوزيريس». واسم هذه الالاهة هو في تسمية «نبطية» مركز القرى التي تحمل تسمية «شيث».

وقد لاحظ الباحث الفرنسي رينان نحتا في خرائب «أم العواميد» افترض انه لهذه الالاهة وذلك في أواسط القرن الماضي [١٩].

تشتهر مدينة النبطية حتى اليوم كنسبة للانباط في شرق الاردن، ولكن الانباط انفسهم نفترض انهم ينتسبون للالاهة نبطي وشيث، لان كلمة نبطي، ليست اسماً للالاهة فقط، بل هي لقب ايضاً للاله شيث، وقد ورد اسم احد الملوك الفراعنة «عابحتي ست نبطي» [٢٠] كما نذكر بان المؤابيين في شرق الاردن كان لقبهم «أبناء شيث» (عدد ٢٤:١٧).

ترتبط الاسطورة الاوزيرية بوثاقة بالشاطىء اللبناني وبالمدينة الاثرية «جبيل». ولكن أسماء اعلامها تقودنا الى اعتبار جنوب لبنان منطقة مهد آلهتها هي وامثالها من أساطير الكنعانيين. وحين تصفّح نص سانخو نياتن الكنعاني نجد تطابقاً معه في عدد من المرويات التي ينقلها غيره، فهذا النص ترجمه الى

اليونانية «فيلون الجبيلي» في القرن الاول للميلاد، ونشره لاستنكار اسطوريته، «اوزابيوس القيصري» وقد عاش سانخونياتن في الالف الاول قبل الميلاد على الارجح وهو يعتبر ان «سيتون» (شيث؟) هو اسم آخر للاله «داغون» [٢١] المعروف جيداً لدى الساميين، ونحن نقدر هذه النظرية نظراً لغياب اسم «داغون» عن جنوب لبنان برغم نفوذه الكبير في ايبلا واوغاريت.

كما اشار النص الى اوزيريس كمخترع وعرفه بأنه أخ لكناع، الذي غير اسمه الى فينيق كما يقول [٢٢].

لقد سمي سانخونياتن الانسان الاول الفاني «أيون» [٢٣] ونجد هذا الاسم في اسم مدينة «مرج عيون» ودون التباس في اسم «مجدل يون» شرق صيدا. وقد ورد ذكر الاولى في سفر الملوك الاول (١٥:٢٠) والملوك الثاني (١٥:٢٩). وأيون هذا كان مقدساً لدى الكنعانيين، حيث نقرأ نصيحة للنبي هوشع يقول فيها: «... ولا تصعدوا الى بيت أون، ولا تحلفوا، حي هو الرب، (٤:١٥) كما نشير الى ان الاسم الاصيل لمدينة «هيليوبولس» في مصر هو «أيون» [٢٤] أي الاسم ذاته الذي تحمله المدينة اللبنانية وبه ورد في سفر التكوين (٤١:٤٥).

وصف النص «صدِّيق» بأنه والد الآلهة، (كبيرس) السبعة ثم الاخ المنفرد أشمون (اسكلابيوس [٢٥] ولصدِّيق هذا مقام مقدس بجوار بلدة «تبنين» كما له قرية باسم «صديقين» ولقبه هو «النبي صديق» يتلقى النذور والتقدمات من مختلف الطوائف.

ذكر الالاهة «هورا» التي كان «أورانوس» قد أرسلها لمقاومة «كرونوس». [٢٦] ونجد اسمها في «وادي هورا» قرب «كفركلا» هذه الالاهة كان لها دور جيد في «الالياذة» بأوصافها السامية «هورا التي لها عينا بقرة» (١:٥٥١) كما هو يذكر ابنتين لكرونوس «بروصربين وأثينا» وقد ماتت الاولى وهي عذراء [٢٧]. وهناك خلاف حول كتابة اسمها في التراث الكلاسيكي، كما حول شخصيتها، ولدينا الاسم هنا في قرية «صريين»، وأختها أثينا يمكن ان تكون تحت اسم «بعلة» (بلاط) في اللغة الكنعانية.

وثامن ابناء «صديق» المعروف «اشمون» أي الثامن هو اختصاصي بالطب وله معبد واسع لهذا الغرض شمال مدينة صيدا بجوار نهر «الأولي» باسم «اسكلابيوس».

المجموعة القدموسية

نتناول هنا اسماء العائلة القدموسية المعروفة خلال التراث الاغريقي باعتبارها شبه اسطورية، مضيفين اليها ما نعتبره يعود لزمنها من تسميات ذات ملامح عربية وبخاصة تلك التي تسبقها صفة «نبي» مثل: الخضر، الجليل، إدريس» منذر وغيرهم.

وبهذه المناسبة نقدر جيداً ما أورده «سترابو» الاغريقي حول وجود العرب في المنطقة، فهو كتب حول سكان «عوبوا» في بلاد الاغريق فقال: «... وفي الازمنة القديمة أقام فيها بعض العرب، ممن اجتازوا البحر مع قدموس» (٢٨).

وهذا يعني ان العرب كانوا معروفين خلال الالف الثاني قبل الميلاد على الشاطىء المتوسطي. ولا يمكن لهذه الملاحظة ان تكون من صنع سترابو او أنها خطأ منه، لأنه ينتقد مثل هذه الاخطاء ويناقش اسم العرب في مكان آخر من كتابه فهو ينسب الى «زينون» الرواقي تصحيح الاسم من «ايرامب» كما في الاوديسية لهوميرس (٤:٨٤) الى عرب مع ان «بوزيدونيوس» السوري كتب الاسم «أرامب» كما يقول سترابو (٢٩).

ووفق هذه النظرية لنا ان نعتبر قبائل «شاسو» التي كانت تتمرد على سلطة «ستي» الاول (١٣١٨ ـ ١٣٠١ ق.م.) في سلسلة جبال خارو (٣٠) كانت من العرب.

ونتابع البحث في الاسماء العائدة للعهد القدموسي فالقصة تقول ان «أغنور» جاء من مصر الى ارض كنعان وتزوج «تلفاسا» فأنجب منها قدموس وأخوته. ونحن نجد اسم الام في قرية «طلوسا» قرب «مرجعيون». كما ان الام عرفت باسم آخر هو «عرغيوبا» (٣١) ونجد الاسم الثاني هذا في تسمية منطقة «العرقوب» عند سفح جبل «حرمون». وقد ورد الاسم في الالف الثاني قبل الميلاد (تثنية ٣:٤ و١٣:١٤).

كان لقدموس ابنة باسم «سميليه» واسمها يطلق على منطقة أثرية قرب النبطية باسم «شميله». وهناك ابناء عم قدموس: كيفاوس وفيناوس، ابناء «بعلوس» (٣٢) فنحن نجد اسم «كيفاوس» في اسم «ديركيفا» كما زوجته «قصيوبا» في اسم «القصيبي». وهناك جدل حول المكان الذي قدمت فيه «اندروميدا» ابنة كيفاوس للوحش البحري، حسب الاسطورة. فبينما تعين غالبية المؤرخين المكان قرب مدينة «يافا» حيث كان «كيفا» ملكها، يعين «فريزر» وحده المكان والحادثة في

جنوب لبنان، ويعتبر الصخرة التي ربطت اليها الفتاة هي رأس بحري قرب صور[٣٣] اي رأس الناقورة.

ولا ننسى «فروناوس» الجد الاعلى لأغنور قبل قدموس، فهو وصف بأنه «اول من جمع الناس في مجتمع... وأرغوس ابن ابنة فروناوس كان ملكاً بعده، وأعطى اسمه الشخصي للمنطقة. [٣٤] ولدينا اسم الجد في اسم بلدة «فرون». كما هناك شخصية قدموسية هامة تدعى «تيرا» وهو أعطى اسمه لجزيرة «تيرا» التي كانت تعرف قبله باسم «كاليستا» وذلك حدث بعد ثمانية اجيال من قدموس، كما يقول ذلك هيرودت (١٤٩:٤). واسمه يبدو في أسماء طيرى أو طورا، في المنطقة الجنوبية.

كان الكنعانيون الذين اقاموا في «أرغولس» يسمون انفسهم ابناء «عباس» [٣٥] وهذا الجد الكنعاني الكبير له جبل باسمه «جبل عباس» في جزيرة «غاديرا» في المحيط الاطلسي قرب الشاطىء [٣٦] حيث وجد الكنعانيون منذ الالف الثاني قبل الميلاد. وينقل لنا الرحالة «بوزانياس» :«ان شعب «آبي» جاءوا من «أرغوس» الى «فوكيس» وأسموا مدينتهم باسم مؤسسها «عباس» ابن «لنكوس» وابنة «دناوس» (هيبر منسترا) [٣٧].

واسم عباس لا يزال حيا عندنا باسم «عباسية» ولفظ الاسم عربي صريح يمكنه ان يكون مفتاحاً لتوضيح وجود العرب مع قدموس كما أعلمنا «سترابو» (١:١٠ ,٨) ولا نهمل كذلك التوافق بين اسم عاصمة قدموس في بلاد الاغريق «طيبه» واسم قرية «الطيبة» الجنوبية. كما بين منطقة عوبوا» الاغريقية و«وادي عوبا» بصخرتها الشهيرة التي يضرب بها المثل «شقيف عوبا» في جوار عترون. وكذلك بين الرأس البحري في «عوبوا» واسمه «كفاروس» والكلمة السامية «كفر» وقرية «كفرا» الجنوبية، والتسميات الاغريقية وردت لدى سترابو (٦:٨ ,٢).

ونشير اخيراً الى مقامين مقدسين هامين في جنوب لبنان نرجح انهما يعودان باسميهما الى هذه الحقبة هما «النبي ادريس» في بلدة الغازية، و«الخضر» في بلدة «يارون» وفي «الصرفند». فالاول هو التسمية العربية للحكيم «طوط، هرمس، مركور،أخنوخ،والثاني «الخضر: الاسم العربي لأدونيس - تموز. وعلى أية حال فان أي مقام في جنوب لبنان، مهما يكن اسمه، له تقاليده الخاصة به وحرمته ونذوره. وهي لا تزال محافظة على استمراريتها.

الالف الاول قبل الميلاد

كان الجنوب عامراً مكتظاً بالساميين ومزدهراً في اوائل الالف الاول قبل الميلاد، عهد ازدهار صور وملكها «حيرام». كانت ارضه ملجأ لاولئك الذين يفرون من الحروب ويبحثون عن سلامتهم. تذكر لنا سجلات «شلمناصر الثالث» (٨٥٨ - ٨٢٨ ق.م.) قوله خلال حروبه مع الآراميين في جنوب لبنان: «مشيث حتى جبال «بعلي راسي» الذي هو رأس، واقمت هناك نصباً مع صورتي كملك وفي الوقت ذاته تلقيت ضرائب صور وصيدا وسيحو ابن عمري». (٣٨).

ولدينا رأسان مشهوران في جنوب لبنان، الاول: «رأس الناقورة» على البحر، والثاني «مارون الراس». وعندما نترجم كلمة «مار» بمعناها «السيد اي البعل، ونعتبر اللاحقة «أون» المقام كما ذكرنا سابقاً يصبح معنى «مارون الراس» بعلي رأسي، ونحن نرجح ان يكون هذا الموقع هو ما قصده الملك المحارب، وليس الناقورة، لان الجيش الآتي من الشرق مع عربات لا يسهل عليه الوصول الى رأس الناقورة خلال الغابات والممرات الضيقة.

ليس في الجنوب آثار خاصة بالآراميين لكونهم جاءوا قبائل الى منطقة مكتظة بالعمران، وليس كأعداء وانما كأعضاء في عائلة. ولهذا لا نجد في جنوب لبنان معابد للبعل الآرامي «حدد» الا كصفة لملكارت صور، بينما نجد معابد له في ضواحي بيروت وبعلبك والجبة في الشمال اللبناني حيث غدت هذه المعابد لهدد قرى تحمل اسمه. ولا تزال تحمل انتسابها للمدن التي خصصت لها: حدد بيروت، حدد بعلبك، حدد الجبة.

ومع ذلك هناك بعض الاسماء لا يمكننا تفسير وجودها دون الآراميين. وأولها اسم «مجدل زون» فنفترض ان هذا الاسم هو للطائر الشرير «زو» الذي يقاتل ضد البعل، وكان معروفاً جيداً خلال احتفالات سنوية بهذا القتال يقيمها الاشوريون في شمال سوريا، وعلى الارجح كانت مألوفة لدى الآراميين ايضاً. كما يمكن ان يكون الحلقة المفقودة بين اسم «زو» في ارض الرافدين والاله الاغريقي «زوس» ما دام الاثنان يحملان مسؤولية الجو والغيوم.

والاسم الثاني هو «أبو الركب» في جوار بلدة «عرمتا» شرق صيدا. فالاسم الاصيل كما يبدو هو «بارركب» وهو اسم ملك شهير في مدينة «شمأل» شمال سوريا في كعب سلسلة جبال «امانوس» وقد اقام هذا الملك نصباً ذكر عليه اسم

الاله «ركب ال» كاله خاص بالعائلة المالكة.(٣٩)

والجدير بالملاحظة هنا ان لغة «شمأل» كما اسماء آلهتها واشخاصها قريبة جداً من اللغة والاسماء في جنوب لبنان. ومثالها: «ال، بعل شميم»، بعل، رشف، بعل صمد، وبعل حمان، كما نجد بين اسماء العائلة المالكة في شمأل: حيا (ن) وجبار.(٤٠)

ونفترض هنا ان قرية «كفرحمام» في سفح جبل «حرمون» هي على اسم «بعل حمان» كما «بني حيان» على اسم «حيا» (النون تسقط كتابتها). ونضيف لذلك ان اسم قرية «يهودية» قرب «تبنين» توافق الاسم القديم لشمأل وهو «ياهودى» ولا علاقة للاسم بالعبريين اليهود.

في القرن الثامن قبل الميلاد ورد اسم قبيلة «عاملة» للمرة الاولى خلال النصوص الاشورية، وقد ذكرت مع قبائل عربية معروفة جيداً، منها: حمارنه، لحواطو، ربيعه، نصيرو، نباطو، عبيدو، دامونو، عاملتو، وغيرها، وهذه كانت بين اسماء القبائل التي اخضعها تغلاتبلاصر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧ ق.م.) في السنوات السبع عشرة الاولى من حكمه. (٤١) دون ان يعين منازلها.

في أواسط الالف الاول قبل الميلاد، كان الكلدانيون في المنطقة. وقد سجل ملكهم «نبوخذ نصر» الثاني حصاراً ضد مدينة صور، دام حوالي ثلاثة عشر عاماً (٥٨٥ ـ ٥٧٢ ق.م.) وقد سجل صداقته ومساندته للبنانيين على صخرة في «وادي بريسا» في شمال البقاع، فقال: «... نظمت جيشي من اجل حملة الى لبنان. فجعلت ذلك القطر سعيدا باستئصال أعدائه حيثما كانوا واعدت سكانه المشردين الى بيوتهم (٤٢).

ولهذا التاريخ نعيد إنشاء معابد لالاهة ارض الرافدين «صريند» رفيقة الاله الاكبر «ماردوخ». وأحد هذه المعابد على شاطىء لبنان الجنوبي، وغدا موقعه اليوم مدينة صغيرة باسم «صرفند». والمعبد الآخر هو قرب جبل «الكرمل». لقد كان نبوخذ نصر مؤمناً مخلصاً لهذه الالاهة ينشىء لها المعابد أينما يذهب. (٤٣)

وللتاريخ ذاته نعيد البدء باستعمال اللقب «نبي» لوصف آلهة الكنعانيين. وقد ورد في النص مرة كاله مستقل ومرة كلقب للاله «ماردوخ». وكان ذلك مألوفاً في نصوص ارض الرافدين (٤٤) ولدينا في جنوب لبنان عدد كبير من المعابد والمقامات مسبوقة أسماؤها بلقب «نبي».

وهذه العملية في نعت الآلهة المحليين بلقب لتمييزها تتوافق مع ميول الفينيقيين عموماً الى التوحيد لاله متعال، وذلك ما نجده بوضوح في نصوص «عزتودع» في منطقة «أضنه» حيث صفات الاله هي: «إل خالق الارض والشمس الخالدة والمجموعة الكاملة لأبناء الآلهة» (٤٥) وهذا النص يعود، على الارجح للقرن الثامن قبل الميلاد.

في اوائل القرن الاول للميلاد زار سترابو المنطقة فكتب: الآن جميع الاقسام الجبلية يشغلها الايطوريون والعرب» (٤٦) وآثار الايطوريين نجدها في تسمية «حيطورا» كما ان سترابو عندما ذكر منطقة «الجليل»، قال: « ... انها مسكونة، بوجه عام، كما في كل مكان بوجه خاص، بمجموعات مختلطة من الشعوب، من مصريين وعرب وقبائل فينيقية، هذه هي جنسية هؤلاء الذين يسكنون الجليل وأريحا وفيلادلفيا (عمان) والسامرة». (٤٦)

ويورد المؤرخ جوزيفس فلافيوس الملاحظة ذاتها حول تعدد الجنسيات (٤٧) ملاحظاً انهم كانوا يتعاملون بالنقد الصوري. (٤٨)

ومن المستحسن هنا مناقشة تسمية المنطقة الواقعة شرق مدينة صور وجنوبها، فهذه مشهورة باسم «جليل الامم» من قبل الكتاب القدماء هكذا دعاها القديس «جيروم» عندما عين موقع «قانا الجليل» في أرض «أشير» والسؤال هو: من أين جاء الاسم للمنطقة؟

عندما استعمل القديس جيروم (ايرونيموس) كلمة «الامم» انما استعملها لغاية التمييز بين منطقتين واحدة يقيم فيها اليهود والاخرى للامم (الكنعانيون والعرب). ولكن يبقى السؤال عن اسم العلم «الجليل» من أين جاء؟

لدينا في الجنوب مقامان باسم «النبي الجليل» واحد في قرية «الشرقية» والآخر في قرية «قانا» حيث عرفت القرية بالنسبة اليه نظرا لتعدد تسميات «قانا». وقد أجرى المسيح معجزة تحويل الماء الى خمر خلال عرس في هذه القرية (يوحنا ـ ٢). وقد ذكر انجيل «متى» عند وصفه المرأة التي جاءت من شواطىء صور وصيدا بأنها كنعانية (١٥:٢٢).

خلال الالف الاول قبل الميلاد كان الفرس والاغريق والرومان يشغلون جنوب لبنان. لكنهم لم يتركوا اسماء معينة على آثارهم مع انها ضخمة وهامة في بعض المواقع، فنحن ننسب لزمن الاسكندر الاكبر قرية صغيرة تحمل اسمه «اسكندرونه»

ونفترض كانت معسكراً لجيشه وبعض المؤرخين يرون أنها نسبة الى الكسندر سفيروس الروماني.

ويعرض المؤرخ «رينان» الآثار الجبارة لخربة «ام العواميد» قرب الناقورة، فيفترض انها آثار مدينة «اللاذقية» التي في لبنان، للعهد الهلنستي السلوقي [٤٩] ولكن الآثار الهامة لهذه المدينة الواسعة المعتبرة لغزاً حتى الآن، لا تتناسب مع ذلك التاريخ المعين، مع انها قد تكون حملت هذا الاسم الاغريقي السلوقي من قبل الذين اقاموا فيها في تلك الحقبة.

وللرومان نعيد الكثير من الآثار الهامة كمساكن وفيلات وأنصاب وكتابات دون أسماء مميزة، او بالاسماء السامية القديمة لمواقعها، مثل تلك الموجودة قرب يارون، ويعتر وعين ابل ودبل وغيرها، دون ان ننسى الآثار والمدافن والملعب والقوس في مدينة صور، وهذه قد كشفت بمعظمها.

واذا كنا لا نجد اسماء كثيرة من اصل اغريقي او لاتيني او فارسي او حتى عربي، فهذا لا يعني غياب الآثار من هذه الشعوب، وانما يعني ان المنطقة كانت عامرة جيدة ومسكونة باستمرار، منذ اقدم تاريخ للكنعانيين والحوريين وربما غيرهم..

واخيراً نشير الى أننا اوردنا هذه المجموعة من اسماء الاعلام والمواقع المعروفة جيداً في جنوب لبنان لغاية اثارة اسئلة عامة وهامة للباحثين والاثريين حول دور المنطقة الجنوبية في ولادة حضارة الشرق الادنى.

هوامش

1) Pettinato (Giovanni) the Archives of Ebla, p. 246. 254. Doubleday & co. n.y. 1981.
2) Pettinato (Givoanni) A.E, P. 251, 257
4) Gurney, (O.R) the Hittites p. 135. ed Penguin Books 1969.
5) Pritchard, A.N.E.T, P. 247
6) Pritchard, A.N.E.T, P. 254
7) Pritchard, A.N.E.T, P. 329
8) Pritchard, A.N.E.T, P. 249 - 250
9) Herodotus, 3:38 Penguin Books
10) Gardner, (Sir Alan) Egyption Grammar, 3rd Ed P. 495, Oxford University Press, 1969, London.
11) Budge (E.A. Wallis) Gods Of The Egyptians Vol 2, P. 281, The Open Court Publishing Co, London, 1904.
12) Pritchard (J.B) The Ancient Near East In Pictures No 473 Princeton University Press, 1969.
13) Orientalia, 1960 Vol, 29, Reshef In Egypt, By William Kelly Simpson New Haven, P, 67.
14) Pritchard, A.N.E.T, P. 254, 250.
15) Pritchard, A.N.E.T, P. 255- 256.
16) Renan (Emest) Mission De Phénicie, P. 672. Imprimerie Imperiale, 1864 Paris.
17) Pritchard, A.N.E.T, P. 260- 261.
18) Pritchard, A.N.E.T, P. 70.
19) Renan (Erest) Mission De Phénicie, P. 670
20) Drioton Et Vendier, Egypt, Chap, 8: 3, Et 5 B1. Les Presses Universitaires De France.
21) Eusebe De Cesarée, La Préparation Evangélique, 1:10.16 Edition Du C.E.R.F. 1974 France.
22) Eusèbe De Cesarée, La Préparation Evangélique 1:10,39
23) Eusèbe De Cesarée, La Préparation Evangélique 1:10,7
24) Dictionnaire De La Civilsation Egyptienne, P. 123 (Heliopolis) Larousse 1968.
25) Eusèbe De Cesarée, La Préparation Evangélique 1:10,14,24, 38.
26) Eusèbe De Cesarée, La Préparatione Evangélique 1:10,23.
27) Eusèbe De Cesarée, La Préparation Evangélique 1:10,18
28) Strabo, 10: 1,8. Loeb, Classical Libray 1961.
29) Strabo, 16: 4,27. Loeb, Classical Library, 1966.
30) Pritchard, A.N.E.T, P. 254.
31) Graves (Robert) The Greek Myths, No 58, Penguin Books, 1960.

32) Apollodorus, III, 1,1.

33) Pausanias Guide To Greece, IV, 35, 8, Note Penguin Classics.

34) Pausanias Guide To Greece, Ii, 15, 4.

35) Graves (Robert) The Greek Myths,1:72,3,, Penguin Books, 1969.

36) Apollodorus,ii, 5, 10.

37) Pausanias Guide To Greece, X, 35, 1, Note. Penguin Books, 1971.

38) Pritchard, A.N.E.T, P. 280.

39) Pritchard, A.N.E.T, P. 655.

40) Pritchard, A.N.E.T, P. 654.

41) Luckenbill (D.D) Ancient Records Of Assyria And Babyionia, 1:788, 805. Chicago, 1926.

42) Pritchard, A.N.E.T, P. 307.

43) Dhorme (Edouard), Les Réligions De Babylonie Et D'assyrie P. 148- 150, Presses Universitaires De France 1949.

44) Dhorme (Edouard) Les Réligions De Babylonie Et D'assyrie, P. 170.

45) Pritchard, A.N.E.T, P. 654.

46) Strabo 16: 2,20, 16:2, 34.

47) Flavius (Josephus) La Guerre Des Juifs Contre Les Romains (66-70 A.d) P. 760 (3:4) Lidis, 1968.

48) Flavius (Josephus) La Guerre Des Juifs Contre Les Romains (66-70 A.d) P. 751 (2: 43).

49) Renan, Mission De Phénicie, P. 711.

اركيولجية اللغة التي تستعمل في الجنوب اللبناني

خلال محاولة لقراءة الكتابة الجبيلية المعروفة بصفة «بسيدو هيروغليف»، رأى الباحث الاميركي «مندنهول» أن الكتابة تعود لما قبل عهد الهكسوس، وهي كتابة للغة كنعانية «أرخية» أقدم من الأوغاريتية، مع ان عدد حروفها مماثل. وقد رأى أخيراً انها الاساس المشترك للسامية الشمالية والجنوبية معاً، وافترض ان بعض هذه النصوص المكتوبة بتقليد للهيروغليفية كتب في القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد. (1)وما يهمنا هنا في هذا البحث هو افتراضه بأن لغة النصوص كانت الأساس للهجات السامية الشمالية والجنوبية معاً، فهو بهذا الافتراض يطرح فكرة التوحيد بين تاريخ الكنعانيين القدماء على شواطىء المتوسط وتاريخ المجموعات السامية في شبه الجزيرة العربية بكل ما جدّ لها بعد ذلك من دول وتسميات جمعتها فيما بعد صفة العربية.

ونحن لا نجد هذا الموضوع يستعصي على دراسة موضوعية متعمقة للتأكد منه أو دحضه. فحين تغيب النصوص المكتوبة المساندة لها في تسميات المواقع القديمة الداعمة لهذه الفرضية لا تغيب الاشارات المساندة لها في تسميات المواقع او العبادات وأسماء المعبودات المتشابهة بين منطقتين بعيدتين هما اليمن وارض لبنان او، وهو الاهم لنا هنا، اللغة والمفردات العامية المحفوظة على ألسنة العامة من الناس بالتواتر من الاجداد الى الآباء، وارى في هذا الحقل الاخير مجالاً عملياً للبحث والتنقيب يوازي المجال الاثاري الذي نشط ونجح في قراءات التواريخ المجهولة منذ اواسط القرن الماضي واستقراءات العلاقات بين الشعوب

والحضارات القديمة بالاستناد الى القرائن المادية والمحاكمات النظرية الذكية.

وهنا، مع البحث في اركيولوجية اللغة التي نستعملها، أجدني أمام حقل جديد للبحث قد يكون النجاح فيه مقصوراً على أولئك الذين نشأوا في الأرياف وتعاملوا باللغة العامية ومناسباتها وكانوا الذاكرة الواعية والخزانة الأمينة لتراث أسلافهم البعيدين. واشدد هنا على التعامل الاهلي مع هذا الحقل ليس لاستبعاد خبرات علماء افذاذ قدموا لنا الكثير بنبل ومن غير مّنة، وانما لندرة استعمال بعض المفردات العامية وقلة ورود ظروف استعمالها، وتعذر التقاطها على الطارئين والغرباء.

ونشير هنا الى ان بعض الباحثين النابهين أدركوا اهمية القرائن اللغوية في فهم العلاقات التاريخية «الأرخية» بين مجموعات شعوب المنطقة، ولكن أحداً لم يتوسع بهذا لصعوبة مسالكه على الغرباء على اللغة المحكية بوجه خاص، اما الاشارات التي أوردوها فهي دعوة صريحة الى اعادة النظر بالكثير من المعطيات التاريخية المتداولة والمسلمات التي يتعامل بها كاتبو التاريخ.

واهم هذه الملاحظات اللغوية، ما ذكره الذين تعاملوا مع نصوص «تل العمارنة» في مصر ومع نصوص «أوغاريت» على الشاطىء السوري، فنقرأ لأحد مترجمي رسائل «تل العمارنة» ملاحظة في مدخل دراسته يقول فيها:

«إن لغة الرسائل تشبه آرامية التلمود، وهي تشبه العربية في بعض خواصها اكثر من العبرية، فهي ذاتها اللغة «الأرخية» لهذه المستعملة اليوم بين قرويي فلسطين» (٢)

هذا الباحث يدعى «كوندي» وقد نشر دراسته سنة ١٨٩٤. وليس عند علمي ان احداً قام بمتابعة ملاحظته بعد ذلك لاستقصاء اللغة التي كتبت بها الرسائل وهي من أرض لبنان وفلسطين بمعظمها، ولا بد من ان تكون مفرداتها حية في اللغة العربية الفصحى أو العامية المستعملة في قرى فلسطين وجنوب لبنان. وهذه وافرة وتستحق الاهتمام من عارفي اللغة العامية في مناطق كاتبي هذه الرسائل القديمة.

والملاحظة العامة التي اتفق عليها معظم الذين تعاملوا مع هذه الرسائل هي اعتبارهم إياها مكتوبة باللغة الاكادية مع بعض المفردات الكنعانية، وذلك بفعل تسليمهم بأن الاكادية كانت اللغة الدولية الحرة للألف الثاني قبل الميلاد. ولكن نصوص الرسائل تضيء لنا واقع اللهجات التي كانت منتشرة في المنطقة قبل

سيادة لهجة قريش بعد ذلك بألفي عام.

والملاحظة الثانية الهامة المتعلقة بلغة أوغاريت هي ما كتبه الباحث «ستانسلاف سيغرت» من «براغ» فقد لاحظ «سيغرت» ان لغة اوغاريت كانت مستعملة قبل انقسام اللغة الى آرامية وكنعانية (فينيقية)، ولاحظ كذلك ان لغة الملاحم قديمة، اقدم من النصوص النثرية. وفسرذلك بأن الملاحم كانت تنقل شفاهاً قبل تسجيلها.

كما لاحظ بأنها تشترك مع لغات الجنوب، وأقدمها لغة «قتبان»، وكذلك مع بعض معالم لغات معين وحضرموت وسبأ.[٣]

لقد أثار «سيغرت» موضوع العلاقة اللغوية بين الغربيين الشماليين والساميين الغربيين الجنوبيين. وهو بلا شك، اعتمد النصوص القليلة التي وصلتنا من الجنوبيين وهي حديثة نسبياً، كما ان هذه ذاتها اعتمدها «ماندنهول» على الارجح، عند افتراضه الاساس المشترك للجنوب والشمال، خلال النصوص المقطعية من «جبيل» التي حاول فك رموزها.

إن مجال الدراسة والتحقق من هذه الفرضية التاريخية مفتوح باتساع لمن يريد السير فيه. ومعالم الطريق لتحقيق ذلك هي تسميات المواقع الاثرية في المنطقتين من جهة، والمفردات العامية المتداولة فيهما من جهة اخرى. والحقلان المذكوران قد يستعصي العمل فيهما على الغرباء عن المنطقة، ولكنه ليس صعباً على الذين ورثوا حضارة المنطقة القديمة وعاشوا منذ صغرهم في الارياف، فألفوا سماع المفردات العامية في ظروف ورودها مع تعيين مدلولاتها، كما اعتادوا أسماء الاماكن ولهجة التلفظ بها عند ذكرها.. وهذه حالة لا تتيحها الدراسات النظرية الكتابية مهما بلغ أصحابها من الفطنة وعمق التحليل.

وهنا تجدر الاشارة الى ان التشابه مع تسميات المواقع الاثرية في اليمن قاد احد الكتاب اللبنانيين الى اصدار كتاب يقارن فيه بين تسميات اليمن وأرض لبنان.. وهو يستحق الشكر على جهوده في جمع التسميات اليمنية. لكنه، وتمشياً مع نهج الكثيرين من اللبنانيين في النظر للآخرين، أسرع بالحكم فجعل عنوان كتابه موقفاً مسبقاً وهو «اليمن هي الأصل» والكاتب هو فرج الله صالح ديب.[٤]

واذا كانت هذه العلاقة خلال اللغة المحلية تنتظر من يتحقق منها، فإن العلاقة خلال اسماء المعبودات بين الشمال والجنوب هي علاقة واضحة وتعود الى أقدم ما

كشف الباحثون من آثار تعبدية في أرض لبنان بوجه خاص.

وهنا سنبقى في مجال اللغة والاسماء فقط دون النظر الى الشعائر والطقوس وذلك التزاماً منا بموضوع البحث.

عشتر (عطر):

هناك إله كنعاني قديم يدعى «عشتر» او «عطر» وهو زوج «عشتارت» في الاساس وكان يمثل «نجمة الصبح» بينما هي تمثل نجمة المساء أي «نجمة الراعي» قبل ان يكتشف الانسان ان الكوكبين هما كوكب واحد يرونه احياناً في المساء واحياناً في الصباح، بهذا يفسر «دي بويسون» سبب اهمال «عشتر» والبحث عن قرين آخر لنجمة الراعي «عشتارت». (٥)

وهو يرى ان معبد عشتر في جبيل يعود الى زمن انشاء المدينة، حيث هو بعل جبيل، بينما عشتارت هي بعلة جبيل. وفي باحة معبد عشتر وجدت انصاب بشكل مسلات بلغ عددها عشرين كان الكنعانيون يعتبرونها «بيت إيل». وقد كان المعبد ذا قداسة في الالف الثالث قبل الميلاد كما تشير الى ذلك النصوص الفرعونية. (٦)

وقد ورد ذكر هذا الاله في نصوص «إيبلا» للألف الثالث قبل الميلاد وكان له معبد خاص به هناك (٧). ومن المعروف ان «ايبلا» اقدم مدينة ظهرت فيها نصوص كنعانية من الالف الثالث قبل الميلاد، كما اننا في نصوص اوغاريت نقرأ في «ملحمة البعل» ان الام «اشيرة» اقترحت تمليك «عشتر» بعد موت البعل، فصعد هذا الى قمة جبل «صافون» (صافي) ليملك وجلس هناك. ولكن قدميه لم تلامسا الارض ورأسه لم يصل الى الأعلى، فأعلن رفضه الملك على «صافون». ونزل عن عرش البعل القوي وملك على الارض جميع الارض، (٨) أي انه كان إلهاً عاماً عالمياً.

اسمه يذكر بلفظ «عثتر» ايضاً، ونجده في نص «ميشا» ملك مؤاب من القرن التاسع قبل الميلاد باسم «عشتر» في السطر «١٧»(٩) . ولكنه في اقدم النصوص الثمودية يرد بلفظ «عطًر» مع اللات، وقد ورد مركباً كاسم علم مثل : بن عطر، ذو عطر، حي عطر، ود عطر، عبد عطر، وامثالها. كما ورد منسوباً: عطر سميم، أي عطر سماوي، وهذه الصفة ترجح كونه كوكب الصباح. (١٠)

أما في «حضرموت» فقد ورد اسمه «عشتر» في «ريبون» و«حصن العُرّ». وكان له معبد هناك. ويرد اسمه مع «سن وذات حميم» أي القمر والشمس. (١١)

هذا الإله بقدمه في الشمال والجنوب له قرية باسمه في منطقة بنت جبيل هي «عثرون» أي مقام «عثتر». كما هناك معبد في سفح جبل حرمون قرب بلدة «كفرشوبا» يعرّف الاهلون خرائبه باسم «قصر عنتر»، بإضافة النون لتليين اللفظ، وهو على الارجح باسم هذا الإله.

كما هو من آلهة سبأ الكبار ويذكر بوصفه راعياً للمعاهدات والأحلاف. وكذلك كان له معبد في «معين». ويذكر بصفته الشرقي او المشُرق «شرقان». وفي قتبان يرد ذكره مع الإله «عم» وهو بلفظ «عطّر» (١٢) ووصفه «شرقان» يؤكد أنه كوكب الصبح. والاسم الآخر الذي يكشف المشاركة بين أرض لبنان والجزيرة العربية هو «العزّى» فالعزَّى معبودة جاهلية ورد ذكرها في القرآن الكريم.

ويبدو ان العزى كانت تعبد خلال شجرات ثلاث وهي طارئة على الجزيرة العربية، اي انها احدث من اللات ومناة، حيث لم ترد في تركيب الاسماء العربية الجاهلية، كما وردت اسماء مع اللات ومناة(١٣).

ويبدو أن أقدم ذكر للعزى ورد في نقوش «ديدان» في شمال الجزيرة العربية لدى اللحيانيين (١٤) . وقد كانت هذه البلدة محطة للقوافل التجارية المتجهة. الى مدينة صور اللبنانية منذ اقدم العصور، ولا شك بأن عبادتها فيها كانت معروفة قبل تسجيل الاسم بزمن طويل.

وحيث إن «العزّى» لم يرد ذكرها في النصوص الاكادية أو البابلية الاساسية، وانما ورد اسم «عز» ككوكب في صلاة لتدشين معبد يعود للعهد السلوقي (١٥) بعد الاسكندر، فإن هذا يجعلنا نرجح انها من مقدسات الساميين الغربيين، وانها دخلت الى الجزيرة العربية متأخرة، وذلك ليس لعدم العلاقة بل لكونها اسماً آخر لكوكب الصبح «عطر».

العزّى هذه هي الزهرة ورمزها شكل نجمة مثمنة. كانت مقدسة على الشاطىء اللبناني في الالف الثاني قبل الميلاد. ويبدو ان مدينة «أوزو» جنوبي صور بنيت على اسمها. وأقدم اشارة لهذه المدينة وردت في رسائل «تل العمارنة» في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وكانت مصدراً لمياه صور الجزيرة كما تذكر الرسائل (١٦). وآثار هذه المدينة القديمة تتمثل اليوم بعدد من برك المياه بنيت احداها بشكل مثمن، تعبيراً عن نسبة المدينة للإلاهة الكوكب.

ثم إنه في جوار هذه البرك توجد قرية باسم «العزّية»، وهي كما يبدو كانت

وقفاً للإلاهة «العزى» فأضيفت للاسم ياء النسبة.

وهناك أيضاً بلدة أخرى قديمة في منطقة الزهراني باسم «عزه» يثبت اسمها وجود هذه الالاهة القديمة على الشاطىء اللبناني منذ اقدم العصور.

اما بقايا رموزها وطقوسها فبالإضافة الى وجود بركة الماء المثمنة الشكل في منطقة «أوزو» التاريخية هناك شجرات في منطقة «مروحين» المجاورة يقدسها الاهلون من البدو بوجه خاص، ويطلقون عليها اسم «شجرات ام الزينات»، ويبدو ان هذا النعت حصل للشجرات بعد ظهور الاسم وتحريم عبادة «العزى» وغيرها من المعبودات الجاهلية، فاكتفوا بذكر الصفة والمحافظة على حرمتها.

وهذا يعني لنا ان وجود آثار وتسميات لإلهين اشتهرا في الجزيرة العربية، ولم تكن لهما شهرة في العهد الفينيقي، اي في الالف الاول قبل الميلاد، هذا الوجود هو شهادة على عصر غامض كانت العلاقة فيه متينة بين المنطقتين، وهذا ما يساند فرضية «ماندنهول»، من ان هناك لغة كانت على شاطىء لبنان في الالف الثالث قبل الميلاد هي الاساس المشترك للغات الساميين الغربيين ولهجاتهم المتعددة.

واسهاماً في دعم هذه الفرضية نورد مجموعة من مفردات لغة «أوغاريت» التي ما زلنا نستعملها، وهي مأخوذة من نصوص الملاحم الاربع المنشورة فقط. وكما ذكرنا فإن لغة هذه الملاحم هي، كما أجمع الباحثون، أقدم من لغة الرسائل والمعاملات التجارية التي كانت مستعملة في أواسط الالف الثاني قبل الميلاد.

ونجد بين أيدينا ما يقارب سبعمائة مفردة عربية عامة بالاضافة الى ستين كلمة عامية دارجة يندر وجودها في المعاجم العربية، وهي مألوفة الاستعمال في الجنوب اللبناني. ومجال البحث مفتوح للتوسع خلال لغة الرسائل والمعاملات التجارية والرسمية الاوغاريتية المكتوبة باللغة الكنعانية.

ونعتبر هذه العلاقة اللغوية المتينة التي تتجاوز ثلاثة آلاف وخمسمائة عام شهادة حية على استمرارية اللغة والشعب معاً في الارض عينها، وهذا ما يدعم ظاهرة التواصل والوراثة لأسماء القرى والينابيع والمواقع الزراعية والأثرية، حيث ان هذه الاسماء بمعظمها كنعانية سامية أصيلة، ندر أن نجد بينها اسماً غريباً من لغة اخرى برغم تناوب شعوب غريبة مختلفة على استعمار المنطقة، وطوال قرون احياناً.

ويوازي إرث هذه الاسماء في الاهمية المفردات العامية المتداولة بين الناس لأنها غير مكتوبة ولا تتنقل مع افراد من منطقة الى اخرى، بل تحتاج الى مجموعة تتعامل بها كي تبقى حية. ومن هنا، من هذه الخاصية افترضنا لها خاصية تاريخية تماثل خواص الآثار المادية. ولهذا استحقت دراستها تسمية «اركيولوجية اللغة».

هوامش

(1)Mendenhall (George E.) The Syllabic Inscription From Byblos,P. 7 - 10, ed American University Of Beyrout, 1984.

(2) Conder (C.R. Major R.E) Tell Amarna Tablets, P.3, 2ed. Commitee Of The Palestine Exploration Fund, 1894.

(3) Segert (Stanislav) Ugaritica VI, Le Role De L'Ugaritique Dans La Linguistique. Sémitique Comparée, P.461, 469.

(٤) ديب (فرج الله صالح)، اليمن هي الاصل، نشر مؤسسة دار الكتاب الحديث بيروت، ١٩٨٨.

(5) Du Buisson (Robert Du Mesnil) Nouvelles Etudes Sur Les Dieux Et Les Mythes De Canaan, P.65, Ed Leiden E.j. Brill 1973.

(6) ed. cit P.88.

(7) Pettinato (Geovanni) The Archives Of Ebla P.252 Ed. Doubleday & Company Inc. N.y. 1981.

(8) Prithard (James B.) Ancient Near Eastern Texts, P.140 Ed. Princeton University Press, 1969

(9) ed cit, P.320 .

(10) Branden (Alb van Den) Histoire De Thamoud, P. 109, 110. ed Beyrouth - L'université Libanaise 1966.

(11) Wadi Hadramawt Prospections 1978 - 1979, P.16 - 21, Ed Centre Culturel Et De Recherches Archeologique, Aden.

(12) Pritchard, Ed, Cit. P. 663, 666, 668.

(١٣) الحوت (محمود سليم)، في طريق الميتولوجيا عند العرب، ص ٧٠ ـ ٧٨، بيروت ١٩٥٥.

(14) Winnet (F.V) And Reed (W.L) Ancient Records From North Arabia P.39 Ed University Of Toronto Press 1970.

(15) Pritchard, Ed. Cit. P. 333.

(16) Les Lettres D'El-Amarna. Trad. Par William L.Moran Ed. C.E.R.F, 1987.

كلمات أوغاريتية حية في اللغة العربية

(من ملاحم اوغاريت الاربع فقط)

ملاحظة: يسقط بعض الحروف أحياناً في اللغة الاوغاريتية ومنها النون والهاء ولا تكتب حروف المد كما تبدل حروف بما يقاربها في العربية.

ـ أـ

أ: حرف استفهام

أ ب: أب، والد

ا ب د: باد، فني

أ ب ن: نعى، أبن

أ ت: انت

أ ت م: انتم

أ ت ن: أتان

ا ت و: جاء، قدم

ا ث ت: انثى زوجة

ا ث ر: صوب، اتجاه

ا ث ر ت: تراب ارث

ا ث م: إثم، ما لا يحل

ا ج ر: اجر، دفع اجرة

ا ج ن: اجانة، قدر

ا ح د: احد واحد

ا ح ل: احلى ما احلى

أ خ: اخ

ا خ ت: اخت

ا خ د: أخذ

ا خ ر: آخر، الاخير

ا د: إذ، حين

إ د ك: إذ ذاك

إ د م: احمر، آدم

ا د ن: اذن

ا ر: أري، عسل

ا ر ب: ارب

ا ر ب ع: أربعة

ا ر ت: ارادة

ا ر ز: ارز

ا ر ص: ارض

ا ز ر: ازار مئزر

ا س ر: اسر، ربط

ا ص ب ع: اصبع

ا غ ر: أغار

ا ن ف: أنف

ا ن ف: أنف، غضب

أ ف ع: أفعى

أ ك ل: أكل

ا ل م ن ت: ارملة

أ م: ام

إ م: اما للشرط

أ م ت: أمة، جارية

ا م ت: أمة، قوم

ا م د: فناء، ابادة

ا م ر: نظر، رأي

ا ن: ان، حزن

ا ن: اوان، حين

ا نّ: أنى

ا ن ب ب: انبوب، مسكن

ا ن ش: انس، لطف

ا ن هـ ب: أنهاب، اسلاب

ا هـ ب: احبّ

ا هـ ل: اهل، ابناء خيمة

ا و ل: اول اولاً

أ ي: للاستفهام، هيا

ا ي ل: وعل،

ا ي ن: أنى للنفي

ـ ب ـ

ب أ: باء، وصل

ب أ ر: بئر

ب ء ش: بئس شقي

ب ت: بنت

ب ت: بيت

ب ت ل ت: بتول

ب ث: بث، نشر

ب ث: بهت، خجل
ب د: بددّ، ازال
ب د ق ت: بثقة، ثغرة
ب ر ح: هرب، برح
ب ر د: قطع، فصل
ب ر ق: برق، لمعان
ب ر ك: بركة ماء
ب ر ك: بارك
ب ش ر: جسد، بشر
ب ش ر: أخبر
ب ص ر: بصر، لاحظ
ب ص ع: بضع، قص
ب ع د: بعد، خلف، وراء
ب ع ل: بعل، زوج، سيد
ب غ ي: بغى، طلب
ب ك ر: بكورة البكر
ب ك ي: بكى
ب ل: بلي، اهترأ
ب ل: بلا، بدون
ب ل: بل للتحقيق
ب ل د: بلد
ب ل م ت: بلا موت
ب ن: بنى شاد
ب ن: بيّن
ب ن ي: الباني، الخالق
ب هـ ت: البهو، القصر

ت

ت ا ت: تينة
ت ح ت: تحت، نزل
ت د م م: ذم، خزي
ت ر: ترتر، اهتز
ت ر ب ص: ربض، اسطبل
ت ر م: رم م، دود
ت ر م م: رمم، اسس
ت ر م م ت: البلى، الخراب
ت س م: وسامة، جمال
ت ش ع: تسعة
ت ع ل ت: علو، مكان عال
ت غ ز ت: غزوة
ت ف: دف
ت ف ح: تفاح
ت ل: تل، رابية
ت ل م: ثلم فلاحة
ت م: تم، كمل
ت ن ن: تنين

-ث-

ث أ ت: شاة نعجة
ث أ ر: ثأر
ث ب: ثاب، رجع
ث ب ت: ثبت، مسكن
ث ث: سدس، ستة
ث د: ثدي
ث د ث: السدس،
ث ر: ثور
ث ر: ثرّ، غزير
ث غ ر: ثغر ثغرة
ث ف ط: سفط، رتب
ش ق ل: وزن، ثقل
ث ك ر: شكر، كافأ
ث ك ل: ثكل
ث ل ث: ثلاثة
ث م: ثم، ثمة، هناك
ث ن: بال، مثانة
ث ن: اثنان
ث ن ي: ثنى، كرر
ث و: ثوى
ث ك ح: شنكح، سقط ارضاً

-ج-

ج ب ل: جبل، مرتفع
ج ج ن: جوش، جوشن، صدر
ج د ي: جدي
ج در ت: جدران، حظيرة
ج د ل ت: مجدول، قوي
ج د ل: برج
ج ر: جار، قريب
ج ر ن: جرن، بيدر
ج ف ن: جفنة، دالية
ج ع ط: جعاط، صراخ
ج ل ث: ثلج
ج ل ي: جلا، غادر
ج م ر: جمر، نار

ج ن: جنينة، حديقة
ج ن: مجنّ
- ح -
ح ب ق: حبق، حباقة، ضم
ح د ث: جد، طرأ
ح د ج: حداجة، سرج
ح د ر: خدر، حجرة
ح ر ب: حرب، جندي
ح ر ث: حرث
ح ر ح ر: حرحر، حمي
ح رص: حرص، رغب
ح ري: حورية
ح ط ب: حطب
ح ط ت: حنطة
ح ظ: حظ، نصيب
ح ظ ر: حظيرة، قرية
ح ف: حف، احتفى
ح ك م: حكيم، عاقل
ح ل: حل، فك
ح ل: حول، دورة
ح ل: حيل، قوة، عسكر
ح ل ب: حليب
ح ل ق: حلق
ح ل م: حلم، رؤيا
ح م: حمي، سخن
ح م ح م: حمحمة، شبق
ح م ر: حمار

ح م ص: حامض
ح ن: حنان
ح ن ن: وهب
ح وت: حياة، حي
ح ي: حي
ح ي ت: حياة
-خ-
خ ب ر: اختزن، خبر
خ ب ل: خبل، فساد
خ ت ن: صهر
خ خ: كخ، وسخ، قذارة،
خ رب: جف يبس
خ ر ت: خر، حفرة
خ رص: خرص، ذهب
خ زر: خنزير
خ زق: حذق، شد
خ س ر: خسر، نقص
خ ش ش: خشاش، عوام
خ ط: دقق، تروى
خ ط أ: خطي، أذنب
خ ف: حف حافة
خ ف ث ت: خفش، خفاش
خ ل: خال، طيف
خ ل ب: خلب
خ ل ق: بلي اهترأ
خ م ت: خيمة
خ م ر: خمر

خ م ش: خمسة
خ ن زر: خنزير
خ ي م: خام، معدن
-د-
د: ذو
د ب ب: دواب
د ب ح: ذبح
د ب ر: دبر، مات
د ت: ذات
د ث: داس، وطىء
د ج ت: دجوة، ظلام
د ج ن: داجن
د د ي: ودد، حب
د ر: دار، دور
د ر ع: زرع
د ر ك ت: تسلط
د ر ي: ذرّى تذرية
د ع ت: دعوة، رسالة
د ف ر: ذفر، عطر
د ق: دقّ، سحق
د ق: دقيق، رقيق
د ق ن: ذقن، لحية
د ك: سحق، طحن
د ك ي: ذكي
د ل: ذل، بؤس
د ل: دل، اشار
د م: دم

د م: دام، ظل
د م: ذم، هجا
د م ر ن: دمر، خرب
د م ع: دمع
د م م: دمامة، سفالة
د ن: دان، حكم
د ن: دنا، اقترب
د ن: دن، إناء
د ن ت: دناءة
د و ي: ذواء، مرض
-ر-
ر ا ء: رأى، بصر
ر أ د: رأد الضحى
ر أ ش: رأس، أول
ر أ م: رئم، ثور بري
ر أ م: رأمة، محبة
ر ب: ربا، نما، عظم
ر ب: رب، سيد
ر ب ب ت: ربوات
ر ب ص: ربض
ر ب ع: ربع اربعة
ر ت م م: ردم، خراب
ر ث: رث، بال
ر ث: روث، قذارة
ر ح: رحى للطحن
ر ح: ريح، روح
ر ح ب: رحب، واسع
ر ح ت: راحة الكف
ر ح م: رحم، رحمة
ر خ م: رخيم للصوت
ر د: رذ، رذاذ المطر
ر د ت: ورد للماء
ر ص: رضي، قبل
ر ص: رض، سحق
ر ع: رعاع، مضطرب
ر ع: رعى، اعتنى
ر غ ب: جاع
ر غ ث: رغث، رضع
ر ف أ: رفه، لان، ضعف
ر ق: رق، لوح
ر ق ص: انتفض، رقص
ر ك: رك، وهن
ر ك ب: ركب
ر م: رمم، بنى
ر م: رام، علا
ر م: رمى، أسقط
-ز-
ز ب ر: زبر الغصن
ز ب ل: زبل للخصب
ز ب ل: ذبل، مرض
ز ت: زيت
ز ت ر: ستر، حمى
ز د: زاد، طعام
ز ع ف: زعاف، قاتل
-س-
س أ د: ساد سيادة
س ا ن: شأن
س ب: صب، للمعدن
س ك ر: سكر، اقفل
س د: سدة للرئاسة
س ر: سر، علم، خبرة
س س: سائس للخيل
س ع ت: شعث، شتت
س غ ر: صغير
س ف د: سفود، تجريح
س ف ر: صفر، رقم
س ك ن: سكن، تمثال
س م م: وسامة، حسن
س م ك ت: سماك، السماء
س ن ن ت: سنونو
س هـ ر: زهرية
-ش-
ش: شاة
ش أ ب: شؤبوب الماء
ش ا ر: سؤر، بقية
ش أ ل: سأل، طلب
ش ب: صب، سكب
ش ب: شاب، أسنَّ
ش ب ع: سبعة
ش ب ل: سنبلة
ش ب م: شبام، كمامة

ش ب ي: سبى، أسر
ش ت: شتت، فرق
ش ت: ست، سيدة
ش ت ر: ستر، غطى
ش ت ي: سقى، شرب
ش ج ر: شجرة، ذرية
ش ح ر: سحر، فجر
ش ح ل: ساحل
ش خ ف: صخب، صراخ
ش خ ن: سخن، حار
ش د م: صدم، تأذى
ش ر: شر، جبروت
ش ر: شعر، غناء
ش ر ب: شرب
ش ر ج: شرج، كذب
ش ر ر: أصر، اكد
ش رش: شرش، نسل
ش ر ع: شراع للموج
ش ر م: شرم، كسر
ش ر ي ن: شريان
ش ع ر: شعير
ش ع ر ت: شعرة، صوف
ش ف: سفى للرمل
ش ف ت: شفة
ش ف ح: سفاح، نسل
ش ف ش: شمس
ش ف ق: أشفق، حرص

ش ف ك: سفك، سكب
ش ف ل: سفل، تحت
ش ق ي: سقى
ش ك ر ن: سكران
ش ك ن: سكن، هدأ
ش ل ح: سلاح
ش ل م: سلم سلام
ش ل و: سلوان، عزاء
ش ل ط: تسلط، تولى
ش م: أسم
ش م أ ل: شمال
ش م ن ت: سمن، دهن
ش م ت: شيمة، واجب
ش م خ: شمخ، ابتهج
ش م ع: سمع
ش م ك: سمك
ش م م: شام، تطلع
ش م م: سماء
ش م ن: سمن
ش ن أ: شنأ، ابغض
ش ن ت: سنة
ش ن ت: سنة نوم
ش ن: سن
ش ن: شين، تحول
ش ب ب: شهب، نار
ش ر ق: شرق
ش ر ع: ذراع

ش د: ثدي

ـ ص ـ

ص أ ن: ضأن
ص ب: وصب، غب
ص ب: صبا، رغب
ص ب ر ت: صبورة
ص ب ع: أصبع
ص ح: صاح، صرخ
ص ح ر ر م:صحارى
ص ح ك: ضحك
ص د: صاد، بحث عن
ص د ق: صدق، استقامة
ص ر ر: ضرر، كره
ص ر ر ت: ضرة، محظية
ص ع: صاع، اناء
ص غ د: صعد، ارتفع
ص غ ر: صغير
ص غ ر ت: صغارة، حقارة
ص ف: صفا، راق
ص ف ر: فراغ، خلاء
ص ق: وسق، حزم
ص ل: صلى
ص ل ل: صلصل
ص ل م ت: ظلمة
ص م ت: صمت، سكت
ص م د: صمد، رفع
ص م د: ثبت، قيد

ـ ط ـ

ط ب: طاب

ط ب خ: طبخ

ط ب ق: طبق، نضد

ط ح ن: طحن

ط ر: طري، ندى

ط ر د: طرد

ط ع ن: طعن، ثقب

ط ل: طل، ندى

ط ل ب: طلب

ط هـ ر: طهر، جوهر كريم

ـ ظ ـ

ظ أ: بان، وضأ

ظ ب: ظبي

ظ ح ق: ضحك

ظ ر: ظهر، فوق

ظ ل: ظل، ملاذ

ظ ل م ت: ظلمة

ظ م أ: ظمأ، عطش

ظ هـ ر: ظهر

ـ ع ـ

ع ب د: عبد، خادم

ع ب ر: عبر، مر

ع ت ق: عتق عتيق

ع ت ق: أعتق، حرر

ع ج ل: عجل

ع د: عاد، دار

ع د: عود للموسيقى

ع د ت: عدة، جماعة

ع د د: عدد، روى الخبر

ع د ن: عدان، موسم

ع ذ ب ت: عصبة، عصب

ع ذ ر: أزر، ساعد

ع ر: عر، هيج

ع ر: عير، حمار

ع ر ب: غرب للشمس

ع ر س: غرس

ع رس: عرس، أقام

ع ر ى: عرى

ع ز: عز، قوة

ع س: عس الليل

ع ش ب ت: عصبة، جماعة

ع ش ر ت: معشر، مأدبة

ع ش ر: عشرة

ع ش ي: عشي، زيغان

ع ص: عصا

ع ص ر: عصفور

ع ط ر: عطر، رائحة

ع ط ف: عطف، مال

ع ظ م: عظم، ضخم

ع ف: عاف للطير

ع ف ر: عفر للتراب

ع ف ف: اعفى

ع ق ب: عقب، رجع

ع ق ب م: عقبان، نسور

ع ق ل ت ن: عقلة، اعوجاج

ع ل: عيال، اطفال

ع ل: على، فوق

ع ل م: غلام

ع ل ي: علا، صعد

ع م: عامة، شعب

ع م: غيم، عماء

ع م ق: عميق، واد

ع م م: غام، اخفى

ع ن: عاين، شاهد

ع ن: عين، نبع ماء

ع ن ن: عنان السحب

ع ن ي: اجاب

ع ن ي: عناء، تواضع

ع و ر: أعور

ـ غ ـ

غ ب: غب، بعد

غ د: غدة، ورم

غ د و: غدوة

غ ر: غار، حفرة

غ ز: غزا

غ ش ى: غشي، اخفى

غ ف ر: غفر، سامح

غ ل: غيل، اجمة

غ ل ف: غلاف، قشرة

غ ل ل: تغلغل، دخل

غ ل م ت: غلمة، هياج
غ ل م: غلام
غ ن ب: عنب
غ ي ر: غار، كهف

ـ ف ـ

ف: فو: فم
ف أ د: فؤاد، قلب
ف ت ح: فتح
ف ج ل ت: فجلة
ف ح ل: فحل، حمار
ف ح م: فحم
ف خ ذ: فخذ، عشيرة
ف د: فود، جانب الوجه
ف ر: فر، هرب
ف ر ص: فرضة، ثلمة
ف ر ع: فرغ
ف ر ق: فرق، وزع
ف ش: فأس
ف ط ر: فطر، فلك
ف ظ ع: فدغ، شج
ف ع ر: فعر، صرخ
ف ع ل: فعل، عمل
ف ق: فاق، فضل
ف ق د: بحث، فقد
ف ل ط: فلت، نجا
ف ل ك: فلك، مغزل
ف و ق: فاق، تميز

ـ ق ـ

ق ب أ ت: قباءة، خابية
ق ب ر: قبر
ق ب ع ت: قبع، كأس، قمع
ق ب ل: قبل، أخذ
ق د ش: قدس، حرمة
ق د ق د: قد، هامة
ق د م: قدام، امام
ق ر أ: قرأ، نادى
ق ر ب: قرب، دنا
ق ر ب: قراب، فرج
ق ر ت: وقار، شرف
ق ر ت: قرية
ق ر ص: قرص، عض
ق ر ص: اقراصاً قرَّص
ق ر ن: قرن
ق ر ي: قرى، طعام
ق ش ت: قوس
ق ص: قص، قطع
ق ص: اقصى، ابعد
ق ص ر: قصير قاصر
ق ص ع ة: قصعة، اناء
ق ط ر: قطر البخار
ق ظ: قيظ، حر
ق ع ل: قعال الكرمة
ق ل: قول، صوت
ق ل ص: قلص، نقص تراجع
ق م: قام، نهض
ق م: قاوم العدو
ق ن: قناة، قصبة
ق ن: قين، حداد، صائغ
ق ن أ: قنأ، احمرّ ،غضب
ق ن ى: قني، ملك
ق ن ي ت: قن، جارية، قنية

ـ ك ـ

ك: للتشبيه
ك ب د: كبد، قلب
ك ب ك ب: كوكب
ك ت ف: كتف
ك ث ر م: كوثر
ك ر ب: قرب قربانا
ك ر م: كرم
ك ر ي: كرى، نعاس
ك س: كأس
ك س ي: كساء
ك ش د: قصد، توجه
ك ف: كف، طبق
ك ف ي: كفى، أشبع
ك ك ب: كوكب
ك ل: كل، تمام
ك ل أ ت: كلية اليد
ك ل ب: كلب
ك ل ي ت: كلية، تمام
ك م: كما، عندما

ك ن: كان، كون
م ك ن ت: مكان، محل
ك ن ف: جناح
ك هـ ن: كاهن
-ل-
ل: حرف جر
ل أ: لأي، جهد
ل أ ي: لأي، تعب
ل ب: لب، قلب
ل ب أ: لبؤة
ل ب ش: لبس
ل ب ن: لبن
ل ب ن ت: لبنة بناء
ل ح: لوح
ل ح: لحا، احتقر
ل ح: لحية، ذقن
ل د: لذّ، نكهة
ل ش ن: لسان
ل ط ف ن: لطيف
ل م د: تلميذ
ل هـ م م: لهام، عظيم
ل و ح: لاح، برق
ل ي ت: لوي، اكليل
-م-
م أ ت: مئة
م أ ز ر ت: مئزر، ثوب الكاهن
م ا ي ت: موية، نبع ماء

م ت: موت، هلاك
م ت ن: متن، عضل
م ث ب: مثاب، مقام
م ث ك: أمسك، تناول
م ث ن: ثنى، كرر
م ج د ل: مجدل، برج مراقبة
م ج ن: مجانا، هبة
م ح: محا، ازال
م ح م د: محمود محمد
م خ: مخ، نخاع
م ر: اجتاز، مر
م ر أ: مرىء، سمن
م ر ح: مرح، زهو
م ر ص: مرض
م ر غ ث: رضيع
م ز ن: ميزان
م س د: موسد، أساس
م س ل: مسل، طريق
م ش ح: مسح، قاس
م ص: مص، رضع
م ط: تمطى، تمايل
م ط ر: مطر
م ظ ل ل: مظلة
م ظ م أ: ظمأ، عطش
م ع: مع
م ع د: موعد، اجتماع
م ق م: مقام، مسكن

م ل أ: ملأ
م ل ح م ت: ملحمة، حرب
م ل ك: ملك
م م: مياه
م ن: من؟
م ن ح: منح، هدية
م ن خ: مناخ للهدوء
م هـ: مه؟ ما هو؟
م هـ ي: ما هي؟ لماذا؟
م هـ: مياه
م هـ ر: مهر، عجل
م هـ ر: مهر المرأة
-ن-
ن: حرف مضارعة
ن ب ب: انبوب فارغ
ن ب ط: نبط، ظهر
ن ب هـ: نبه، لاحظ
ن ت ر: حرك، بسرعة
ن ج ب: نجيب، شريف
ن ج ر: نجار
ن ح: نحا، مال
ن ح: ناح، أعول
ن ح ت: نحت، صقل
ن خ: ناخ مناخ
ن د ر: نذر
ن ر: نار، نور

ن س ع: نزع، غادر
ن ش: ناس، بشر
ن ش أ: نشأ، رفع
ن ش ج: نسج، حاك
ن ش ر: قطع
ن ش ر: نسر
ن ص ب: نصب، شاد
ن ع ش: نعش، هودج
ن ع ل: نعل
ن ع م: ناعم، لطيف
ن ع م: نغم
ن غ ص: نغص، ارتجف
ن ف: ناف، علا
ن ف خ: نفخ الكير للحداد
ن ف د: نفذ، ثقب
ن ف ش: نفس، شهية
ن ف ع: نفع، صلح
ن ف ق: نفق، مخرج
ن ق ل: نقل، اقتلع
ن ك ر: نكرة، غريب
ن هـ ر: نهر
ن هـ ر: نهار الغد
ن هـ ق ت: نهيق الحمار
ن ي ر: نير، نجم

- هـ -

هـ: ضمير الغائب
هـ ج: هجاء تهجئة
هـ د: هد هدم
هـ ف ك: إفك، كذب
هـ ك ل: هيكل، بيت كبير
هـ ل ل: هل، أضاء
هـ ل م: هلم
هـ م: هم هما
هـ م م: هم، قلق
هـ ن: هن للغائبات
هـ و: هوى، رغبة
هـ و: ضمير الغائب
هـ و ي: هوي، اشتهى

- و -

و: حرف العطف
و ح: الوحى، الاسراع
و ر: ورى توارى
و ص ب: وصب، تعب
و س م: وصم، شتم
و غ ر: وغر، لهب
و ف ق: وفق، اصاب، حظا
وقى، حمى
و ل: والى، صادق
و ل د: ولد

- ي -

ي: للنداء
ي ب ل: وبل، سيل
ي ت م: يتيم
ي ث ب: وثب، ثاب
ي ح د: أحد واحد
ي ح م ر: يحمور، وعل
ي د: يد
ي د: وداد، حب
ي ر: ورى للسهم
ي و ر ع: يورع، يخشى
ي رث: يرث إرث
ي ر خ: يؤرخ، القمر
ي رد: ورد، نزل
ي س م: وسم وسامة
ي ش ن: وسن
ي ص ك: صك، سكب
ي ع د: وعد
ي ع ر: وعر، غابة
ي ع ل: وعل
ي غ ر: وغر، اهتياج
ي ف ر: وفرة، كثرة
ي ف ع: يافع، نامٍ
ي ق ر: وقار
ي ل د: ولد
ي ل ي: ولي، قريب
ي م: يوم
ي م ن: يمين
ي ن ق: ينق يرضع

اما الكلمات العامية التي لا زلنا نستعملها في الجنوب اللبناني فهي التالية:

أطم: عضّ
بقث: بقش، بقبش
تقعت: طقعت، فقعت
تلع: تلع، ناجح، بارز
شبش: شوبش، مدح
شفط: صفط، رتب
شفط: سفط، سامح
جرش: كرش، طرد
جرن: جرن، بيدر
جعر: جعر، صرخ
جعت: جعط، صرخ
حبق: حبّق، جمع
حشك: حشك، أسرع
كحص: قحص، اسرع
حفش: حفش، جمع
خت: خوت، جنون
خ خ: كخ وسخ
خش: خش عجّل
خشش: خشاش، عوام
درى : درى، قبع للصيد
دعص: دعس، رفس
دغشة: دغشة، ظلام
دكرة: زكرة، جرة
رثّ: رث، بال

رغث: رغث، رضاع
ركس: ركس، حزمة
زبر: زبر، قطع الغصن
زبل: زبل للخصب والقوة
زعت: زعّط،صاح
سجر: سكّر، اقفل
سفأ : سفّ، أكل
سمد : صمدة، مرتبة
ساف: شاف، رأى
شبلت: سبلة، سنبلة
شت: ست، سيدة
شخط: شخت، ذبح
شخط: شحط، انزل
شرش: شرش، نسل
شقل: شقل، قام
شلح: شلح، رمى
صبرت: صبورة، كومة
صرك: زرك، اعوز
عدد : عدّد، روى مآثر الميت
عدن: عدّان، موسم
عرّ: عرّ، هاج
عرص: عرص، جبار
عف: عف، طار
عكّ: عك، هاجم

علّص: معلص، مبتهج
عرم: عرّم، كدسّ
فرع: فرّع، كشّف
فعر: فعر، صرخ
فقد : فقد، بحث
قش: قش، جر
قرز: قرز، تحصن
قراب: قراب، فرج
قصعة: قصعة، اناء
قعت: قعي، صراخ
قمص: قمص، قفز
قحص: قحص، اسرع
كس: كس فرج، شق
كست: قشاط، حزام
متق: متق، غير حلو
مرث: بقايا الخمر
مزع: مزع، مزق
نتع: نتع، مزّق
نسّ: نسّ، هرب
نفل: نفل، أسقط
هدّ: هدّ، هدم
نق: نق، رضع

❖ هذه دراسة اولية سريعة غير معمقة جمعت كلماتها من تهجئات «ملاحم وأساطير من اوغاريت» تأليف انيس فريحة منشورات العيد المئوي للجامعة الاميركية في بيروت، وقد روجع بعضها على تهجئات سيروس غوردن الانكليزية في كتابه «قواعد اللغة الاوغاريتية»، منشورات المعهد الحبري ١٩٤٧.

الاعلام

ملاحظة: نظراً لكثافة ورود الأسماء في صفحات الدراسة اعتمدنا ذكر أصول التسمية غالباً كما تجنبنا ذكر الأسماء الكثيرة الورود مثل: شيث، الهكسوس، مصر لبنان، فرعونية، كنعانية، عربية، وذلك لكون الدراسة تقوم عليها.